الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

- جامعة وهران- السانية

كلية العلوم الإجتماعية **تخصص فلسفات أنجلو ساكسونية**

قسم الفلسفة **حديثة و معاصرة**

مذكرة لنيل شهادة الماجستير الموسومة بـ:

الدين في الفلسفة البراغماتية

" وليم جيمس " أنموذجا

إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ الدكتور:**

بن صابر محمد **سواريت بن عمر**

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة
الرئيس	أ.د. دراس شهرزاد	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران
المقرر	أ.د. سواريت بن عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران
المناقش	د. بوشيبة محمد	أستاذ محاضر - أ -	جامعة وهران
المناقش	د. بلحمام نجاة	أستاذة محاضرة - أ -	جامعة وهران

السنة الجامعية

2015 - 2014

الإهـداء

إلـــى ثمـــرة قلبـــي وقـــرة عينـــي وأغلـــى مـــا أكتنـــز فـــي هـــذا الوجـــود والـــدي الكـــريمين، إلـــى رفيقـــة حيـــاتي التـــي وهبتنـــي بســـمة الأمـــل وســـاعدتني وصـــبرت معـــي فـــي إنجـــاز عملـــي زوجتـــي، إلـــى التـــي أدخلتنـــي مـــن بـــاب الأبـــوة زهـــرة فـــؤادي إبنتـــي نـــورية، إلـــى كـــل عـــائلتي صـــغيرا وكبيـــرا وأقـــاربي جميعـــا كـــل بإســـمه، إلـــى جميـــع أســـاتذة قســـم الفلســـفة، إلـــى أصـــدقائي، إلـــى جميـــع مـــن ســـاعدني فـــي إنجـــاز ثمـــرة جهـــدي، تعبيـــرا علـــى حبـــي وإخلاصـــي لهـــم، أهـــدي هذا العمل المتواضع.

مـحمد

كلمة شكر:

الشكر والفضل لله الذي من علي بنعمته لإتمام هذا البحث فالحمد والشكر لك ربي والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الأنبياء وخاتم المرسلين

شكر..... تقدير ..... وعرفان جميل

إلى أستاذي الفاضل المشرف الدكتور سواريت بن عمر، الذي غمرني بكرم ينم عن عراقة الأصل، وبرعاية علمية دقيقة ميزها تواضع العلماء واكب البحث معي منذ لحظاته الأولى وتحمل عناء قراءته وتهديبه مما قد يقع من خطأ أو غموض يتعثر فيه الباحث.

كما لم يبخل علي بمساعدته وملاحظاته النافعة، وإبداء توجيهاته القيمة فله مني كل التقدير والإمتنان، كما لا يسعني إلا أن أسدي خالص شكري لأستاذي المحترم الدكتور بوعرفة عبد القادر، الذي لم يبخل على بمساعداته المعرفية والمنهجية، وشكري الجزيل إلى أستاذنا القدير ورئيس قسم الفلسفة بوشيبة محمد، كما أشكر صديقي وأخي الأستاذ إبراهيم أحمد.

أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة بحتي ومناقشته لإمدادي النصائح المفيدة والقيمة في مساري العملي والأكاديمي، والشكر موصول أيضا إلى جميع القائمين على مكتبة كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بجامعة وهران على تعاونهم وتيسيرهم.

مقدمة:

البحث في الفلسفة البراغماتية يشكل أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الأمريكي على الرغم من أن جذور هذا الفكر ليست بالبعيدة كما هو الحال في الفكر الأوربي، إلا أنه إستطاع أن يثبت جدارته في الساحة الفكرية العالمية بوصفه فكرا عالميا فقد كانت أمريكا في القرن التاسع عشر في بداية وعيها بإمكانيتها الثقافية، بعد زمن الحرب الأهلية حيث كان النشاط الفلسفي الأمريكي لحقبة طويلة من الزمن مجرد إنعكاس للتأثيرات الأوربية ويستطيع الملاحظ المدقق في الساحة الأمريكية في أوائل القرن التاسع عشر أن يلاحظ كما لاحظ بحق *(ألكسي دي توكفيل Alexis de tocqueville): "أن الفلسفة لم تؤخذ بأي قرن من قرون عالمنا المتحضر بصورة جدية، بقدر ما أخذت بها في الولايات المتحدة الأمريكية وربما يعود هذا إلى أن الفلسفة قد بدت على درجة كبيرة من الغموض وبصورة بعيدة للغاية عن إهتمامات دولة ناشئة قوية"[1].

شهد القرن الثامن عشر دفعة قوية جاءت على يد فلاسفة التنوير الفرنسيين، كما شهد القرن التاسع عشر دفعة أخرى جاءت من الرومانسية الألمانية، إلا أن منتصف القرن التاسع عشر قد شهد إنتعاشا فلسفيا جاء رافضا للتقاليد الأوربية والأكاديمية السائدة وفي غمرة هذا الإنتعاش الفلسفي برز أول مذهب فلسفي فكري يمكن أن ينتسب إلى الأرض الجديدة، إنه المذهب العملي البراغماتي.

ليتبلور خلال تطوره التاريخي بشكل فكر رسمي ساد القارة الأمريكية والعالم ليصبح بعد ذلك الصياغة الحقيقة للفكر الأمريكي، لاسيما فكرها الفلسفي والديني المعبر عن الثقافة الأمريكية المعاصرة، ليطلق عليه بعد ذلك بالفكر البراغماتي الجديد، لاسيما بعد الإنتعاش الفلسفي والفكري للقارة الأمريكية أوالعصرالذهبي، التي عاشتها الفلسفة الأمريكية ليكون بذلك واحدا من أهم الأسس التي أنبنى عليها الفكر الفلسفي الأمريكي لكون هذا الفكر يركز على

*** ألكسي دي توكفيل ولد في فرنسا سنة 1805 من عائلة أرستقراطية، رجل سياسة وعالم إجتماع ومؤرخ فرنسي، بعد إنهاء دراسته الأولية إنصرف إلى دراسة القانون إنتخب عضو للبرلمان عام 1839، عين وزير الخارجية عام 1849، من أشهر مؤلفاته " الديمقراطية في أمريكا سنة 1835 ، توفي في 1859.**

1- مهران، محمد، ومدين، محمد، **مقدمة في الفلسفة المعاصرة**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط،2004، ص41

المنفعة في الأفكار والنظريات، مهما تكن هذه الأفكار إذ الغاية والنجاح هما الحكم والفاصل في قياس مدى أهمية الفكرة ونفعها والنتائج المتمخضة عنها ليحتل هذا الفكر بعد ذلك السيطرة المطلقة على السياسة الأمريكية.

نتيجة لهذا أصبح الفكر الأمريكي فكرا براغماتيا وهو في جوهره نهج محافظ يرى من حقه إتباع كل وسيله ممكنة في سبيل الوصول إلى حقه في البقاء، وأن المصلحة والمنفعة والذاتية هي معيار الصدق والأخلاق، فبهذا أصبح الفكر البراغماتي ترجمة سلوكية حقيقية للفكر الفلسفي الأمريكي والسياسة الأمريكية المعاصرين.

الفكر الإنساني وليد بيئته فتاريخ الفلسفة يضعنا أمام العلاقة القائمة بين فكر الإنسان وبيئته الإجتماعية، فالفلسفات القديمة في مجهوداتها الفكرية نتاج العلاقة مع الفكر الأسطوري والديني، ولعل التداخل القائم بين الطبيعة والفكر هو الأساس الذي ينبعث منه تفكير الإنسان. لهذا نجد تمايزا في فلسفات الشرق القديم عن الفلسفات اليونانية ليس تمايز في الموضوعات وإنما تمايزا في الطروحات والنتائج وهذا ما ينطبق على كل الفلسفات اللاحقة.

الفلسفة لم تكن متفردة في وجودها ففي القديم كانت إلى جانب الأسطورة والدين وفي الفكر اليوناني تزاوج العقلي مع الديني بحدود، تم إستوضح نفسه في الفلسفة الإسلامية ليتجاوز هذه العلاقة مع النهضة الأوروبية إلى علاقة بين الفلسفة والعلم، ليتضح بصورة كاملة في الفترة المعاصرة، فالفلسفة تحاول إستطلاع القضايا العالقة التي لاتحظى بحل لدى الدين أو العلم أي إيجاد الروابط بين الوجود الفكري للدين أو العلم والوجود الفلسفي، من هنا نشأت الفلسفات الدينية والفلسفات العلمية.

على ضوء هذا التأسيس سنحاول أن نعرج على مكانة الدين في الفلسفة الأمريكية مركزين على دراستنا لنموذج مهم في الفلسفات الأنجلوساكسونية، رائد البراغماتية المفكر الأمريكي وليم جيمس William James الذي كان له الدور الفعال في نشر البراغماتية.

البحث عن الدين هو بحث مستمر لا يتوقف على زمن معين ولا على مكان معين بل أينما وجد الإنسان وجدت مشكلة الدين، بهذا كانت أهمية هذه المشكلة بالنسبة للإنسان عموما وللفلاسفة خصوصا. يعد وليم جيمس واحد من أهم الفلاسفة البراغماتيين الذين شغلتهم هذه المشكلة بطرح متميز وخاص فإلى جانب كل التفسيرات، قدم لنا جيمس نموذجا جديدا لمفهوم الدين إختلف فيه عن غيره من الفلاسفة، وقد تجاوز به الكثير مما جاءت به الفلسفات قبله، وهذا ما حفزني على تبنيه موضوع دراسة تعبر عنه إشكالية البحت في صيغتها التالية:

الإشكالية:

ما الدين في الفلسفة البراغماتية؟ ما التجربة الدينية عند جيمس؟ إذا كانت البراغماتية تنطلق من المحسوس والمادي عبر التجربة للوصول إلى نتائج تعود بالنفع على الإنسان فهل الدين يقودنا إلى نتائج عملية نافعة؟ هل الدين يرتبط بالمنفعة أم هو شعور وأحاسيس ؟

إختياري لهذا الموضوع لم يكن بالصدفة لكن نظرنا إليه من زاوية مهمة وهي التجربة الدينية عند وليم جيمس William James وكيف تعامل معها خاصة، وأنه من رواد البراغماتية كما أن هدفي من البحث هو التوغل في الفلسفة البراغماتية الأمريكية ومحاولة مقاربة الفكر البراغماتي مع الفكر الديني من وجهة وليم جيمس.

الفكر الديني المعاصر في أمريكا كان واحدا من أسباب ودواعي إختيار الموضوع وهذا في ظل ما تمتلكه أمريكا من تقدم في الموارد البشرية والمادية، وما تمتلكه من تعامل براغماتي واقعي في سياستها الخارجية التي مكنتها من بناء تلك الإمبراطورية. على الرغم من أهمية هذا الفكر ومكانته العالمية إلا أنه لا يزال مجهولا في المجتمع العربي بشكل عام فهو مجهول حتى من المتخصصين بهذا الشأن وكونه موضوع حيوي ومعاصر ولم تكن هناك رسالة أو أطروحة مختصة في هذا الفكر بوصفه فكرا دينيا معاصرا سوى بعض الدراسات البسيطة والمحددة، هذه جملة من الأسباب التي جعلت هذا الموضوع محطة إختياري فضلا عن الرغبة الشخصية بدراسة الفكر الديني في الفلسفة البراغماتية بشكل خاص والفكر الأمريكي بشكل عام.

الفرضيات:

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية مفادها: أن الفكر البراغماتي جسد دورا كبيرا ومؤثرا في الفكرالأمريكي المعاصر، بأبعاده الدينية والإيديولوجية والثقافية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية، ليصبح إحدى المرتكزات الرئيسة السائدة في أمريكا وبهذا تسعى الدراسة للإجابة عن جملة فرضيات منبثقة من الإفتراض العملي ولعل أهمها ما يأتي :

تصور الدين عند جيمس له علاقة مباشرة بالإعتقاد والإيمان، لكن الإعتقاد والحقيقة مختلفان عنده فالإعتقاد مرتبط بالشعور أما الحقيقة مرتبطة بالمنفعة، وسمات الفكر الديني له عمق فلسفي تاريخي في الفلسفة القديمة والفلسفة الوسيطة ثم الحديثة، والإتجاهات الفكرية المعاصرة الأمريكية مهدت لظهور الفكر البراغماتي.

خصوصية البراغماتية عند أعلام هذا الفكر بنسق واحد إستخدموها، أم هناك تعدد وإختلاف في إستخدام هذا الفكر. وعلاقة الدين بالإعتقاد عند جيمس مختلفة كما أن صورة الأخلاق تتمثل في الدين، الدارس لهذا الفكر يلمس تأثر المدرسة البراغماتية بالفكر الإنجليزي، وقد تظهر النزعة الإنسانية عند جيمس متمثلة بصبغة دينية.

هكذا فالمذهب البراغماتي هو مذهب إنساني، لكن ما الدين الحقيقي الذي يتصوره جيمس، دين نشعر به يحقق لنا السعادة والخير أو دين نفعي يرتبط بالمصلحة الإنسانية إفتراضات كثيرة تحاول الدراسة الإجابة عنها إنطلاقا من فرضيتها العملية.

تصميم البحث:

إعتمدت في بحثي على خطة شاملة تتكون من مقدمة تضمنت مدخلا تاريخيا ومنهجيا للموضوع، وثلاثة فصول، وخاتمة تحمل عصارة نتائج البحث إضافة للمصادر والمراجع وهي على الأتي:

* الفصل الأول: تناولت فيه **الجانب الماهوي والجينيالوجي** وقد تضمن هذا الفصل مبحثين إحتوى المبحث الأول على مدخل مفاهيمي لبعض المفاهيم الفلسفية التي نالت إهتماما

كبيرا في فلسفة جيمس، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه تاريخانية وكرنولوجية الدين في تاريخ الفلسفة الغربية الأنجلوساكسونية ركزت فيه على نماذج من كبار الفلاسفة.

* أما الفصل الثاني: تناولت فيه **المرجعيات الكبرى للدين في الفكر البراغماتي** ويتضمن مبحثين، فالمبحث الأول خصصت فيه المقاربة البراغماتية بين روادها

(بيرس، جيمس، ديوي، رورتي) وخصوصياتهم والعلاقة الفلسفية بينهم وإستعرضت في المبحث الثاني النزعة الإنسانية وعلاقتها بالدين عند جيمس، ففي المطلب الأول إستعرضت الروح الإنسانية عند جيمس، أما المطلب الثاني تطرقت فيه لعلاقة سكوت شيلر Scott Schiller بنزعة جيمس الإنسانية.

* في الفصل الثالث: تطرقت إلى **فلسفة الدين عند جيمس** حيث تناولت في المبحث الأول الإعتقاد والدين عند جيمس من خلال توضيح حق الإعتقاد والتعايش بين المعتقدات وتحقيق الإيمان وموقفه من التجربة الدينية والتصوف، ثم بينت في المبحث الثاني الدين والأخلاق من خلال فكرة الإلزام الخلقي ومسألة التفاؤل الخلقي ومشكلة الحرية.

* أنهيت بحثي بخاتمة توصلت فيها إلى أهم النتائج العملية والفكرية والدينية وأهم ما يمكن الإستفادة منه في الحياة.

المناهج المتبعة:

من أجل إنجاز التصميم السالف الذكر ونظر لأهمية الموضوع وقيمته فإن إستخدام منهجا غير كاف، بل هناك حاجة ملحة لإتباع جملة من المناهج لتغطية جوانب الموضوع أهمها المنهج التحليلي، نطبقه من أجل تحليل جوانب من فلسفة جيمس وتحليل العلاقة الرابطة بين تجربته الدينية وأهم طروحاته الفلسفية كمشكلة الإعتقاد والحقيقة والأخلاق والحرية، والمنهج التاريخي الجينيالوجي الذي يستعمل في تتابع تطور بعض المشكلات الفلسفية كالدين والحقيقة تتابعا تاريخيا لمعرفة أسباب ظهورها وتطورها أيضا في تتبع الظروف والعوامل التي أدت إلى ظهور الفلسفة البراغماتية في أمريكا.

جمع وليم جيمس بين المعرفة العلمية التجريبية والفلسفية النظرية والدينية فنجاح أعماله وإنتشار فكره البراغماتي في العالم الأنجلوساكسوني، زاد من دهشة وإعجاب المثقفين لكن في المقابل لايزال مجهولا في ثقافات أخرى خاصة البلدان الفرانكفونية وفي الوطن العربي والإسلامي ومن بين الدراسات السابقة التي لها علاقة بالبحث ما يلي:

الدراسات السابقة للموضوع:

أ/في الوطن العربي: تم إنجاز رسالة ماجستير: فلسفة وليم جيمس تقديم محمود فهمي زيدان إشراف د.زكي نجيب محمود عام 1957. في مصر بجامعة القاهرة.

ب/ إنجاز رسالة ماجستير: البراغماتية تقديم الطالب عبد الهادي علي إشراف أ. م فاتنة جميل حمدي عام 1997 بدولة العراق بجامعة بغداد.

ج/إنجاز رسالة ماجستير: نظرية الصدق البراغماتية عند وليم جيمس رؤية نقدية تقديم الطالب كفاح أعمر بدران، إشراف د. عبد الله الجسمي سنة 2006.

ج/ في الجزائر تم عرض دراسات قام بها الأستاذ الدكتور البخاري حمانة.

صعوبات البحث:

لابد أن تكون هناك صعوبات عدة تواجه الباحثين خصوصا طلبة الدراسات العليا ولاسيما طلبة الماجستير بسبب قلة الخبرة في كتابة هذا النوع من الدراسة، والصعوبات التي تواجه الباحثين أصبحت من الأمور البديهية والمعروفة لدى الجميع ومعلومة للكثير. إلا أنها تختلف بإختلاف الموضوعات والبحث في الفكر الديني البراغماتي بوصفه فكرا دينيا لا يخلوا من الصعوبات التي تعيق نشاطه فقد واجهتني بعض الصعوبات نذكر منها على سبيل الحصر:

* مشكلة الترجمة التي غالبا ما تكون عائقا في الفهم الحقيقي وتحقيق الغرض المطلوب من الترجمة خاصة، إدا ترجمنا النص من الأصل باللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية تم إلى اللغة العربية، يتغير المعنى شكلا ومضمونا كما وجدنا مشكل في ندرة المصادر المتعلقة بموضوعنا ومصداقية المراجع التي أعتمدها.

* المصادر التي تناولت هذا الفكر تناولته بوصفه فلسفة وليس فكرا دينيا.

فقد واجهتني صعوبة كبيرة في إستخراج مادة فكرية دينية، ومحاولة الترجمة لبعض المصادر بلغتين الفرنسية والإنجليزية، أيضا الإعتماد على الكتب المترجمة بشكل أكبر.

أما بالنسبة للمصادر العربية مثلت صعوبة كبيرة بسبب عدم تناولها لهذا الفكر بشكل خاص، وكذلك عدم وجود دراسات سابقة فيما يخص الفكر الديني البراغماتي.

مستجدات وأفاق البحث:

من خلال هذا البحث حاولت السعي إلى تجاوز وجهة تصور الدين عند جيمس من خلال تقيم ونقد تجربته الدينية، وتحديد نقاط يمكن أن ينطوي ضمنها النقد والتأسيس لفكر ديني بعيدا عن المنفعة الخاصة، والتوجه بنموذج ديني صحيح، يمكن أن يساهم في الأفق العامة الأخلاقية والإجتماعية والسياسية والدينية للفكر العربي الإسلامي المعاصر.

الفصل الأول: من الماهية إلى الجينيالوجيا

توطئة

المبحث الأول: شبكة المفاهيم

تحديد مفهوم الدين، التدين، الإيمان، الإعتقاد

تحديد مفهوم البراغماتية، الحقيقة

المبحث الثاني: تاريخانية الدين في تاريخ الفلسفة الغربية الأنجلوساكسونية

الدين عند التجريبين

الدين عند المثاليين

توطئة:

الدين ظاهرة صاحبت الإنسان في جميع العصور ومند فجر التاريخ تميز الإنسان بالتدين، فإذا كان أرسطو Aristote قد عرف الإنسان بأنه حيوان ناطق أي مفكر فقد عرفه غيره من الفلاسفة بأنه حيوان متدين، فذهب هيغل Hegel إلى القول أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بقدر إفتقارها إلى القانون والأخلاق. فالدين ليس مرحلة منقضية من تاريخ الفكر الإنساني بل هو سمة أصلية في هذا الفكر لهذا يعتبر الدين مصدرا بدائيا للثقافة الإنسانية، فالبشرية تؤمن بوجود إله وتسعى إلى بلوغ هذه الحقيقة، ويرى بعض الباحثين أن فكرة الإله إذا أخدت بمدلولها الضيق فإنها تترك كثيرا من الأديان خارج دائرة التعريف المعتاد للألهة.

يرى مؤسس الأنتروبولوجيا في بريطانيا *إدوارد تيلورEdward Taylor في كتابهprimitive culture:" إن المطلب الأول في الدراسة المنهجية لأديان الشعوب البدائية هو وضع تعريف بدائي للدين ذلك أن التوكيد على الإيمان بكائن أعلى من شأنه أن يخرج المعتقدات البدائية من دائرة الدين، لأن مثل هذا الإيمان هو مرحلة متطورة من الحياة الدينية، من هنا فإن الأفضل أن نضع حدا أدنى لتعريف يقتصر على الإيمان بكائنات روحية"1. ضبط مفهوم الدين أمر بالغ التعقيد كونه مرتبط بالحياة البشرية فهو يمس الإنسان في حياته وأخلاقه وسلوكه وعاداته، فتحديد تعريف مقنع للدين صعب المنال كما يقول c.c.web: "الدين لا يمكن تعريفه"، ويرى غيره أن "البحث في التعريفات المتعددة للدين لن يكون سوى عملية تجميع للمعلومات أكثر منه تقديم تعريف جديد للدين"2.

*** ولد تايلور في مدينة لندن سنة 1832 وعلى الرغم من أنه لم يتلق دراسة جامعية منتظمة ومنهجية، إلا أنه أصبح أستاذ علم الأجناس في جامعة أكسفورد من عام1896 إلى 1909 وهو رائد الإتجاه التطوري وأسهم في تطوير الدراسات المقارنة للأديان وقدم في مجال دراسة المعتقدات مفهوم الأنيمة (الأرواحية) نظرية لتفسير الديانة وتطورها العالمي، وقد إستنتج من دراسته الميدانية لقبائل الهنود الأمريكيين أن جميع العقائد الدينية ظهرت نتيجة للتفسير الخاطئ لبعض الظواهر التي يتعرض لها الإنسان مثل الأحلام والموت، له مؤلفات عديدة منها :الثقافة البدائية، أبحاث في تاريخ البشرية القديم، توفي سنة 1917**

1–السواح فراس، **دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، دار علاء الدين للنشر، دمشق،ط3، سنة2000، ص24.

2-**Encyclopedia of Religion and ethis**, edited by James Hasting, volume,X edinburgh T,T clark.N.Y.C seribner's Sons,1971(ART Religion) p 662.

أولا– الدين (religion, religio)

أ– **لغة:** مشتق من اللاتينية religio، تعني الاحساس المصحوب بخوف وتأنيب ضمير بواجب ما تجاه الالهة، عند القدماء كانت سوى كلمة religiones ديانات[1].

الدينreligion إشتقاق مجادل فيه يستخرج معظم القدماء "لاكتانس أوغسطين سرقيوس" كلمة الدين منreligare ويرون فيه فكرة الربط الواجب إتجاه بعض الممارسات وإما الربط الجامع بين الناس أو بين البشر والألهة. يشتق سيشرونCicérone الدين من كلمة relire بمعنى تجديد الرؤية بدقة revoir avec soin ويعرفه في كتابه عن القوانين "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله"[2]. ويعرف الدين لغة حسب الموسوعة العربية العالمية: الملك والحكم والتدبير من دانه دنيا أي ملكه وحكمه وحاسبه و قهره[3].

يعرفه الدكتور عبد المنعم الحنفي في معجمه الشامل لمصطلحات الفلسفة الدين لغة بمعنى العادة ويطلق بمعنى أوسع على الحق والباطل يشمل الشرائع وفروعها لأنه عبارة عن وضع إلهي سائق لدوي العقول بإختيارهم المحمود إلى الخير بالذات. يطلق على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملة، الدين ينسب إلى الله الملة تنسب إلى الرسول والمذهب إلى المجتهد[4]. يعرفه الدكتور مصطفى حسيبة في المعجم الفلسفي الدين من دان، خضع ودل وهو طاعة المرء وإلتزامه لما يعتنقه من أفكار ومبادئ[5]. حسب الدكتور مراد وهبة يعرفه في المعجم الفلسفي الدين يعبر عن العلاقة بين المطلق في إطلاقه والمحدود في محدوديته ولهذا يتصف أي دين بما يلي[6]:

1– لالاند، أندري، **الموسوعة الفلسفية**، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلدالثالث، RZ منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس فرنسا، ط1، سنة1996، ص1205.

2– المعجم نفسه، ص1203

3– **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط2، دس، ص586.

44– عبد المنعم الحنفي، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، سنة2003، ص177.

5– مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، سنة2009، ص222

6– مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دس، ص 332.

– الإعتقاد في المطلق– تحديد علاقة الفرد بهذا المطلق– ممارسة شعائر وطقوس معينة ويعرفه الدكتور عبده الحلو في معجم المصطلحات الفلسفية، الدين مجموعة من القيم والإدراكات والأفعال والتصورات التي يؤمن بها الإنسان على أساس تلقيها من الوحي الإلهي بواسطة الرسل والأنبياء1.

يعرفه الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعة الفلسفة الدين لغة هو العادة والشأن بمعنى أخر طاعة المرء والتزامه لما يعتنقه من فكر ومبادئ عند العرب، فالدين يشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الأخر ويخضع له2. وحسب جورج طرابشي في معجم الفلاسفة، الدين يطلق على مجموعة من الأفكار والعقائد التي توضح بحسب معتنقيها الغاية من الحياة أو هو الإعتقاد المرتبط بالإلهيات3.

ب–إصطلاحا: الدين ما شرعه الله لعباده من أحكام يقول أبو البقاء في كلياته"الدين وضع إلهي سائق لدوي العقول بإختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، قلبيا كان أو قالبيا

(أي معنويا أو ماديا) كالإعتقاد والعلم والصلاة"4. عرفه الإسلاميون أنه وضع إلهي سائق لدوي العقول السليمة بإختيارهم إلى الصلاح والفلاح في المأل، فالدين بمقتضى هذا الإصطلاح هو وضع إلهي يرشد إلى الحق في الإعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات5. في الإصطلاح العام: ما يعتنقه الإنسان ويعتقد هو يدين به من أمور الغيب والشهادة6. هناك ثلاثة أديان سماوية: الإسلام، اليهودية، المسيحية، والأديان الوثنية: الهندوسية، البودية الزراديشتية، الكونفوشية. يطلق الدين على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملة وهنا نفرق بين:

الدين ينسب إلى الله، الملة تنسب إلى الرسول، المذهب ينسب إلى المجتهد.

1– عبده الحلو، **معجم المصطلحات الفلسفية**، المركز التربوي للبحوث والانماء، مكتبة لبنان، بيروت ط، سنة1994، ص150.

2– بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، سنة1984، ص169.

3– طرابشي، جورج، **معجم الفلاسفة**، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، د س، ص230.

4– بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، سنة1984، ص169.

5– طرابشي، جورج، **معجم الفلاسفة**، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، سنة، ص203

6– المعجم نفسه، ص 230

أما الشريعة تضاف إلى الله والرسول والأمة فهي من حيث يطاع بها تسمى دينا ومن حيث يجتمع عليها تسمى ملة[1]. يقول الدكتور إبراهيم مذكور في المعجم الفلسفي الدين مجموعة معتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة، يسد حاجة الفرد والمجتمع أساسه الوجدان وللعقل مجال فيه[2]. يقول الجرجاني " الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم"[3].

يقول الفارابي"الدين والملة يكونان إسمين مترادفين، متحدان بالذات ومختلفان بالإعتبار فالشريعة من حيث تطاع تسمى دينا ومن حيث تجمع الناس تسمى ملة"[4].

مفهوم الدين عند علماء الإجتماع وعلماء النفس وعلماء الإنسان ينظرون إلى الدين على أنه مجموعة مجردة من القيم والمثل أو الخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية، أما علماء الدين يرون أنه لا يمكن إختصار الدين بمظاهر إجتماعية وثقافية جماعية التي لا تشكل إلا مظاهر ناتجة عن الدين.

الدين هو الوعي والإدراك للمقدس وهو إحساس بأن الوجود والعالم تم إيجاده بشكل طبيعي عن طريق الإله أو الخالق. ويمكن أن يؤثر الدين على النفس الإنسانية، وعلاقاتها بالمجتمع من هنا نضبط مفهوم الدين من وجهة نظر علماء الإجتماع وعلماء النفس[5].

أ- مفهوم الدين عند علماء الإجتماع:

الدين بمعناه العام هو كل إعتقاد بأمور وقيم ما ورائية ثابتة، وليس ضروريا أن تستند هذه الأمور إلى الوحي الإلهي فثمة أديان لا تقر بوجود الله كالبوذية مثلا، ومن هنا إعتبر بعض علماء الإجتماع الدين ظاهرة إجتماعية ودرسوه على هذا الأساس.

1- **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط2، دس، ص586

2- عبد المنعم الحنفي، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، سنة2003، ص359

3 - إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة1983، ص67

4- إبراهيم مذكور، المعجم نفسه، ص 230

5- جوردن مارشال، **موسوعة علم الإجتماع**، ط1، سنة2000، ص 750.

يعرف إيميل دوركايم *Emile Durkheim الدين" هو منظومة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة أي منفصلة محرمة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحد يدعى جامعا لكل الذين ينتمون إليه"[1] يعتبر الدين عاملا هاما في حياة المجتمع إذ يغير أشكاله طبقا لمرحلة التطور التي بلغها المجتمع، سيبقى الدين ما بقي الإنسان لأن المجتمع مأله في الدين ذاته[2].

ومن معاني الدين عند الفيلسوف الإجتماعي دوركايم إنه مؤسسة إجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير مقدس، ولها جانبان أحدهما روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية، والأخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات[3]

ب- مفهوم الدين عند علماء النفس: إن الدين في علم النفس يشكل جانبا مهما من شخصية الفرد، وهو الذي يحدد سلوكه ويساهم في توازنه النفسي، يعرفه إريك فروم Erich *Fromm يعد من أهم التعريفات النفسية "الدين مذهب للفكر والعمل تشترك فيه جماعة ما ويعطي للفرد إطارا للتوجيه وموضوعا للعبادة "[4] هنا يؤكد فروم على أن المظهر النفسي للدين يؤثر على البيئة النفسية للأفراد وعلى سلوكاتهم.

*** إيميل دوركايم فيلسوف وعالم إجتماع فرنسي ولد سنة 1858من أسرة يهودية، حصل على درجة دكتوارة سنة 1882، ثم أصبح أستاذ التربية في جامعة السوربون سنة 1902، يعتبر أحد مؤسسي علم الإجتماع الحديث وأحد رواد المدرسة الوضعية من أهم مؤلفاته قواعد المنهج الإجتماعي سنة1895، الإنتحار سنة1897، الأشكال الأولية للحياة الدينية سنة1912، التربية الخلقية سنة1915، توفي سنة 1917.**

1- م روزنتال، ب يودين، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، سنة1984، ص201.

2- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، سنة1982، ص201

3- إريك، فروم، **الدين و التحليل النفسي**، ت فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، مصر،ط1، سنة2003، ص25

***إريك فروم، ولد بمدينة فرانكفورت الألمانية سنة 1900 من عائلة يهودية، درس بجامعة هايدلبيرغ العلوم الإجتماعية والنفسية والفلسفة، حاز على درجة الدكتوراه في أطروحته " القانون اليهودي مساهمة في علم إجتماع الشتات اليهودي" هاجر إلى أمريكا سنة1934، من أهم أعماله الهروب من الحرية 1941، التحليل النفسي والدين 1950، المجتمع السليم 1955 توفي سنة 1980.**

4- إريك فروم، د.ت، سوزوكي، **فرويد و بوذا، التصوف البوذي و التحليل النفسي**، ترجمة ثائر ديب، المركز الثقافي دمشق سوريا، ط2، سنة 2007، ص34.

***نظرة سيجموند فرويد للدين:**

يرى *سيجموند فرويدFreud Sigmund أن الدين هذيان وأنه يشوه الواقع ويزجر العقل ولا يحقق السعادة التي يبتغيها الإنسان يقول" إن الدين يضر بلعبة التكيف والإنتخاب تلك إذ يفرض على الجميع وعلى نسق واحد، طرقه الخاصة للوصول إلى السعادة وللفوز بالمناعة ضد الألم. وتقوم خطته على تخفيض قيمة الحياة وعلى تشويه صورة العالم الواقعي تشويها بالغا، وهذا نهج يتخذ مسلمه له زجر العقل وتخويفه. وبهذا الثمن يفلح الدين، بإلباسه أتباعه بالقوة ثوب طفولة نفسية ويزجهم جميعا في هذيان جماعي"1.

***علم النفس الديني**Psycology of Religion:

يولي اللاهوتيين المعاصرين إهتمام كبيرا للجوانب السيكولوجية للدين في محاولة لتحويل الدين إلى عامل داخلي من عوامل الحياة الداخلية، أي إلى عامل نفسي وينضوي ممثلو علم النفس الديني التجريبي تحت لواء الوضعية والدراسة الموضوعية للدين وتدرس هذه المدرسة المشاعر الدينية للأفراد المنفصلين وترد الدين إلى حالة سيكولوجية ذاتية وتتجاهل الأسباب الإجتماعية.2

التعريف الفلسفي للدين: يقول بيير لاروس *Pierre la rousse في معجمه "إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى التي أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية وإن الغريزة الدينية لا تختفي بل و لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد"3

*** Freud فرويد طبيب نفساني ومفكر نمساوي ولد سنة 1956، من عائلة يهودية إنظم إلى كلية الطب في جامعة فيينا، حصل على الدكتوراه سنة1881، عين محاضرا في علم أمراض الجهاز العصبي سنة 1885، أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث من أهم أعماله دراسات في الهيستيريا سنة 1895، تفسير الأحلام، الأنا والهو، توفي سنة1939.**

1- م روزنتال، ب يودين، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة سمير كرم، مرجع سابق ، ص314.

2- م روزنتال، ب يودين، الموسوعة الفلسفية، السابقة، ص316

*** Pierre la rousse بيير لاروس 1817–1875 معجمي وموسوعي فرنسي أنشأ في سنة 1852 دارالنشر، لا تزال تحمل إسمه إلى يومنا من أهم أعماله" "القاموس الجامع الكبير للقرن التاسع عشر" يقع في 15 مجلدا.**

3- **nouveau la rousse encyclopédique dictionnaire** en 2 volumes, kondratiev , zythum, imprimé en Italie,volume2,anné2003,p1322

يصنف *موريس جاسترو Morris Gastrow ثلاثة قواعد لتعريف الدين1:

– شعور البشر بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم– إعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوة– سعي البشر إلى إيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة

يقول موريس Morris"يطلق الدين بوجه عام على علاقة البشر بما يعتبر مقدسا"2

KARL MARX :

*Die Religion ist der Seufzer der Bedrangten Kreatur, das Gemut einer herzlosen welt, wie sieGiest geistloser zustande ist, sie ist das Opium Volkes.

يقول كارل ماركس: "الدين هو زفرة الخليقة المقهورة وهو مزاج عالم بلا قلب وهو الروح لأحوال بلا روح، إنه أفيون الشعوب"3.

الدين عند القدماء وضع إلهي يسوق دوي العقول إلى الخير، ويعرف الدين في الفلسفة الحديثة على أنه جملة من الإدراكات والإعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه وطاعتها لأوامره. من خلال ما سبق نستنتج أن الدين مفهوم إختلفت حوله الأراء، فمعظم القواميس تعرف الدين أنه مجموعة من المعتقدات والشعائرالتي تعبرعن علاقة الإنسان بالإله وبالمقدس4.

ثانيا– الإعتقاد (believe,croyance)

أ– **لغة:** مشتق من الكلمة اللاتينية Crédentia، من فعل Credere وتعني التصديق أو الإيمان5.

***موريس جاسترو 1861-1921 أحد مشاهير العلماء المستشرقين في أمريكا، كان أستاذ في جامعة فيلادليفه، له أبحاث عديدة في الأديان وأصولها وأطوارها من أعماله معجم للغة اليهودية، التلمودين البابلي .**

1– **جيماني فايتمو وأخرون**، دائرة المعارف الفلسفية، المكتبة العامة، باريس، منشورات كتاب الجيب، سنة2002، ص1141.

2- المرجع نفسه، ص1145

3– محمد أحمد منصور، **موسوعة أعلام الفلسفة**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، سنة2001، ص310.

4– إبراهيم، مذكور، **المعجم الفلسفي**، معجم اللغة العربية، القاهرة مصر، دط، سنة1983، ص17

5- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، سنة1982، **ص99**

في معاجم اللغة العربية هو التصديق والاطمئنان والعقيدة لغة من العقد وهو الربط والإبرام والأحكام والتوثيق والشدة بقوة والعقد نقيض الحل ويقال عقده يعقده عقدا والعقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. في المعجم الوسيط العقيدة في الدين يقصد بها الإعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعث الرسل1. وكلمة الإعتقاد لم ترد في القرآن الكريم فقد وردت مادتها التي تدل على الربط والأحكام والتوثيق يقول الطبري في تفسيرمعنى العقود" تعني أوفوا بالعهد الذي عاهدتموها ربكم والعقود التي عقدتموها إياه"2.

ب-إصطلاحا: هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقينا ثابتا. ويقصد بالاعتقاد الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده سواء كان حقا أم باطلا، فهو مجموعة المبادئ والأفكار التي يؤمن بها الفرد بصحتها ليبني عقيدته عليها. والتعلق بفكرة والتسليم بصحتها وتقوم على إعتبارات أخلاقية ودينية3.

الإعتقاد إعتناق فكرة والتسليم بصحتها ويقوم على إعتبارات إجتماعية أو وجدانية أو عقلية وهو درجات أقواها الراسخ الحازم وهو اليقين العاطفي بأمور غير برهانيه. والإعتقاد في المشهور هو الحكم الذهني الجازم القابل للتشكيك بخلاف اليقين قيل هو إثبات الشيء بنفسه أو هو التصور مع الحكم. وله معنيان أحدهما عام والأخر خاص فالإعتقاد بالمعنى العام يطلق على الرأي والظن والإعتقاد بالمعنى الخاص يطلق على التقه4.

الإعتقاد فعلا إراديا مبنيا على عوامل مقبولة تصلح للتفاهم إلا أنها مباينة لمفهوم الشيء المصدق به، إذا قلنا أن الحكم فعل إرادي حر، كان الإعتقاد المستقل عن العوامل المرجحة دالا على حرية الإختيار ويسمى الإعتقاد في هذه الحالة إيمانا5.

1- إبراهيم انيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله احمد،ا **لمعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر ط4، سنة2004، ص601.

2- المعجم نفسه، **المعجم الوسيط**، ص609.

3- تفسير الطبري، الجزء4، ص385.

4- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، سنة1982، ص105

5- المعجم نفسه، ص 106

الإعتقاد عند *القديس أنسلمSaint Anselme" أعتقد حتى أفهم" يرى أن الإعتقاد إرادة والإيمان يأتي تصديقا ويأتي الفهم الذي يعتبر من صور الإيمان وتوضيحا له"1.

الإعتقاد فعل إراديا وهذا ما أشار إليه رينوفيه Charles Bernard Rénouvier في كتابه "إرادة الحرية" تأثر جيمس به فالإعتقاد لا يحدث دون عوامل إنفعالية فقوة الإرادة تفوق قوة العقل"2. إرادة الإعتقاد تعني عند وليم جيمس شعور الإنسان بالحاجة إلى قبول بعض المعتقدات التي لا يرفضها العقل والتي تثبت مشروعيتها من الفوائد الحاصلة منها مثل الحاجة إلى الثقة بالنفس التي متى قبلها الإنسان قوت عزيمته وزادت قدرته فحصل مراده وتبث له بذلك أنه كان محقا في إعتقاد الثقة بالنفس مبدأ3. إرادة الإعتقاد عبارة أشاعها جيمس وهي التسليم بمعتقدات قد لا يبرزها العقل ولكن تبرزها المنافع العملية التي تنتج عنها فهي لا تتضمن إيمانا إعتباطيا لا يميز بين الصحيح والفاسد من المعتقدات4.

ثالثا– الإيمان: FOI, FAITH FIDICIA

لغة: مشتق من الكلمة اللاتينية FIDICIA وتعني التصديق، يقال أمن بالشيء صدق وضده التكذيب يقال أمن به قوم وكذب به قوم. ويعني الانتماء الروحي القوي شديد القوة ذاتيا مثل الإنتماء الذي يكون اليقين، لكنه غير قابل للتوثيل بالبرهان مرادف إعتقاد CROYANCE هذا المعنى هو أكثر ترددا عندما تكون هده الكلمة معارضة بنحو عام لكلمة SAVIORعلم معرفة وعندما يتعلق الأمر بالإيمان الذهني خاصة يكون العقل RAISON هو اللفظ المقابل عمليا5.

***القديس أنسلم الكنتربري saint anselme de Cantorbéry من فلاسفة أروبا في القرن الحادي عشر ولد عام1033 في أوستا Aosta في شمالي إيطالية وتلقى تعليمه في مدرسة دينية، من أهم مؤلفاته كتاب " مناجاة النفس" عرض فيه ثلاثة أدلة على وجود الله، إستند فيها على فكرة التدرج في الكمال في سبيل الوصول إلى الخير المطلق والموجود الأول بذاته توفي سنة 1109.**

1– صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط،سنة1985، ص78

2- إبراهيم، مذكور، **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة1983، ص30

3– محمود يعقوبي، **معجم الفلسفة**، الميزان للنشر والتوزيع، درارية، الجزائر، ط2، سنة1998، ص08

4– المعجم نفسه، ص107

5– لالاند، أندري، **الموسوعة الفلسفية**، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلدالثالث، Z R منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1، سنة1996، ص436.

تعريف الجرجاني: "الإيمان في الشرع إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي وإعتقاده وتصديقه، فمن إعتقد وشهد وعمل فهو مؤمن غير شاك ولا مرتاب ومن إعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق". والأصل في الإيمان في صدق الأمانة وهي النية التي يعتقدها الإنسان فيما يظهر بلسانه من الإيمان ولدلك قيل الإيمان أمانة ولا دين لمن لا أمانة له1.

إصطلاحا: التصديق بالقلب، تقول أمنت بالشيء أي صدقته وإعتقدته، فالإيمان هو الثقة المطلقة بشخص أو بقول مضمون الصدق نقول: أمن بالشخص أو بالقول وتق به وأمن بما جاء في العهد فالإيمان بهذا المعنى هو الثقة والطمأنينة معا، ومن معاني الإيمان تسليم النفس بالشيء تسليما راسخا لا تقل قوته من الناحية الذاتية عن قوة اليقين2.

المعنى العام للإيمان هو إعتقاد راسخ لا يقل عن اليقين ولكن لا يمكنه نقله عن طريق البرهان، يعتمد أساسا على الثقة وطمأنينة القلب أكثر مما يعتمد على الحجج العقلية والإيمان إدراك شيء ما على أنه صادق دون برهان.

رابعا– التدين: religiousness, godliness, devoutness

لغة: هو التمسك بالدين في القول والعمل نقول هدا الشخص معروف بتدينه أي تعبده وذلك بإتخاده دينا سماويا.وهو التمسك بعقيدة معينة لا يؤمن إلا بها ويخضع لها ولتعاليمها.

إصطلاحا: التسليم لله عز وجل والتدلل له والخضوع والطاعة والإمتثال 3.

يقول الدكتور عبد المجيد النجار "إن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين، إذ الدين هو ذات التعاليم التي هي شرع إلهي، والتدين هو التشرع بتلك التعاليم فهو كسب إنساني"4.

إذا كان الدين كوضع إلهي يتصف بالوحدة (على مستوى أصوله)، فإن التدين ككسب بشرى يتصف بالتعدد والتدين أنواع:

1- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، سنة1987، ص20

2– إبراهيم، مذكور، **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د ط، سنة1983، ص29

3- محمد رواس قلعة جي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، سنة2006 ص116

4- عبده الحلو، **معجم المصطلحات الفلسفية**، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، سنة1994، ص133

التدين المعرفي: هو التدين المقصور على المعرفة بقيم وقواعد الدين.
التدين الوجداني: يقتصر على العاطفة الدينية وعن معرفة قيم وقواعد الدين والسلوك الملتزم بهما.
التدين السلوكي: هو التدين المقصور على السلوك، القاصر عن العاطفة الدينية و معرفة قيم وقواعد الدين.

خامسا- البراغماتية: PRAGMATISME,PRAGMATISM

كلمة براغماتية مشتقة من اللغة اليونانية" براغما"التي تعني الفعل وهناك من يرى أنها مشتقة من الفعل براسو prasso أوبراتين prattein الذي يشير إلى الفعل براغما pragma ومعناه العمل، فهي مذهب فلسفي يقر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة فكل ما يتحقق بالفعل فهوحق ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية.ومعنى ذلك أنه لا يوجد في العقل معرفة أولية تستنبط منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي1.

البراغماتية هي مذهب ظهر في أواخر القرن التاسع عشر مع بيرس وجيمس وتعني أن المعرفة مجرد ذريعة إلى العمل، وأن الصدق تابع للخبرة وأن مقياس الصواب في المعرفة والعمل إنما هو الإستفادة. مذهب يرى أن معيار صدق الأراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملا وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة وصدق قضية يكمن في كونها مفيدة وله صور في الفلسفة والدين والأخلاق. منهج للفعل في الواقع وليس لتأمل فقط حيث يتم تمثل هدا الواقع وإدراكه عن طريق الوعي لأنه السبيل الوحيد للمعرفة2.

يعرفها لالاند في معجمه الفلسفي صفة ذريعي ذرائعي عملي وبراغماتيكي بمعنى أنها صفة مأخوذة من برا غما، أي فعل ومعنى الذريعي مزدوج ما يختص بالعمل النجاح الحياة سواء في مقابل المعرفة الفطرية أو في مقابل الواجب الأخلاقي.

1- **لالاند، أندريه، الموسوعة الفلسفية**، تعريب خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، تلاث مجلدات ط1،2،3 منشورات عويدات، بيروت، لبنان 2001، ص203

2- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1،2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، سنة1985 ، ص 152

عند اليونان: حقيقي فعال، قابل لإستعمالات نافعة في مقابل ما هو فارغ، كلام فارغ حسب بعض مؤرخي الفلسفة فإن أصحاب الحركة البراغماتية قد دمجوا لفظين يونانيين معا براغما "الأشياء المصنوعة" وبراغما " الفعل".

يقول **جيمس James** :"القيمة البراغماتية لوحدة العالم هي أن كل الشبكات المحددة المعينة موجودة فعلا (مادة – فكر) وقائمة عمليا (تجربة) وراهنة في واقع الأمر حادثة"1.

يقول **جون ديوي John Dewey** : "إني أؤكد على سبيل الجزم أن لفظ براغماتي لا يعني إلا قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الإعتبارات التأملية إلى نتائجها"2.

سادسا– الحقيقة Verité,truth, veritas:

لغة: ما أقر في الإستعمال على أصل وضعه والمجاز ما كان بضد ذلك وحقيقة الشيء خالصة وحقيقة الأمر شأنه وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه. يدل لفظ الحقيقة منطقيا على مطابقة الفكر لذاته وواقعيا على مطابقة الحكم لموضوعه فهي ثلاثة:

– مطابقة التصور أو الحكم العقلي للواقع – مطابقة الشيء لجوهر نوعه (بلوغ حقيقة الإيمان) – ماهية وذات حقيقة الإنسان أنه عاقل3.

الحقيقة عند البراغماتيين هي الفكرة الناجحة أوالنافعة أوالفرضية العلمية التي تحققها التجربة، والحقيقة عند الماركسيين هي مطابقة الفكرة للشيء أو هي المعرفة المعبرة عن الوجود الموضوعي، أما عند الوجوديين فالحقيقة هي تجلى الواقع للمدرك بحيث يتصور الشيء كما يشاء في حرية تامة فالحقيقة نتيجة فعل حر لا معنى لها بالنسبة إلى الفرد إلا إدا كونها بنفسه4.

1- محمد جديدي، **فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 سنة 2004، ص32

2- المرجع نفسه، ص35

3- **عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية**، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، بيروت، دط، سنة1994، ص103.

4- لالاند، أندري، **الموسوعة الفلسفية**، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلدالثالث،RZ منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1، سنة1996، ص306.

المبحث الثاني: تاريخانية الدين في تاريخ الفلسفة الغربية الأنجلوساكسونية

توطئة: يمكن التحدث عن التجربة الدينية بعمق فلسفي بداية مع الفلسفة السكولائية وهي الإسم الذي يطلق على فلسفة المدرسة في القرون الوسطى التي حاول أتباعها تقديم برهان نظري للنظرة الدينية العامة للعالم.

يمثل القديس* توماالإكويني Thomas Aquinas أحد رواد الفلسفة المسيحية الكاثوليكية الذين أسهموا في تحويل اللاهوت من السيطرة الأفلاطونية، التي جاءت على يد القديس أوغسطين Augustin في القرن الرابع ميلادي إلى الأرسطية(نسبة إلى فلسفة أرسطو) من خلال إستنتاجاته للمقدمات المنطقية لأرسطو، في خدمة ميتافيزيقا الخلق والله فالحقيقة عنده أن العقل يجب أن يخضع لسيطرة النصوص الدينية هكذا تتلخص روح فلسفة العصور الوسطى في أن" الفلسفة خادمة للاهوت"1.

يعد عملاه الرئيسيان"بحث في اللاهوت" و"بحث في حقيقة الإيمان الكاثوليكي" هما دعامة النظام الكلاسيكي للاهوت اللاتيني هذا ما جعل الإكويني في نظر الكنيسة الكاثوليكية أبرز فلاسفة الغرب واللاهوت.

يمتد عصر النهضة بداية مع سنة 1300إلى سنة 1600 وهي تمثل حلقت الإتصال بين العصر الوسيط والعصر الحديث، وكانت النهضة بوصفها حركة فكرية إحيائية قد بدأت في إيطاليا تم إمتدت إلى أوروبا وظهرت حركة مزدوجة تتمثل في العودة إلى التراث اليوناني والتحرر من الفلسفة الكنيسية المدرسية، فتمت إعادة قراءة التراث اليوناني وإزدهار العلوم والرياضيات، والبحث عن الحقيقة بعيدا عن سيطرة الدين2.

*** توما الإكويني 1225–1274 فيلسوف ولاهوتي إيطالي كاثوليكي وهو أحد علماء الكنيسة، من أبرز مؤسسي الفلسفة المدرسية من أشهر مؤلفاته" الخلاصة اللاهوتية"، "خلاصة في الرد على الأمم".**

1– فيصل عباس، **موسوعة الفلاسفة**، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، سنة1997، ص156

2- ديورانت، ويل، **قصة الفلسفة**، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، لبنان، بيروت، ط 6، سنة1988، ص140.

لقد رسخت في تاريخ الفلسفة الإنجليزية معالم فكرية هامة من بينهم*فرنسيس بيكون Francis Bacon كان أول فيلسوف أقام منهج علمي جديد خاصة مع مؤلفه الشهير "الأرغانون الجديد" يقول: " إن العقل دون تجربة لا ينتج إلا أوهام"1.

يعتبر بيكون حلقت إتصال بين الماضي والحاضر أدرك أن إنحطاط الفلسفة راجع إلى إختلاط الدين بالفلسفة، وإعتماد الناس في أحكامهم على الأدلة النقلية والعقل النظري يقول بيكون: "الإنسان خادم الطبيعة ومفسرها"2.

تزامن هذا مع أفكار الفيلسوف الإنجليزي* توماس هوبز Thomas Hobbes الذي تكون في جامعة أكسفورد تأثر بأفكار "كوبرنيكوس" وغاليلو" وكلبر" Copernic et Galilée et Kepler"وخلال الثورة الإنجليزية توجه إلى القارة الأوربية، مؤلفه الشهير "بيهموتbehemoth"1668 يتحدث فيه عن تاريخ الحرب الأهلية.

في القرن السادس عشر ظهرت الثورات البرجوازية الأولى تحت راية النزعة الدينية الإصلاحية البروتستانتية، لقد كانت هذه الفترة من أكثر عصور الفوضى التي شهدتها إنجلترا في تاريخها، وضمن التيار التجريبي نجد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك Locke John ظهرت فلسفته في عصر الحرب الأهلية الإنجليزية بين الملك والبرلمان3. كان لجون لوك دورا كبيرا غير مباشر في الثورة الأمريكية إذ أن كتابه "رسالتان في الحكم" كان محط إعجاب الأمريكيين. تتميز تجريبية لوك أنها جمعت بين عمل العقل والتجربة من جهة و الإيمان والوحي من جهة أخرى هكذا تبقى تجريبيته تضع للعقل حدودا مزدوجة من الخبرة التجريبية ومن الإيمان والوحي، لكن ما نظرة لوك إلى الدين؟

***فرنسيس بيكون فيلسوف ورجل سياسي إنجليزي ولد عام 1561 في لندن وكان والده موظفا حكوميا، إلتحق بكلية ترينيتي وهي تابعة لجامعة كمبردج سنة1573، يعتبر من التجريبين وساهم في حل مشكلات علمية من أهم مؤلفاته "التقدم في التعليم" 1605 الأورغانون الجديد 1620، وكتب مقالات عديدة توفي سنة 1626.**

1- ديورانت، ويل، **قصة الفلسفة**، ص142

2- المرجع نفسه، ص143

***توماس هوبز Thomas Hobbes فيلسوف إنجليزي ومفكر سياسي يعتبر من المادين المحدثين، ولد في وستبورت بإنجلترا سنة1588 أبوه قسيس، درس الفلسفة في جامعة اكسفورد وتخرج سنة 1608 سافر إلى أروبا ثلاث مرات، من أهم مؤلفاته "الرسالة الصغيرة" سنة1637، كتابه المواطن سنة1642، بيهموت سنة 1668، توفي سنة 1976.**

3– كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص143 .

1-* الدين عند جون لوك John Locke :

ولد جون لوك في إنجلترا وقد تعلم في جامعة أوكسفورد وكان في شبابه مهتما بالعلوم ولقد حدثت نقطة تحول في حياته، عندما تعرف على (الأيرل شافتسبري) الذي كان يعتنق ويؤيد الأفكار السياسية الحرة وقد قاسى بسبب هذه الأفكار إذ سجنه الملك شارل الثاني بسبب نشاطه السياسي الحر وقد هرب إلى هولندا.

كان لجون لوك أول كتاب يجمع شتات أفكار أساسية للديمقراطية الدستورية وقد أثرت أفكاره، على مؤسسي الولايات المتحدة وعلى كثير من الفلاسفة في حركة التنوير الفلسفية الفرنسية في القرن الثامن عشر.

الكتاب الشهير هو "رسالة في الطبيعة الإنسانية"1738 ناقش فيه أصل وطبيعة وحدود المعرفة الإنسانية وكانت وجهات نظر لوك Locke تجريبية محضة، وظهر على أفكاره بوضوح تأثير فرانسيس بيكونFrancis Bacon وديكارتDescartes وقد أثرت أفكاره بدورها على كثير من المفكرين فيما بعد أمثال جورج باركلي George Berkeley ودافيد هيوم David Hume وإيمانويل كانت Emmanuel Kant. ومع أن كتاب (المقالة) كان الكتاب الأكثر أصالة من مؤلفات جون لوك وهو من أهم الكتب الكلاسيكية في الفلسفة إلا أن مؤلفه "رسالة عن سياسة التسامح الديني"، أكد فيه أن الدولة لا يجب أن تتدخل في ممارسة الطقوس الدينية هذه الأفكار كانت سببا في نمو تأييد الرأي العام لهذه الفكرة وقد وسعى فكرة التسامح الديني لتشمل غير المسيحيين.

يقول جون لوك: "لا الوثنيون ولا المسلمون ولا اليهود يجب أن يستثنوا من الحقوق المدنية بسبب أديانهم ولكنه كان قد إستثنى الكاثوليك لكونهم يدينون بالولاء إلى حاكم أجنبي (البابا) وكذلك الملحدين"1.

***جون لوك john locke فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي ولد في عام1632، دخل مدرسة وستمنستر البريطانيةثم تعلم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، فهو أحد كبار ممثلي النزعة التجريبية الإنجليزية ومؤسسي الليبرالية له عدة مقالات" مقال خاص بالفهم البشري، رسالتان في الحكم المدني"، رسالة التسامح، توفي سنة1974.**

1- جون لوك، **رسالة في التسامح**، ترجمة متي أبو سنة، مراجعة مراد وهبة، المجلس العلى للثقافة، الإسكندرية، مصر، دط، دت ص165.

كتب لوك locke كتابه رسائل بخصوص التسامح 1689–1692 في أعقاب الحروب الأوروبية من الدين، وضعت على المنطق الكلاسيكي للتسامح الديني لأن الإيمان لا يمكن أن يجبر من العنف وحتى إجبار التوحيد الديني من شأنه أن يؤدي إلى مزيد من الفوضى الإجتماعية.

مبدأ التسامح يشمل علاقة الدولة والمؤسسات الدينية بالأفراد وليس فقط الأفراد بينهم وعلى هذا الأساس يتساوى الناس ويحق لكل فرد إبداء رأيه الخاص المخالف لرأي أخر ولا يتعرض للإدانة من أحد بأي شكل من الأشكال1.

في ما يتعلق بموقفه من التسامح الديني، كان لوك متأثرا باللاهوتيين وكان ندائه عاطفي من أجل الحرية الدينية المطلقة والفصل التام بين الكنيسة والدولة، إن حرية الضمير كانت أولوية على جدول الأعمال اللاهوتية والفلسفية والسياسية. بفضل كتابات لوك فقد إمتد التسامح الديني حتى إلى تلك الجماعات التي إستثناها وتتمتع بنفس الأهمية والشهرة أيضا مقالاته عن (الحكومة)، اللتان ظهرتا في عام 1689 وقد أظهر بهما الأفكار الرئيسية الكامنة الديمقراطية الدستورية الحرة كان تأثير ذلك عظيما وعميقا فقد أعلن لوك أن كل إنسان يملك حقوقا طبيعية لا تشمل فقط حقه في الحياة، ولكن حريته الشخصية وحرية التملك الشخصي وأكد أن واجب الدولة هو أن تحمي حرية وأملاك رعاياها. يؤمن لوك بمبدأ فصل السلطات وأعتقد أن السلطة التشريعية يجب أن تكون أعلى من السلطة التنفيذية وأعلى من السلطة القضائية، التي إعتبرها جزءا من السلطة التنفيذية ولذلك فقد عارض في إعطاء المحاكم حق الإعتراض على القوانين التشريعية وإعتبارها غير دستورية، ومن الواضح أن لوك كان له الأثر العظيم على الثورة الأمريكية قبل قرن من حدوثها وكان له تأثير على جيفرسون Jefferson وعلى مفكري فرنسا قبل الثورة الفرنسية2. خلاصة القول أن المبدأين اللذين أراد لوك أن يقرهما في كتابه عن العقل الإنساني هما:

– ليس بين أفكارنا ما هو فطري موروث – كل المعرفة مستمدة من التجارب وحدها.

1 – إيسايا، بيرلين، **عصر التنوير، فلاسفة القرن الثامن عشر**، ترجمة فؤاد شعبان، مراجعة ناظم الطحان، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، دط، سنة 1980، ص63.

2– كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار لقمان، بيروت، لبنان، دط، دس، ص142.

يسلم لوك بوجود إله ويرى أن فكرة الإله عند الإنسان مستمدة من نفسه وقد أنكر وجود إتفاق عام بين الناس على فكرة الله وعبادته، لأنه ينكر وجود أفكار فطرية يشترك فيها الناس جميعا، فالله حسب لوك موجود لكن ماهيته مجهولة ولا يستطيع عقلنا أن يعينها ولسنا نؤمن بوجود الله بناء على معنى غريزي، بل بناء على برهان1.

ينتهج لوك locke منهج ديكارت Descartes في الدين الذي قال بالكائن الكامن اللامتناهي وأعطاه نفس الصفات وإقتصر في أدلة وجود الله على الدليل العلي، فمعرفة الله فطرية وإثباته يكون عن طريق المعرفة البرهانيةthe existence of god، لكن على الرغم من أن لوك تصور الله جوهرا روحيا لا متناهيا، إلا أنه رفض أن تكون معرفة الإنسان الذي يجهل ما هيته معرفة فطرية هكذا فهي تحتاج إلى برهان يجهل ماهيته معرفة فطرية هكذا فهي تحتاج إلى برهان عقلي رغم أن العقل قاصر عن إدراك مثل هذه المعرفة. ينظر لوك في كتابه" معقولية النصرانية"The reasonableness of Christianity إلى الدين بمنظور عقلي منطقي وحقائق الوحي Revelation تختبر بالمحك العقلي فهو يعتمد على شروط أساسية في معقولية السيد المسيح:

- الإعتقاد في السيد المسيح كمسيح As the messih

- التوبة Repentance - مغفرة الأخرين Forgiveness of others

يقول جون لوك"لا أمان لمن لا يؤمن بالله"، ينطلق هنا من قاعدة دينية ترفض التسامح مع اللادينيين كما يقول في كتابه رسالة التسامح:"الدين لا يمنح صاحبه حق إدانة الأخر، ولا يحق لأحد أن يقتحم بإسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية" فهو يدعوا إلى إستخدام العقل ويدافع عن الحرية الدينية، كما أنه يطالب من دارسي الفلسفة أن يفكروا بأنفسهم فلا أحد يستطيع أن يقدم لك الحقيقة، هذه الطريقة التي أخد بها العالم الأنجلوساكسوني وساقته إلى عالمية السيطرة والإنتشار التي تطبع العالم اليوم2.

1- مبروك، أمل، **فلسفة الدين**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، سنة2009، ص 136.

2- المرجع نفسه، ص138

2- *الدين عند جورج باركليGeorge Berkeley :

فيلسوف إنجليزي مثالي ذاتي كتابه الرئيسي "مبحث خاص بمبادئ المعرفة الإنسانية"

ساهمت زيارة باركلي إلى أمريكا لبعض الكليات خاصة جامعة "كولومبيا" "بيل"في دراساته الفلسفية، نشر حديت موجه إلى عالم رياضيات ملحد حاول فيه إثبات صحة الدين عن طريق الرياضيات، أكد على الروحانيات ورفض نظريات نيوتنNewton المتعلقة بالفضاء والزمن والحركة المطلقة مؤكدا على نظريته اللامادية.

يقول باركلي: " فالسبيل إلى الحقيقة قد أوصد من فرط ما أثقله الفلاسفة بتجريداتهم الوهمية وألفاظهم الفارغة ومع ذلك فإننا نرفع أقسرتنا بالشكوى من أننا نحن الدسن أثرنا الغبار من حولنا حتى أصبحنا عاجزين عن رؤية شيء"1.

(somethint iknouwwat what) فإن ما نطلق عليه إسم المادة matter والجوهر الجسمانيCorporeal sustance يتضمن تناقضا في نظر باركلي، فالمادة لاتشير إلى شيء متقوم بذاته ولا يمكنها أن تكون سندا للصفات بل هي مجرد رمز لعدد لا يحصى من الأشياء الخارجية، وعليه فكلمة مادة فارغة من المحتوى وليست إلا رمزا لأشياء جزئية لامتناهية2.

يرى باركلي إذا كان كل ما يعرفه الإنسان مجرد فكرة عن شيء ما فكيف السبيل إلى التأكد من وجود شيء في العالم يتطابق مع تلك الفكرة؟ وكان جوابه أن الوجود يحدث بحصول إدراكه، فالشيء لا وجود له إلا عندما يدركه عقل الإنسان، أي أن الأشياء المادية إنما هي أفكار مرسومة في العقل، وليس لها وجود مستقل.

***جورج باركلي فيلسوف إيرلندي من أصل انجليزي، ولد عام 1685 أمضى طفولته وشيخوخته في ايرلندا تلقى دروسه الجامعية في كلية كيلينكي وعين قسا عام1709، ثم عين نائبا لأسقف دري، ثم أسقف كلوين، ثم راهب، كان على جانب كبير من النشاط والجاذبية الفطرية والقدرة على الإقناع ويعد المؤسس الحقيقي للمثالية، وكانت أفكاره ذات تأثير كبير فيمن جاء بعده من المفكرين والفلاسفة توفي1753.**

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1 سنة، 2001، ص311.

2-**russell** , **introduction tomathematical**,phelosopphy-george allent,unwin,1953,p157.

نظرا لإعتقاد باركلي أن الأشياء تتكون من مجرد أفكار فهو من أنصار الفلسفة المثالية، حيث يرى أن العالم محصور فيما يمكننا أن نتعلمه بتجاربنا المباشرة منه، فهو أيضا من أنصار المذهب القائل أن المعرفة كلها مستمدة من التجربة، إدعى باركلي أنه لا يوجد شيء إسمه مادة على الإطلاق وما يراه البشر ويعتبرونه عالمهم المادي لا يعدو أن يكون مجرد فكرة في عقل الله. وهكذا فإن العقل البشري لا يعدو أن يكون بيانا للروح فالروح هي الجوهر الأزلي الخالد الوحيد الذي يفكر دائما وعليه فلا وجود لجوهر مادي بل يقر باركلي"لابد من وجود جوهر روحي فعال أزلي يعطيني من الأفكار ما شاء وهدا الجوهر هو الله"1.

معرفة الله عند باركلي ليست بالتجربة الحسية ويؤكد أن بجانب الأفكار التي في عقولنا توجد حدود أخرى تسمى معانيnotions فالمعنى هو وعينا بأنفسنا، ثم إستعمل notions لمعرفة الروح والأرواح. يبرهن على وجود الإله بثلاث براهين:

– الإنسان لا يمكنه أن يرى بعينه الإله ولكن يدركه بالعلامات والرموز والأفعال

– العقل الإلهي يدرك الأشياء بصفة دائمة أما عقل الإنسان يدركها مؤقتة.

– الإنسان لا يقتنع في حديثه إلا بوجود شخص أخر يحدثه فإذا إستطعنا أن نثبت بأن الإله يتحدث إلى الناس بلغة شبيهة بلغة الإنسان فإنه موجود.

لقد إعتمد باركلي على وضوح الفكر عند الإنسان الذي يتأمل به ويصل إلى إدراك الإله بوصفه الروح الدائمة الكائنة في عقولنا بصورة محببة إلينا، حيث يولد فينا جميع الأفكار والإحساسات فالإله هو العلة الحقيقية لأفكارنا أو علة وجودنا ككل.

إننا عندما نتأمل ككائنات روحية عاقلة، علاقة الإله بطبيعة يمكننا معرفة أحداث الطبيعة ونتأمل الوجود بوصفه لغة الإله الموجهة للإنسان حين يتصل بعقولنا المتناهية فتدرك هذه العقول حضور الإله الدائم وعنايته الشاملة بالكون هذا ما يعرف عند باركلي نظرية الرموز.

1 –Ibid ,**russel**l,p 160.

الأفكار في نظره سالبة فهي تدرك بجوهر غير متجسد هو النفس التي هي فعالة ويقر بوجود(عقل كوني)هو الإله، إن الأفكار توجد بالقوة في عقل الإله، لكنها لا توجد بالفعل إلا في العقل الإنساني هكذا الأفكار خالدة في عقل الإله. نحن لا نرى النفس كما نرى الكراسي والطاولات والأقلام أو نرى صفات حسية كالأشكال والألوان، إنما نرى أنفسنا من خلال قوة فعالة تفكر وترغب وتعمل وتريد وهذا التصور هو الروح الفاعلة أو تسمى النفس self أونفسي my self وأعرفها عن طريق المعاني الأولية التي يمنحها الإله. في نظر باركلي لا يمكننا معرفة النفس لأنها ليست موضوع علم بل هي مجهولة لنا فهي ليست أجسام مادية محسوسة يقول:" معرفة النفس غير معرفتنا للأفكار أي الموضوعات لأنها غير منقسمة ولا جسمية ولا ممتدة"[1].

ظل المنطق العام الذي يستخدمه الناس يؤكد قفزة المتدين من خطر مفاجئ رغم إيمانه بالعالم السماوي الأفضل لكل هذه الأسباب، فجسد باركلي بفلسفته التجريبية الدينية مؤكدا أن كل ما يمكننا إدراكه هو مضامين وعينا، فالتجريبية تقودنا إلى الإعتقاد بأن الواقع بنظامه المنقول لنا هو نتاج فكرلا مادة، وكل ما هو موجود هو عقلي يمكن للعقل وحده إدراكه وبدونه لا يمكننا أن نشعر بالوجود لكنه أنكر المادة.

باركلي ينتقد لوك من حيث ماديته وإلحاده لأن النزعة الشكية توصل حتما إلى إنكار وجود الله والأخلاق، فالإله بالنسبة لـ لوكLocke محرك للعالم ولكن كيف يمكنه أن يثبت أن المادة ذاتها ليست أزلية؟ إن باركلي يقف بشدة أمام نظرية لوك لأنها برأيه تساهم في تقويض الدين ونكران خلود الروح وإنهيار الأخلاق2. حسب باركلي نرد عقائدنا بوجود الأشياء ومعارفنا عنها إلى أفكار الإحساس والتأمل البسيطة، لكن إذا أخدنا بهذا المبدأ فلا يجوز لنا أن نعتقد بوجود الروح، من هذا الباب نجد دفيد هيوم يكتسح مفهوم الروح بإعتباره جوهرا لا جسمانيا متقوم بذاته تقوم فيه الأفكارإذن كيف يتصور هيوم الروح؟ وما الدين في نظره؟

1- يحي هويدي، **باركلي، نوابغ الفكر الغربي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، سنة1960، ص113 .

2- هاني يحي نصري، **دعوة للدخول إلى تاريخ الفلسفة**، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، سنة 2002، ص171.

3- *الدين عند دفيد هيوم David Hume :

يقول في كتابه "حوارات في الدين الطبيعي":"إننا لا نعلم عن العلة شيئا إلا أنها الحادثة السابقة التي نشاهدها قبل حدوث معلولها، وإذن فلا بد من مشاهدة الحادثتين معا السابقة واللاحقة على السواء. إننا نستدل من وجود الساعة على وجود صانعها، لأننا رأينا الساعة والصانع كليهما، وإذن فوجود الكون لا يقوم دليلا على وجود صانعه، إلا إذا رأينا الصانع والمصنوع جميعا".1 يقول أيضا"إذا كان لا بد لنا من البحث عن علة لكل شيء لوجب إذن أن نبحث عن علة للإله نفسه"2.

رفض هيوم في كتابه (حوارات حول الدين الطبيعي) الأدلة العقلية على وجود الإله متعرضا لها بالنقد الحاسم، الدين لا يعني بالنسبة إليه دلالة على ظاهرة ذات أصل متعال بل هو نتاج الفكر الإنساني. يكمن أصل الدين في المعطيات النفسية وبخاصة الخوف والأمل، اللذين ينبعان من وعي الكائن بالضعف وبعدم الأمان. إن التوحيد ترافق بإستمرار مع عدم التسامح ومع مرور الزمن أصبح مفهوم الإله أكثر تجريدا وأكثر عقلانية وبذلك يتجاوز قدرة العامة على الإحاطة به ما أتاح إزدهار الإيمان بالغيب.

هيوم Hume فيلسوف ملحد لا يؤمن إلا بالمادة وحدها ولا يرى وسيلة للمعرفة إلا الحس الذي يستقي معارفه ويستمد علومه من المادة، وهو يرفض الإيمان بأي شيء خارج نطاق العلم الطبيعي المحسوس ومن ثم فقد أعلن هيوم الحرب على الدين، وسخر فلسفته في جانبها الأكبر والأهم لمحاربة الدين وإقامة أوهامه التي إعتبرها أدلة على بطلان الدين وإثبات

***ديفيد هيوم David Hume فيلسوف ومؤرخ وإقتصادي أسكتلندي ولد في أدنبره سنة 1711 يعتبر فيلسوف مثالي إنجليزي وشخصية مهمة في تاريخ الفلسفة الغربية ، درس القانون والإقتصاد والفلسفة والأدب، فظهرت مواهبه الأدبية في كتاباته الفلسفية. إرتحل إلى فرنسا بين سنتي 1734-1737 عاد بعدها إلى إنكلترا ونشر كتابه "رسالة في الطبيعة البشرية" " Treatise of Human Nature "سنة 1739 وحرره في ثلاثة أجزاء: الكتاب الأول في الأفكار، والثاني في الإنفعالات والأخير في الأخلاق أهم مؤلفاته تاريخ إنجلترا، محاورات في الدين الطبيعي توفي سنة1776 متأثرا بمرض السرطان المعوي.**

1- محمود زكي نجيب، **دفيد هيوم**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 145.

2- عبد الحفيظ محمد، **دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، مصر، ط1 سنة2005، ص70.

أن الدين ما هو إلا خرافة ووهم من الأوهام التي تعود إلى الذاتية والتي لا حقيقة لها في الخارج.

واضح أن الرجل بدأ ملحدا ثم رسم لنفسه من بدايات إشتغاله بالفكر والتفلسف أن يسخر فكره وفلسفته لهدف واحد، وهو حرب الدين والقضاء عليه في نفوس المتدينين حارب الدين بكل صورة، وأخذ يركز حربه كلها وإفتراءاته جميعها على وجود الإله فمذهبه الإلحاد. تم ظهر فيلسوف الطبيعة الانسانية بكتابه الشهير "بحث في الطبيعة البشرية"1737 حاول فيه وضع الأسس لعلم الإنسان، ينقسم هذا الكتاب إلى" الفهم" "الإنفعالات"، "الأخلاق".

يرى هيوم أن العقل يتألف من إدراكات حسية وهي نوعيين "إنطباعات وأفكار" الإنطباعات هي الأحاسيس والمشاعر أما الأفكار فهي الخواطر العقلية وتنقسم إلى أفكار بسيطة ومركبة. من خلال نقده لبرهان النظم، وبالإعتماد على أسلوب الإستنتاج العلي حاول محاولات فاشلة لإبطال العقائد الدينية، و كتابه فلسفة الدين يكشف عن هذا الفشل بصورة واضحة. إن هيوم فيلسوف يميل إلى المذهب التجريبي، ويعشق أسلوب نيوتن ونتائج علومه ويرغب في الإبداع وأسلوب العلوم التجريبية على ضوء العلوم الإنسانية وهو ناقد للدين الطبيعي العقلاني1.

هيوم أول فيلسوف كبير في العصر الحديث يطرح فلسفة طبيعية شاملة تألفت جزئيا من رفض الفكرة السائدة تاريخيا بأن العقول البشرية نسخ مصغرة عن "العقل الإلهي"، بدأ تشكيك هيوم برفضه هذه "البصيرة المثالية"والثقة المشتقة منها بأن العالم هو كما يمثله البشر. عارض حجج وجود الإله كالحجة من التعقيد والحجة من المحرك الأول كما رفض الديانات والمسيحية وكتبها كدليل على وجود خالق، وبدلا من ذلك رأى أن أفضل ما يمكن القيام به تطبيق أقوى المبادئ التجريبية والمفسرة الموجودة من أجل دراسة ظاهرة العقل البشري.

نخلص أن هيوم إقتصر على الإقرار بأن علل النظام في العالم لها بعض التماثل مع العقل غيرأنه رفض جميع العقائد اللاهوتية والفلسفية عن الله، ومن خلال التجربة التاريخية إعترف بالتأثير الخطير الذي يقوم به الدين في مجال الأخلاقيات والحياة المدنية.

1- عبد الحفيظ محمد، **دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، المرجع السابق، ص77.**

لقد فسر هيوم الظاهرة الدينية على غرار تفسيره للأخلاق، التي لا تقوم في العقل بل في العاطفة كذلك الدين لايقوم في العقل ولا في الوحي والنقل، بل يقوم في طبيعة الإنسان وفطرته ويعرض هيوم موقفه في الدين في مؤلفيه:

التاريخ الطبيعي للدين "Natural History of religion و كتابه " محاورات في الدين الطبيعي" Dialogues Concerning Natural Religion"

إن الدين لا ينشأ مباشرة عن غريزة أصلية أو إنطباع أولي في الطبيعة البشرية، بل ينشأ مما يتشعب عن غريزة أصلية ولو كانت العقائد الدينية ناشئة عن غريزة مباشرة لوجب أن تكون مشتركة عند الناس كلهم لأن الغرائز واحدة في الجنس البشري.

4- الدين عند *جون ستيوارت ميلJohn Stuart Mill :

فيلسوف إنجليزي تجريبي من دعاة مذهب المنفعة يقول في كتابه "حكمة القدماء "إنني لا أطيق أن أعيش بلا فلسفة"[1] يدافع في فلسفته عن حرية الفرد والتنوع والعدالة وصولا إلى السعادة البشرية يصنف من بين رواد الفلسفة الليبرالية، يقول جون ستيوارت ميل" الحرية هي أثمن وأقوى حاجات الطبيعة البشرية بعد الضرورات الأولية من غداء وكساء"[2]. إن الإيمان بما هو خارق لا يتسبب في إعاقة التقدم العقلي وحسب بل يتعداه إلى الأخلاق فعن ذلك الإيمان تنبثق منظومة أخلاقية تقوم بالمصلحة الذاتية أكثر من قيامها بالإيثار بالمثل العليا فلا تشكل

1- توفيق الطويل، **جون ستيوارت ميل**، مكتبة الآداب بالجماهير، مصر، دط، سنة1948، ص225.

*** جون ستيوارت ميلJohn Stuart Mill ، فيلسوف وعالم منطق وإقتصادي إنجليزي ولد في لندن سنة1806، كان والد جيمس ميل أحد كبار أهل العلم والمعرفة في القرن الثامن عشر، تعلم جون ستوارت ميل الإغريقية في السنة الخامسة من عمره و اللاتينية في التاسعة من عمره، هو فيلسوف ذو منطق إستقرائي وفلسفة تجريبية، وهو من أبرز دعاة مذهب المنفعة نشر أول عمل فلسفي مهم له وهو " نسق المنطق" A System of Logic "عام 1843، له عدة مؤلفات منها كتابه "مبادىء الإقتصاد السياسي» 1848 و كتابه "عن الحرية" On Liberty1859 كتابه "مذهب المنفعة Utilitarianism "عام 1863 طالب بحق المرأة في الإنتخاب، وهو موضوع تطرق إليه في كتابه "عبودية النساء"The Subjection of Women " وقبيل وفاته نشر مِل كتابه " سيرتي الذاتية" Autobiography"، توفي سنة1873 .**

2 - توفيق الطويل، **جون ستيوارت ميل**، المرجع نفسه، ص 227

تلك المراحل التي سادت فيها الديانات في رأيه صورة مثالية للفضيلة الأخلاقية، ففي العصور الوسطى نجد الكثير من الناس يتضورون من الجوع في الطرقات ولا يهب إخوتهم من المؤمنين المواظبين على الطاعات لنجدتهم، في حين أننا نجد لدى الإغريق والتأثر بالديانة حيث لا كتب مقدسة ولا شرائع ملزمة ونجد لديهم قدرا كبيرا من التواضع والإعتدال والإنصاف.

يقول في كتابه "مقالات حول الدين":" ليس أمام الدوغمائي سوى بديلين إما أن يقول أنا أؤمن لأتعقل أو أنا أؤمن لأنه غير معقول"1. إن للتعليم الديني ذو الرسالة الأخلاقية أثرا مهما في تربية العديد من الناس ولكن تأثير تلك التربية ليس مرده الدين بحد ذاته وإنما مرده إلى أن ذلك التعليم يعطى لهؤلاء في حداثة السن، صحيح أن تلك التربية (الأخلاقية) تتجسد بإسم الدين ولكن التربية الخلقية يمكنها أن تحقق مرادها بفعالية دون قيد من الدين.

الصيغة التي يتجسد فيها التعليم الأخلاقي الديني كأن يقال للفرد إفعل هذا لأن الإله يأمرك به، حين ذاك يتضح لنا أن الإله يتماشى مع سلطة المجتمع ولا شيء أكثر من الدين وحده الذي يملك أثرا محدودا على غالبية الأفراد، ويتصور الكثير من الناس أن لا إمكانية لفصل الدين عن الأخلاق وأهمية القوانين تصب في توجيه سلوك الإنسان وتعديله حفاظا على مصالح الآخرين داخل المجتمع.

يرى جون ستيوارت ميل لا يجب أن تعرف الجبرية بأنها الإجبارأوالإضطرار ومن الخطأ أن نعرف الضرورة بأنها تنطوي على سلطة خارجة على الإنسان تحتم عليه السلوك وصل ميل بهذا التعريف للجبرية إلى أن الإنسان مجبر حر في وقت واحد عن السلوك فينشأ من دوافعه الطبيعية، فلا توجد أفعال بدون علل والإنسان مختار في سلوكه بمعنى أن ميوله ورغباته ليس لها سلطة لكن إدا أراد الإنسان تغيير سلوكه غيره يقول ميل:"إن الرغبة خاضعة لعلية داخلية"2.

1– كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 349

2– زقزوق محمود حمدي، **دراسات في الفلسفة الحديثة**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، سنة1993، ص124

نشرت بعد وفاتهthree Esesays on Religion كتب ميل ثلاثة أبحاث في الدين تكلم فيها بوجه فلسفي دقيق عن أمور ميتافيزيقية وطبيعة الإله، فهو يرى أن هناك مبدأ إلهي للعالم في هذا المبدأ كائنا له أعلى درجات الكمال الأخلاقي، وفكرة الإله المتناهي الذي يسير بالكون في صراعه الدائم ضد المبادئ السلبية للعالم نحو تطور يحتاج إلى تعاون إيجابي من جانب الإنسان1. دافع جون ستيوارت ميل عن المنهج العلمي محاولا تطبيق تطورات العلوم الطبيعية على العلوم العقلية والخلقية كالتاريخ وعلم النفس والأخلاق والدين. في مقاله اللاهوت الطبيعي يرى أنه يمكن للعقل أن يكون بدون جسم فهو يدافع عن فكرة الخلود. يقول عنه إيلي هاليفي Elie Halévy"هناك لمحات في ستيوارت ميل ذات طبيعة أصلية عاطفية بل تكاد أن تكون دينية وهذه الطبيعة لم تخلق للمذهب العقلي والتجريبي الخالص الذي فرض عليه مند طفولته"2.

تطرق "ميل" إلى "العادة" و"الإعتقاد" بوصفهما شيئان يؤثران على السلوك الفرد وحريته والرأي العام يمنع تحقيق الحرية الدينية بشكل عملي، رغم أن "ميل" يرى أن حرية المعتقد هي حق ثابت مصان. ومن ثم حرية الفرد معرضة للتدخل من قبل الحكومة والرأي العام الأولي من خلال قوانين للحد من الحريات والثانية من خلالها سعيها لتحديد ما تقوم به الحكومة وفقا للمنفعة الخاصة لهم وليس طبقا لمنهج ثابت من الحرية.

إعتبر أن الكراهية الدينية في المتعصب المخلص واحدة من قضايا الشعور الأخلاقي والتي تتطلب حلا أخلاقيا يقول: "إنني في هذا البلاد واحد من الحالات القليلة جدا التي تمثل شخصا لم يتخل عن إيمانه الديني وإنما لم يكن مثل هذا الإيمان قط "3. يعتبر ميل من أتباع باركلي بحث في المادية والمثالية على أنهما قطبين ميتافيزيقيين إعتبر المادة قوة دائمة للإحساس بينما الروح قوة دائمة للشعور، يرى أن الأشياء لا تود خارج إدراكها الحسي إنما يدرك الإنسان ظواهر فحسب (إحساسات).

1– رودولف متس، **الفلسفة الإنجليزية في مائة عام**، ت فواد زكريا، م زكي نجيب محمود، ط1، سنة2009، ص82.

2– خلف الجراد، **معجم الفلاسفة المختصر**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، سنة2007 ص 229 .

3–**جون ستيوارت ميل، النفعية**، ترجمة سعاد شاهرلي حرار، تحقيق هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ط1، سنة2012، ص 120.

إعتمد على مبادئ أساسية في الأخلاق:أن اللذة وحدها هي الخير أو الشيء المرغوب في ذاته، الأفعال صحيحة بقدرما تعمل على إسعادنا وتكون مخطئة بقدرما تعمل على تعاستنا، السعادة تعني اللذة وإنتفاء الألم فلا توجد حقائق فطرية في العقل أو حقائق قبلية مستقلة عن التجربة.

5- الدين عند *فرانسيس هربرت برادليFrancis Herbert Bradley :

فيلسوف مثالي إنجليزي تأثر بفلسفة هيجل Hegel حيث أقبل على التصورية الألمانية إتهم التجربة الإنجليزية بتعصب في المسألة الدينية، ساهم في عرض المذهب المثالي في إنجلترا إتسمت فلسفته بتنوع وتميز فكره بنزعة شكية، الحقيقة عنده هي ما يرضي العقل intellect والفلسفة ترمي إلى الرضا العقلي أي إلى الحقيقة النهائية.

يرى برادلي Bradley أن لا علاقات خارجية فالواقع كل متماسك واحد فردي يتوافق مع المعطى مع التجربة المحسوسة، فالحاسة تجربة ماهي إلا علاقة ذات بموضوع بحضور معين للموضوع الذي هو واقعة تند عن الوصف وعن التفسير. إعتقد برادلي أن أحسن ما يوصف به الواقع هو أنه وحدة متناسقة حيث تتلاشى التناقضات في التجربة الشخصية. إنهالا تدرك بالتحليل العقلي ولكن بالتناظر، كما يصعب تمييزها عن التجربة الإنسانية.

الحكم عند برادلي هو تعيين" لهذا" That "بماذا"what "والحال أن هدا التعيين يتبدى دوما أنه غير مطابق للواقع ويتطلب إكماله، في كتابه الرئيسي"المظهر والواقع" يعرض برادلي أرائه الميتافيزيقية، التي تضاربت حولها الأراء من تأييد ورفض قاطع خاصة البراغماتيين يقول برادلي: "إن الميتافيزيقا هي العثور على أسباب رديئة لما نؤمن به بالغريزة، غير أن العثور على هذه الأسباب هو بدوره غريزة بنفس المقدار..."[1].

***فرانسيس هربرت برادلي Francis Herbert Bradley ولد برادلي في جلاسبري، في ويلز ببريطانيا سنة 1846 تخرج من جامعة أكسفورد، ثم أصبح أستاذ فيها يعتبر فيلسوف مثالي من أهم أعماله الدراسات الأخلاقية 1877، مبادىء المنطق1883، المظهر والواقع 1893، وكتابه الشهير الظاهر والحقيقة، توفي سنة1924 .**

1- رودولف متس، **الفلسفة الانجليزية في مائة عام**، ت فواد زكريا، م زكي نجيب محمود، ط1، سنة2009، ص381.

يقصد بالميتافيزيقا أولا طلب معرفة للواقع متميزة عن مجرد المظهر والثاني تصور العالم عقليا كلي. في مقدمة كتابه" المظهر والواقع Appearance and Reality" يصف برادلي الميتافيزيقا بأنها البحث عن أسباب رديئة لما نعتقده بالغريزة، ويرى أن هناك تجارب عن أشياء تتجاوز العالم المادي فنحن في حاجة إلى ميتافيزيقا لفهمها.

لقد وصف وليم جيمس وهو خصم لـ برادلي كتابه"مبادئ المنطق" حيث يقول جيمس" لقد فرغت لتوى من قراءة المنطق لبرادلي بإهتمام وحماسة لا حد لهما...ومن المؤكد أنه من الكتب التي غيرت تاريخ الفلسفة الإنجليزية ولزام على التجريبيين وعلى القائلين بالمعقولية الشاملة معا أن يسووا حساباتهم معه فهو يخرج عن كل الإتجاهات التقليدية"1. يعتبر برادلي قاعدة مهمة ساهم في عرض المذهب المثالي في إنجليترا تأثر بالمثالية الهيغلية، فقد تلقى منه دفعة قوية لتفكير مستقل وإتسمت فلسفته بتنوع وتميز فكره بنزعة شكية، فمذهب برادلي مزيج من الشك والإيمانية fideism والمطلقthe absolute

الذي يذكرنا بالإله أو الطبيعة عند سبينوزا أكثر مما يذكرنا بالفكرة المطلقة والنزعة العقلية الواحدية عند هيغل، سعى برادلي للنظر إلى العالم ككل فهو مؤلف من موضوعات منفصلة هو نظر متناقض مع نفسه، والعالم واحد ليس فيه موضوعات منفصلة عن بعضها البعض وكل ما يبدو في الظاهرة من إختلافات سوف يزول.

أعطى مؤلفه الرئيسي المظهر والواقع الخطوط الأولى لفكرة الواقع (الحقيقة) على أنه كائن فوقي أو مطلق، إعتقد برادلي أن أحسن ما يوصف به الواقع هو أنه وحدة متناسقة حيث تتلاشى التناقضات في التجربة الشخصية، إنها لاتدرك بالتحليل العقلي ولكن بالتناظركما يصعب تمييزها عن التجربة الإنسانية، إن ترجمة برادلي للمثالية المطلقة هي تبنيه الجدلي لفلسفة هيجل. لا يمكن إقامة ميتافيزيقا إنطلاقا من معاني النفس "الذات" و"الظواهر الباطنية" ولو كانت التجربة الباطنية أعمق وأغنى تجربة، ولكنها تظهر الأنا في جملة من التغيرات والعلاقات ولا تظهرها في معنى واحد ثابت ومطلق، فالتجربة الباطنية لا تعبر عن الحقيقة المطلقة والمادة أيضا لا تعبر عنها لكن كيف ندرك الحقيقة المطلقة؟

1- المرجع نفسه، **نقلا عن رسائل وليم جيمس 1920**، المجلد 1، ص258.

يجيب برادلي أن الموجود اللامتناهي دون غيره هو الحقيقة لأنه منسجم وثابت وكامل. يرى أن الفلسفة والدين تعبيران عن المطلق الذي نصبو إليه، فالفلسفة ترينا أن العلم شيء ضئيل بالنسبة إلى الوجود والدين يتصور المطلق في ذاته بمعان مستمدة من التجربة ولكن الفلسفة علم يراجع ماهية المعاني وقيمتها، والدين لا يراجع الفلسفة علم نظري1.

يتجه الدين إلى التعبير عن الحقيقة الكاملة للخير بواسطة جميع نواحي طبعتنا فمن هنا الدين أرفع، لقد كانت نظريات برادلي ذات تأثير مهم خصوصا إنتقاداته التي وجهها إلى نظريات المنفعة والبراغماتية والفردية2.

يرى برادلي أنه خلال عملية التفكير نقع في تناقضات، والفكر والعلم يؤديان إلى ميدان التناقض هكذا إنه ينتمي إلى المظهر لا الحقيقة وهنا توصل إلى نفس النتيجة التي جاء بها هيوم الذي رفض فكرة الذات لأنها تنطوي على علاقات، أما ألوهية الأديان التقليدية فتنتمي بدورها إلى ميدان المظهر، والشر الذي يرتكبه الناس متغلغل في العالم اليومي العادي بوصفه مظهرا غير أن هذه النقائص تختفي في المطلق3.

1- كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت، ص428

2- جميل الحاج، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الإجتماعي**، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، سنة2000، ص 154.

3- مهران رشوان محمد، **مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة**، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط2، سنة1984، ص43.

6- الدين عند *وليم جيمسWilliam James :

يعتبر جيمس عالم نفساني أمريكي وفيلسوف براغماتي بروتستانتي، فلسفته فيها جانبين جانب علمي وجانب ديني وقد أسس مذهبه البراغماتي محاولا الوقوف وسط بين المذهب التجريبي الذي يعتبر شديد الإخلاص للوقائع الجزئية، والأشياء المحسوسة شديد الإهتمام بالتجارب والملاحظات لكن أهمل القيم الخلقية والدينية في الإنسان، أما المذهب العقلي يهتم بالحاجات الروحية للإنسان لكنه يتنكر للوقائع الجزئية والأشياء التجريبية. حاول جيمس أن يتوسط بين الإتجاهين ويحقق الإخلاص للواقع والتجربة ويعطيه الإيمان بالقيم الروحية في الوقت نفسه من هنا تأسست فكرة المذهب البراغماتي الذي يحتفظ بالدين كالعقلين ويحتفظ بالإخلاص للوقائع كالتجريبيين. النقطة الأساسية في فلسفة جيمس الدينية هي حق الإعتقاد لكل شخص، ويعد الإعتقاد هو الإيمان بشيء يمكن الشك فيه من ناحية نظرية أوهو الرغبة في العمل فالإعتقاد هو الإستعداد والتأهب للعمل1.

فهو يرى أن الإعتقاد بداية كل موقف فلسفي وغير فلسفي وليس الإقناع والعقل إنه يرى أن طريق العقل إما أن ينتهي إلى الشك وإما إلى الفلسفة الواحدة أو المطلقة وكلاهما لا يلاءم الحياة الدينية.لا يحاول جيمس إثبات وجود الإله ولكنه يناقش الواقع مباشرة والتجربة الدينية واقع، ولا توجد تجربة واحدة فالتجارب الدينية توجد بقدر ما يوجد في العالم من أفراد الدين تجربة فردية وأن جوهرها العاطفة الدينية وليس الطقوس2.

***وليم جيمسWilliam James ولد بمدينة نيويورك سنة1842، كان اكبر خمسة إخوته منهم الأديب القصصي المشهور هنري جيمس، كان في أسرة مؤمنة بدينها دخل مدارس نيويورك ولندن وباريس وجنيف تعلم اللغات وبعد أن إستقرت أسرته في البلد الأم، دخل إلى جامعة هارفردHarvardبقسم الكيمياء ثم تنقل إلى قسم التشريح ووظائف الأعضاء ثم إستقر في الطب، تخرج من الجامعة طبيبا وعين بأحد المستشفيات، ثم سافر إلى أروبا وأكمل دراسة العليا في الطب ثم عاد إلى جامعة هارفرد فعين مدرس لعلم وظائف الأعضاء، فأسس أول معمل لعلم النفس التجريبي في أمريكا،ألف كتابه الشهير مبادئ علم النفس1890، ثم أستاذ في الفيزيولوجيا وبعدها أستاذ للفلسفة كان عمره43سنة ثم ألف كتابه إرادة الإعتقاد سنة 1897، وكتاب صنوف التجربة الدينية سنة1902، وكتاب البراغماتيزم 1907، ثم كون متعدد سنة1909 كتاب البراغماتية، "معنى الصدق"، "التجربة المتطرفة"، وكتابه الأخير "بعض مشاكل الفلسفة" توفي سنة1910.**

1- زيدان محمود فهمي، **وليم جيمس**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة2005، ص 114

2- موريس تشارلز، **رواد الفلسفة الأمريكية**، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، مصر دط، سنة1996، ص 153

الشعور الديني شعور باطني بالمشاركة في موجود أعظم هو الشعور بالإنسجام والسلام وأن التجربة الدينية أكثر واقعية من التجربة العلمية لأنها تبدأ بالجسم أي بالعاطفة والإحساس والفكر والتجربة العلمية تبدأ بالمجرد.

العلم تجربة لكن الدين واقعة حية نعيشها و الإله موجود لأن فرض وجوده نافع ولكن المشكلة هي مشكلة التوفيق بين فكرة وجود الإله وبين غيرها من الأفكار ذات التأثير.الإله في التجربة الدينية هو أنت، فهو متناه ومن تم لا يحيط بكل شيء، و الإله هو باطن الأشياء فهو المثال ومن تم لا يحتوي كل الأشياء.

إذن الإله ليس مسؤول عن الشر بل بالعكس فهو شريكنا الأعظم في محاربة الشر لذلك يتدخل الإله لتغيير مجرى الأحداث فالمعجزات دليل وجود الحرية في صميم العالم1. يقول وليم جيمس في بداية كتابه حقائق التجربة الدينية the varieties of Religion Experience: "رغم أنه من غير الحكمة وضع تعريف للدين ثم المضي في الدفاع عنه في وجه كل الإعتراضات، فإن هذا لن يقف حائلا دون قيامي بتقديم وجهة نظر محدودة(...) فالدين الذي أعنيه هنا، هو الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم، وما تقود إليه من تصرفات. وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلهيا.."2.

من خلال قوله يكشف لنا الدين عن حقيقة الإنسان من زاوية بعيدة عن كل المتاهات وحتى الدين فقد أقامه على التجربة، فحاول أن يثبت أن إعتناق الدين والإيمان بالإله حق لأنه يتحول عند المؤمن إلى سلوك ناجح لحياته، فالإيمان يساعد صاحبه على إحتمال الكوارث ويجعله أقدرعلى الصبر والعمل بعكس الإلحاد الذي يدفع بصاحبه إلى الإنتحار إذا أصابته كارثة.

1– موريس تشارلز، **رواد الفلسفة الأمريكية**، المرجع السابق، ص 160

2– فراس السواح، **دين الإنسان، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، منشورات دار علاء الدين، ط3، سنة1998،ص22

من خلال ما سبق يمكن القول أن مشكلة الدين ترتبط بمسائل تاريخ الفلسفة أي أن المشكلة الدينية هي قديمة قدم الفكر الفلسفي، فقد تكلم أفلاطون Platon عن مثال الخير وعالج أرسطو Aristote فكرة القوة والفعل والعلة الأولى والمحرك الأول، أما في الفلسفة الحديثة فقد إصطنع ديكارت Descartes فكرة الخالق و الكامل واللامتناهي ليؤكد وجود الذات الإلهية.

يعتمد الدين على الإيمان أولا ثم على العقل الذي يبقى في حظيرة الإيمان والعاطفة ولا يخرج عن نطاقها، والبحث الفلسفي النسقي في الدين ظهر مع الفيلسوف الألماني *إ**يمانويل كانط* **Emmanuel Kant** في كتابه "الدين في حدود العقل وحده"سنة1793 الذي قدم فيه تفسيرا عقلانيا نقديا للدين بشكل كلي من منظور العقل النظري والعقل العملي وأخضع فيه المعتقدات الدينية وعلاقة الإنسان بالإله، يرى أن الدين هو المصدر البعيد الذي يبرر الأخلاق كما أن الإله هو المصدر الديني لفكرة الواجب الأخلاقي وفكرة الذات أو النفس والعالم أو الإله هي أفكار أساسية في الذهن تتصل بمبادئ كلية وعامة في مدركاتنا وتعقلاتنا1.

من هذا المقام نقول أن أراء الفلاسفة الأوربيين إختلفت حول الدين، هذا راجع إلى طبيعة الدين في حد ذاته، لكن كيف تصور المفكرين الأمريكيين الدين؟ ما هي أهم المرجعيات الدينية في الفكر البراغماتي؟

*** إيمانويل كانت ولد سنة 1724، في كونيغسبرغ من عائلة فقيرة معروفة بدينها البروتستانتي، مؤسس المثالية الكلاسيكية الألمانية دخل إلى مدرسة (فريديريك) التي يديرها (ألبير شولتر) البروتستانتي التطهري الذي أثر في (كانط) تأثيرا كبيرا، دخل بعد ذلك إلى جامعة (كونيغسبرغ) سنة 1740، فتابع دروسا في الفلسفة والعلوم خاصة العلم النيوتوني، تخرج من الجامعة سنة 1746، ثم إشتغل بعدها بالتدريس والكتابة الحرة وفي عام 1770، عين أستاذا بالجامعة لعلوم المنطق والميتافيزيقا، أهم مؤلفاته "الدين في حدود العقل"، "نقد العقل الخالص"، دروس في النظرية الفلسفية للدين " توفي سنة 1804.**

1– محمد عثمان الخشت، **مدخل إلى فلسفة الدين**، دار قباء، القاهرة، مصر، دط، سنة2001، ص50 .

الفصل الثاني: المرجعيات الكبرى للدين في الفكر البراغماتي

المبحث الأول: المقاربة البراغماتية بين وليم جيمس وتشارل ساندرس بيرس وجون ديوي وريتشارد رورتي.

المطلب الأول: المدرسة النفعية الإنجليزية

المطلب الثاني: البراغماتية العلمية بيرس

المطلب الثالث: البراغماتية الذاتية جيمس

المطلب الرابع: البراغماتية التربوية جون ديوي

المطلب الخامس: البراغماتية الجديدة ريتشارد رورتي

المطلب السادس: العلاقة الفلسفية بين بيرس وجيمس وديوي ورورتي

المبحث الثاني: النزعة الإنسانية وعلاقتها بالدين عند جيمس

المطلب الأول: الروح الإنسانية عند جيمس

الإنسان والدين

جيمس عالم نفساني

المطلب الثاني: شيلر وعلاقته بنزعة جيمس الإنسانية

من البراغماتية إلى المذهب الإنساني

توطئة:

سار الخط الرئيسي للفلسفة الإنجليزية من فرنسيس بيكون إلى لوك وبركلي وهيوم ثم بنتام وجون ستيوارت ميل، هذا الخط يعبر عنه بالمذهب التجريبي الذي تغلغل في الجزر البريطانية ليشكل مدرسة قومية خلدت التجريبية إسمها في الدستور البريطاني عامة والفلسفي خاصة في تبني صريح، صراحة طرقها المنهجية المؤطرة ومسلماتها النظامية المحققة حتى تكون التجريبية الإنجليزية الصورة الأصدق والمعبر والمثل لكل التجريبيات.

لقد سيطرت الإمبراطورية البريطانية في نهاية القرن السابع عشرعلى جميع المستعمرات وبينما دعم ذلك من الوضع الرسمي للكنيسة الإنجليكانية في بعض المناطق إلا أن قانون التسامح البريطاني لعام 1689 ساعد في الحد من قوى التعصب الديني، وفي القرن الثامن عشر ظهرت قوتان مهمتان كان لكل منهما تأتير ضمني قوي على الثورة الأمريكية والحرية الدينية.

لعب الدين دورا مهما في التطور الإستعماري لهذه البلاد، وقد إستمرت أثار هذا الدور في التأتير على الروابط الدينية والسياسية في أمريكا، وإرتبطت الدوافع الدينية بالدوافع الإقتصادية في إقامة الكثير من المستعمرات الأولى، وقد سيطر الفكر البيوريتاني على شكل الدين في هذه المستعمرات، وبعد هذا المذهب ظهرت حركتان دينيتان هما الصحوة الكبرى والدين العقلاني ساهما في دعم الثورة الأمريكية1.

من هنا نتساءل فيما تجسدت مظاهر الإبداع التجريبي؟ هل كانت التجريبية الحديثة مرحلة تابعة للمذهب التجريبي الكلاسيكي في إنجلترا، أم أنها حققت صور التجديد فيه؟

هل المذهب البراغماتي هو إمتداد للفلسفة التجريبية الإنجليزية؟ وما الجديد فيه؟

1– مايكل كوربت، جوليا ميتشل كوربت، **الدين والسياسة في الولايات المتحدة**، ج1، ترجمة عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، سنة2001، ص25.

1- المدرسة النفعية الإنجليزية:

تعد المدرسة النفعية الإنجليزية Utilitarianism إحدى المدارس الفلسفية التي لها تأثير في الفلسفة البراغماتية، ظهرت في إنجلترا على يد أدم سميتAdam Smith والمذهب الأخلاقي لـ جيرمي بنتام Jeremy Bentham وجون ستيوارت ميل John Stuart Mill وهي إمتداد للفلسفة التجريبية الإنجليزية. يقول بنتام"إن الطبيعة قد وضعتنا تحت سيطرة سيدين مطلقين هما اللذة والألم وهذان السيدان يتحكمان بتصرف البشر كلية"1. وقد إختلف ستيوارت ميل عن بنتام في القول بأن " ليست اللذة راجعة كلها إلى اللذة الجسدية وكميتها كما إعتقد(بنتام) وإنما هناك لذات تابعة للكيفية أي لإعتبارات معنوية"2. ويقول جيمس James عن فكرة المطلق" إذا كان ما نؤديه صالحا، فإنكم ستسمحون للفكرة نفسها بأن تكون صالحة...ذلك لأن إمتلاكنا لها يعود علينا بالنفع، ونحن خير منا بدونها"3. لقد ثأترث كل من البراغماتية و المدرسة النفعية بالمدرسة التجريبية الإنجليزية ونجد الإثنين يلتقيان في غاية واحدة هي المنفعة التي تجلب للإنسان السعادة والخير.

ترى الفلسفة النفعية الصلاح على أنه أي شيء يزيد المتعة ويقلل الألم، إنها فلسفة مبنية على النتائج إذا كانت نتيجة عمل ما تؤدي إلى زيادة المتعة وتقليل الألم، يعتبر ذلك العمل صالحا.

المذهب النفعي هو المذهب الذي يعتبر السعادة مرغوب فيها وأنها هي الشيء الوحيد المرغوب فيه كغاية، وأن كل الأشياء الأخرى لا نرغب فيها إلا بما هي وسيلة لهذه الغاية. وفقا للنظرية النفعية لا تكون الفضيلة بصفة طبيعية ولا بصفة جزئية أصلية جزء من الغاية بل بإمكانها أن تصبح الغاية ذاتها وبالنسبة لمن يحبونها بنزاهة فإنها أصبحت كذلك فهم يرغبون فيها ويحبونها كوسيلة للسعادة بل كجزء من سعادتهم4.

1- **الموسوعة الفلسفية العربية**، ج2، ص1351

2- الموسوعة نفسها، **الموسوعة الفلسفية العربية**، ص274

3- جيمس،وليم، **البراغماتية**، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، سنة1965، ص99

4- علي عبد الهادي المرهج، **الفلسفة البراغماتية**، أصولها ومبادئها، دراسة تحليلة تشارلس ساندرس بيرس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، سنة1971، ص46

تعتمد المدرسة النفعية على المنطق التجريبي الذي أسسه بيكونBacon ، الذي أنكر التحليل العقلي في معرفة الأشياء، وإعتمد التجربة طريقا وحيد في بلوغ الحقائق وكذلك في القيم أنكر وجود المبادئ المطلقة في الخير والشر، لقد تميز الفكر الأوربي بالإنجازات التي حققها المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية مما دفع البعض إلى محاولة إستخدامه في دراسة عالم الإنسان بدلا من المنهج الفلسفي الذي لم يؤدي إلى أي نتائج إيجابية فظهر ما يعرف بإسم التيار التجريبي الإنجليزي في القرن التاسع عشر، وهي المحاولة التي قام بها فلاسفة الإنجليز لتحويل دراسة الأخلاق من المنهج التأملي الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي وذلك على يد المدرسة الإنجليزية النفعية بقيادة ممثلها جيرمي بنتام و ستيوارت مل1.

تجلت النزعة التجريبية أوضح ما تكون في المجال الأخلاقي الذي كان يعبر عنه مذهب المنفعة العامة، فقد زعم أن عامة الناس يعتبرون مقياس الخير والشر المصلحة والضرر، إن معالم المذهب النفعي تتلخص في إلتقاء مفكريه على القول بأن اللذة أو المنفعة هي الخير المرغوب فيه، والألم هو الشر الذي يجب تفاديه ومن ثم فإن المنفعة عندهم هي مقياس الخيرية.

لكن هناك من أصحاب هذا الإتجاه من إبتغى السعي وراء اللذة أو المنفعة الفردية أمثال الأبيقوريين قديما، أماحديثا فهم أصحاب مذهب اللذة الفردي أو الأناني ومنهم من إلتمس المنفعة العامة وهم المحدثون حيث طالبوا بتحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، إن معالم المذهب النفعي تتلخص في إلتقاء مفكريه على القول بأن اللذة أو المنفعة هي الخير المرغوب فيه، والألم هو الشر الذي يجب تفاديه ومن ثم فإن المنفعة عندهم هي مقياس الخيرية2.

عندما ظهر مبدأ المنفعة أيام بنثام Bentham، وجد الناس أن له عدة خصائص متطرفة صادمة منها أنه يتجاهل الرب، بالنسبة لتعريف الموضوعي الصحيح والخطأ، كان معروفا ولا يزال أن الأخلاق تنحصر في إتباع قوانين وتعليمات الرب، تأتي إلينا من على لوح من الحجر وما علينا سوى السمع والطاعة من يتبعها يضمن السعادة في العالم الأخر.

1- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص 333.

2- الطويل، توفيق، **الفلسفة الخلقية، نشأتها وتطورها**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط2، سنة1967، ص291

لكن النفعيون يرفضون هذه النظرة الدينية للأخلاق كل ما يهمهم هو تحقيق السعادة لأكبر قدر من الناس في هذه الحياة الدنيا، لا حياة الآخرة هذا شيء لا يقبله بالطبع رجال الدين. إستفاد بنتام Bentham من كل من سبقوه منتهيا إلي نظرية متكاملة، هي أن المنفعة فكرة فلسفية لا تلتزم بالأصول الدينية، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين وترى أن كل ما يلزم به الدين يمكن للقانون بقصاصه والرأي العام بجزاءاته أن يأتي به ولا شك أن في هذا تجاوزا يهدم أسس العقيدة ويحول المجتمعات إلى غابة تتصارع فيها المنافع.

هناك نتيجتين مهمتين تترتبان على الأخلاق النفعية، الأولى هي أن من الواضح أن لدى الناس جميعا في نواح معينة، ميولا بالقدر نفسه من القوة إلى السعادة. وعلى ذلك فلا بد أن يتمتعوا بحقوق وفرص متساوية هذا الرأي في وقته كان جديدا وكان من البنود الأساسية في البرنامج الإصلاحي لمجموعة الراديكاليين. أما النتيجة الثانية فهي أن أكبر قدر من السعادة لا يمكن بلوغه إلا إذا ظلت الأوضاع ثابتة وهكذا فإن الإعتبارين اللذين تكون لهما الأولوية بالنسبة إلى غيرهما هما المساواة والأمن[1].

يرى بنتام أن مبدأ الأخلاق هو المنفعة وهي علاقة بين الذات والموضوع، وهي علة اللذة لا اللذة نفسها غايتها تحقيق خير الفرد والجماعة ويستند مبدأ المنفعة إلى حقيقتين:

- الأولى ذاتية وهي القول: إن تقدير سعادة الفرد يرجع إلى الفرد نفسه
- أما الثانية موضوعية وهي القول: إن الناس يشعرون في الشروط نفسها بلذة واحدة.

يربط بنتامBentham المنفعة بالنظم الإجتماعية والدين، فيدعو إلى أخلاق التعاطف التي تصبح فيها منفعة شخص هي منفعة الأخر، محددا السبل التربوية التي تجعل الناس يرغبون في أن يتبنى بعضهم ما فيه نفع الأخرين وفائدتهم، هذا الأمر الذي يضيق من عمل الدولة ووظائفها ويدعو إلى إعادة بناء المجتمع، وتنظيم أوضاعه من جديد والإفادة من التشريع والقضاء والتجارة والتربية لنصرة الأخلاق.

1- راسل برتراند، **حكمة الغرب، ج الثاني،الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، فؤاد زكرياء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سنة1983 ص،183 .

كان يرى أن مبدأ المنفعة وحده صالح لأن يكون شريعة أي حكم، وما عداه لا يصلح لأن ينظم القوانين التي تحكم أفراد المجتمع. ويذكر بنتام نوعين أساسيين من المبادئ المناهضة لقانون المنفعة: مبدأ مخالف بإستمرار، هو مبدأ التنسك principle of asceticism، مبدأ التعاطف والنفور Principle of sympathy and antipathy فالأول يؤيد أي عمل إنساني أو أي تصرف ينقص سعادة الفرد، ويعارض كل مبدأ يزيد هذه السعادة، والثاني يحكم على الأعمال والتصرفات من منطلق ذاتي محض أي من العاطفة. يحدد بنتام المصادر التي تأتي منها اللذة أو الألم يعدها علة فاعلة لا علة غائية ويحصرها في أربعة مصادر وهي: المصدر الطبيعي والمصدر السياسي والمصدر الأخلاقي والمصدر الديني1.

كما وضع سبعة معايير لقياس كمية اللذة أو حجم الألم هي:
الشدة Intensity والدوام duration والتأكد أوعدمه certainty or uncertainty

والقرب والبعد propinquity or remoteness والخصب fecundity والصفاء والنقاوة Purity والإمتداد أو الإنتشار extent وهذه المعايير تسهم في تقييم الأعمال المراد القيام بها وإتجاهاتها نحو الصلاح أو نحو السوء.

أما جون سيتورات مل فقد تبنى مذهب بنتام، ووضعه في إطاره التاريخي ورده إلى أبي النفعية سقراط Socrates في جداله مع السفسطائي بروتاغوراس (Protagoras 481– 411 ق.م) فطرحه كمشكلة أخلاقية: مشكلة الغاية من العمل البشري أي المنفعة وخلص إلى أن "السعادة هي وجود اللذة وغياب الألم"، والسعادة هي المقياس الوحيد الملموس لكل عمل أخلاقي، بل لكل عمل إنساني والغاية القصوى لتصرف الفرد والهدف الأخير لسعي البشرية الدؤوب.

يؤكد ميل بأن هناك شعور طبيعي قوي ينسجم مع الأخلاق النفعية التي تجعل من السعادة العامة مثلها الأخلاقي الأعلى، وهو مجموعة المشاعر الإجتماعية للإنسانية أي الرغبة في العيش بإنسجام مع بقية الناس والشعور بالترابط بين كل أفراد المجتمع وهنا

1– توفيق الطويل، **الفلسفة الخلقية**، مرجع سابق ، ص295

يلعب التعاطف والتربية دورهما الأساسي، حيث يجد الفرد نفسه محاطا بمؤسسات وجمعيات عدة تهتم بالمصلحة العامة وبمنفعة الأخرين وتقدم الإنسانية.

هنا يلتقي *أوغست كونتAuguste Comte المؤمن بتطور المعرفة الإنسانية وتقدم البشرية التي تجعل من سعادتها دينا جديدا وكان ميل معياريا من أنصار اللذة1. يعتبر ميل السعادة مجموع من اللذات المحددة الكمية والكيفية وأن الأخلاق النفعية يجب أن تبنى على التجربة، التي تثبت لنا أن جميع الناس يبحثون عن منفعتهم أو عن أكبر قسط ممكن من سعادتهم والعقلاء منهم يفضلون اللذات الشريفة على اللذات الخسيسة.

معنى ذلك أن ميل يقدم مفهوم المنفعة العامة على مفهوم المنفعة الخاصة ويستنبط من هذه المقدمات كلها فلسفة أخلاقية تعلي قيمة الفضائل المجردة، وهكذا فقد أدى مذهب المنفعة دورا مهما في تاريخ الفلسفة المعاصرة وفي الفكر الإنكليزي خاصة، محاولة لحل مشكلات الإنسانية كافة وإستمر مقترنا بالحركات السياسية التقدمية بعد وفاة مؤسسه بنتام كان بمنزلة حلقة وصل بين الليبرالية التجارية والسياسية، والحلقات الإشتراكية التي عرفتها إنجلترا في القرن التاسع عشر ظل ميلMill مدافع عن فكر سعادة الإنسان في العالم وإمكانية تحقيق ذلك2.

يرى *بنتامBentham من خلال فلسفته النفعية في ظل إمتدادها التجريبي الإنساني والإجتماعي، أي منفعة المجموع شاملة للمنافع الفردية ومن ثمة مقدمة عليها والغاية التي

***أوغست كونت Auguste Comte فيلسوف وعالم إجتماع فرنسي، ولد في مدينة مونبلييه Montpellier، سنة 1798 وشغل وظيفة معيد بمدرسة الهندسة بعد إتمامه دراسته الجامعية، وسكرتيرا لسان سيمون، فساعده على إخراج كتبه ومؤلفاته وأبحاثه إلى حيز الوجود، من بين المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع الحديث.ومن مؤلفاته المهمة "الفلسفة الوضعية Cours de philosophie positive الذي كتبه في ستة أجزاء، وبدأ نشره في عام 1830 وإنتهى منه عام 1842، و"دروس في الروح الوضعية" Discours sur l'esprit positive عام 1844، و"عقيدة الدين الوضعي" Le Catéchisme positiviste عام 1852، و"التأليف الموضوعي" Synthèse subjective عام 1856، توفي سنة 1857 .**

1– راسل، برتراند، **حكمة الغرب**، المرجع السابق، ص186 .

2 – **وليم ديغوسون، النفعيون**، ترجمة محمد إبراهيم، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، دط، سنة1975، ص95 .

*** جيرمي بنتامJeremy Benthamعالم وفيلسوف إنجليزي، ومصلح قانوني وإجتماعي، ولد في لندن سنة 1748 وكان المنظر الرائد في فلسفة القانون الأنجلو–أمريكي، ويشتهر بدعواته إلى المذهب النفعي، من أهم مؤلفاته كتابه الشهير "مدخل إلى مبادئ الأخلاق والتشريع" توفي سنة1832.**

يتعين السعي لتحقيقها هي "أكبر سعاة لأكبر عدد"، وهذا هو العلم الجديد الذي جاء به بنتام في إطارالتجريبية، ويسمى بالحساب الخلقي لإيجاد الإختبار بين اللذات عن طريق الإعتبارات التي قدمها لقياس اللذة فهو يطمح إلى تحويل علم الأخلاق وعلم التشريع إلى علمين مضبوطين كالرياضيات"1.

إستمر التيار الرئيسي للتفكير النفعي مع جون ستيوارت ميل، فقد قدم إخلاصا واضحا لمذهب المنفعة الذي حمل صيغة" تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس" وكل ما فيها من مظاهر للتجريبية والبراغماتية، وقد إستطاع أن يجدد الفكر بروح الفلسفة الإنجليزية الكلاسيكية التي بلغت قمتها ليكمل المشوار الذي بدأه جون لوك وأتباعه.

جملة القول أن مذهب المنفعة يجعل تحقيق المنفعة مبدءا، وتوفير أكبر قسط من السعادة قاعدة، والإتفاق بين المنفعة الفردية والمنفعة العامة غاية، فالأفعال الصالحة عند النفعيين هي التي توصل إلى السعادة، والأفعال السيئة هي التي توصل إلى الشقاء ومعنى السعادة اللذة الخالية من الألم ومعنى الشقاء الألم الخالي من اللذة، والسعادة والمنفعة متحدتان ذاتا.

من خلال عرضنا للمذهب التجريبي الذي يقوم على أساس المنفعة التي تقربنا إلى حد كبير مع الفلسفة البراغماتية أو بالأحرى المنهج البراغماتي والذي سنوضحه ضمن تسلسل أفكارالبحث، من هنا وجب التساؤل ماعلاقة المذهب التجريبي بالمذهب البراغماتي؟ كيف تأسست البراغماتية؟ من هم روادها؟

1- راسل برتراند، **تاريخ الفلسفة الغربية**، ج3، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط سنة1977، ص414.

البراغماتية العلمية:

* تشارل سندرس بيرس Charles Sanders Pierce فيلسوف ومنطقي أمريكي إتجه إلى الفلسفة عن طريق قراءته شيلر، ثم سيطرت عليه فلسفة كانط حيث حفظ كتابه نقد العقل الخالصcritique de la raison pure.

يقول بيرس " إنني الوحيد من البراغماتيين الذي دخلت ساحة الفلسفة من باب كانط إلا أن أفكاري كانت تكتسي بالنبرة الإنجليزية"1. أعجب بيرس بالقاعدة الكانطية القائلة بأن"كل معرفة تبدأ مع التجربة"2. من هنا فالمعرفة عنده تنطلق من التجربة، فصاغ بيرس سنة1878 قاعدته البراغماتية الشهيرة " تدبر الأثار التي يجوز أن يكون لها نتائج فعلية على الموضوع الذي نفكر فيه وعندئذ تكون فكرتنا عن هذه الأثار هي كل فكرتنا عن أثاره المحسوسة"، تندرج فلسفته البراغماتية على أن أي فكرة لن يكون لها أي معنى إلا من خلال سلوك عملي ممكن تستطيع الفكرة أن تنظمه أو تؤدي إليه.

وحد بيرس في مقاله الشهير "كيف نجعل أفكارنا واضحة" بين النتائج العملية والإحساسات فإلتزم موقف باركلي وفهم العلم على أنه توطيد العقيدة وضع بيرس ثلاثة مناهج براغماتية: منهج الثبات، منهج السلطة، المنهج العلمي الذي تحول إلى قاعدة عنده. يقول وايتهد Whitehead عنه "الأصالة مصدر جوهر فكره"3. يعتقد بيرس أن التجربة والمعمل هما الفاصل الرئيسي في الحكم على صدق الفكرة أو كذبها، فالفكرة تكون ناجحة حين تكون صادقة وتحقق نتائجها في الواقع تنفعنا. إن هدا النفع دليل على صدقها فلا فرق بين الفكرة الصحيحة والمفيدة.

*** شارل ساندرس بيرسcharles sanders pierce في كامبردج بولاية مساسوشتس، فيلسوف أمريكي، ولد سنة1839 كان له دور في نشر الفلسفة الذرائعية، كان أبوه أستاد في علم الفلك والرياضيات بجامعة هارفرد، وعلى الرغم من أنه حصل على شهادة الكيمياء، فإنه لم يفلح في إمتلاك مكانة علمية بناء على لقبه الأكاديمي، إشتغل محاضرا في المنطقبين1879و1884 بجامعة جون هوبكنز وفي عام 1887 إنتقل مع زوجته الثانية إلى بنسلفانيا حيث بقي إلى ان توفي سنة1914.**

1- جيرار ديلودال، **الفلسفة الأمريكية**، جورج كتورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، سنة2009، ص205

2- المرجع نفسه، ص223

3- خلف الجراد، **معجم الفلاسفة المختصر**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة،2007 ص57 .

يعتبر بيرس Pierce مؤسس الفلسفة البراغماتية الأمريكية، أتم دراسته بجامعة هارفرد حصل عل درجة الماجستير 1862 إهتم بدراسة مناهج البحث العلمي والفلسفة والمنطق و كان له فضل كبير في تطوير المنطق المعاصر. ينظر إلى الفلسفة من وجهة علمية تجريبية وليست من وجهة ميتافيزيقية، يرى بيرس أن مشكلة المعنى ترتبط دائما بالإنطباعات الحسية التي نتزود بها عن الأشياء التي هي موضوعات الإدراك يقول "الفكرة التي لها معنى هي عبارة عن خطة تؤدي إلى سلوك معين"1. فالعقل وحده غير كافي والحس يوصلنا إلى معرفة صحيحة والحق مرتبط بالواقع والفكرة التي تتمثل في كلمة واحدة أو مجموعة من الكلمات أي في عبارة، ليس لها من الصحة شيء مالم تخرج إلى الواقع وتعبر عنه.

يمكن القول أن بيرس يذهب إلى أن الفكرة يكون لها معنى من خلال أي سلوك عملي ممكن، حيث تستطيع الفكرة أن تنظمه أو تؤدي إليه وليس أن تؤدي الفكرة بالضرورة إلى تحقيق هدف حسي مباشر بل يكفي أن تعطي سلوكنا معنى.

مشكلة الإعتقاد belief إحتلت مكانة مهمة في فلسفة بيرس العلمية وهي لا تنفصل عن مشكلة المعنى فهي مكملة لها، يقصد بيرس بالإعتقاد إنشاء عادة سلوكية معينة والإعتقادات المختلفة تمتاز بإختلاف أساليب الفعل التي تؤدي إلى ظهورها، ويكون الإعتقاد إعتقادا حقيقيا إذا كان دالا على أنماط من السلوك العملي حيال الشيء الذي يتعلق به ذلك الإعتقاد، أما الذي لا يترتب عليه سلوك معين فهو إعتقاد ليس له معنى ومثال هذا إعتقادي حول الشيء لا يمكن أن أراه أو أحمله أو ألمسه ولا ينعكس عليه الضوء الساقط2.

ترتبط مشكلة الإعتقاد بمشكلة الشك الذي يحدث إذا كان هناك خلاف بين السلوك الفعلي والسلوك المتوقع، أما إذا جاء السلوك الذي توقعناه هو نفس السلوك الذي أدينا ظل إعتقادنا الذي أدى إلى السلوك قائما ولا يكون هناك ما يدعو للشك في صحة هذا الإعتقاد.

1– محمود زكي نجيب، **حياة الفكر في العالم الجديد**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1987، ص152

2– قيس هادي أحمد، **دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية**، مكتبة المنصور العلمية، بغداد، دط، سنة1999، ص87

يرى بيرس أن الإعتقاد هو تحول فكر قلق إلى فكر مستقر وكأنه فعالية يقول: "الإعتقاد إنه النغمة النصفية التي تختم جملة موسيقية في سمفونية حياتنا الفكرية"1. يقصد بنغمة الفكر الذي يولد فكر أخر وقد حدد بيرس ثلاث خواص للإعتقاد:

– أنه شيء نحن على وعي به – أنه يهدئ الإضطراب الناشئ عن الشك

– أنه يتضمن قاعدة للفعل في طبيعتنا أو عادة هكذا نكون فهما متكاملا عن الإعتقاد

يعتبر الشك حالة تسبق الإعتقاد فحالة الشك تكون موجودة حينما لا يكون هناك إعتقاد لكن هناك حالة تشبه حالة الشك، تكون أحيانا سبب في توليد الإعتقاد عندما تكتر الإحتمالات وسماها بيرس حالة التردد أو الحيرة perplexity,hisitancy، يفرق بيرس بين الإعتقاد النظري والعملي، فالنظري يعتمد على التوقع والتصرف أما العملي نصل من خلاله إلى عمل معين أو إنجاز فعل ما يسميه بيرس عادةHabit ، السلوك المعتمد فهو يسجل الحقائق ويطلع عليها أما الإعتقاد النظري يرتب الحقائق.

نفهم أن بيرس يفرق بين الشك والإعتقاد من حيث الموضوع فالشك حالة متغيرة وليست ثابتة وهي ليست واضحة كالإعتقاد، فهو مرتبط بالعمل تتبعه حالة إرتياح هكذا فالشك عنده يتعلق بالسلوك والتغير الذي يحدث أثناء الشك أو بعده.

يمكن القول أن البراغماتية العلمية لـ بيرس هي منهج للحياة ومع تطور العلم توجهت إهتمامات المفكرين من البحث في المسائل الميتافيزيقية واللاهوتية إلى البحث في علاقة الإنسان مع حياته بالطبيعة. براغماتيته هي أحد المناهج التي مثلت الفلسفة والعلم تمثلا كاملا فطبقت العلم على مشكلات المعرفة، وتحولت الفلسفة إلى وسيلة فعالة لتفسير حياة الإنسان، فالعملية المعرفية عند بيرس تحقق بقوة الإدراكين العقلي والحسي لكنه يؤمن بقوة أخرى هي الغريزة وصدقها في نقل المعارف أكثر من إيمانه بقوة الإستنتاج ويسميه بالحس المشترك.

براغماتية بيرس نظرية في الفعل أكثر من المعرفة فالعلم من أجل العمل والمعرفة من أجل الفعل. وعملية التخلص من الشك والتوصل إلى الإعتقاد ليست سوى عملية والغاية منها

1– علي عبد الهادي المرهج، **الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها مع دراسة تحليلية في فلسفة مؤسسها تشارل ساندرس بيرس**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة2008، ص20

أن الإنسان مستعد للفعل الذي يشكل معنى الإعتقاد البراغماتي، إن النتيجة العملية لبراغماتية بيرس تنحصر بين ما هو مفيد وما هو حقيقي فهو يستبعد أن تكون المنفعة غاية الإنسان لكن المهم هو الوصول إلى الحقيقة1.

ربما السؤال الرئيسي عند بيرس ما الفكرة؟ إن الفلاسفة المثاليون يرون أن الفكرة هي تصور عقلي يشترط أن يكون متسقا مع بقية التصورات العقلية، والفلاسفة الواقعيون لا يرضون بهذا التفسير يقولون أن الفكرة مطابقة لشيء ما موجود في عالم الطبيعة الخارجي أما البراغماتيون يرون أن ما يحدد حقيقة الفكرة ليس هو مقوماتها، بل يحددها ما تستطيع أن تفعله في دنيا الأشياء مثال الفكرة كمفتاح الباب ليس المهم أن يكون من خشب أو حديد بل المهم أنه يفتح الباب المغلق.

الفكرة عند بيرس خطة للعمل وقيمتها في نجاح تلك الخطة فالمقياس هو ماذا أصنع بالفكرة وكيف يتحدد معناها؟ هكذا نقول أن براغماتية بيرس هي نظرية في المعنى ولا شأن لها أن يصدق الكلام أم لا يصدق على الواقع، إن العبارة عنده تكون ذات معنى إذا ما كانت ألفاظها دالة على خبرة حسية يمكن اللجوء إليها في عالم التجربة.

***خصوصيات براغماتية بيرس:**

نشأ بيرس في بيئة علمية أصبح محبا للعلم وعاشقا للرياضيات والمنطق والكيمياء يعتمد منطقه على التجربة وله علاقة وثيقة بالرياضيات، يقول في إحدى خطاباته عن جيمس:"أنا أضمن أن أجعل منك عالما رياضيا من الطراز الأول"2.

يجب على البراغماتية أن تمنحنا إمكانية التخلص السريع والفعال من جميع الأفكار التي تكون غير واضحة، وأن تزودنا بدعم وتأييد للأفكار الواضحة وذلك من خلال إصدار حكم لتميزها عن القضايا الميتافيزيقية يقول بيرس: " طريقته هي طريقة العلم نفسها".

1- محمود زكي نجيب، **من زاوية فلسفية**، دار الشروق، ط1، ط2، ط3، سنة1969،1980،1982، ص 202

2- المرجع نفسه، ص 204

يحتج بيرس عن إساءة إستخدام كلمة براغماتية قائلا إنه سيتخذ لنفسه كلمة أخرى يسمى بها مذهبه وسيتوخى فيها أن تكون قبيحة تقيله عن النطق حتى لا يستعملها أخرون هي كلمة "براغماتيقية"1.

إستخدم بيرس هذا المصطلح في الفلسفة البراغماتية بقوله:"وإذن فيما على الكاتب وقد وجد براغماتيقية الوليدة وقد بلغت أشدها – إلا أن يشعر بأن الوقت قد حان لكي يقبل وليده قبلة الوداع ويتركه لمصيره الصاعد وهو في الوقت نفسه يخدم الغرض الدقيق للتعبير عن التفسير الأصلي، فإنه يتوسل ليعلن ميلاد كلمة البراغماتية التي فيها من القبح الكافي ما يحميها من الخاطفين"2. يجاوز بيرس حدود العبارات العلمية ومعانيها إلى حيث العقائد التي مدارها الإيمان لا المنطق وقد إكتفى بنظرية المعنى وحدها ولا شأن له بصدقها.

بدأ قراءاته بمنطق الفيلسوف الألماني كانط Kant ثم واقعية دونس سكوتس Duns Scotus إلى التجريبية الإنجليزية مع لوك وهيوم، هدف الفلسفة عند بيرس هي إعطاء معنى محدد للعالم عن طريق نظريات تطابق مواقفنا أو عاداتنا العامة في الإستجابة للبيئة وهذه العمومية تعتمد على سحب هذه النظريات على أحداث محددة في المستقبل، هكذا ظلت فلسفة بيرس فلسفة علمية تجريبية وليست ميتافيزيقية.

يؤمن بيرس بواقعية الرب ولم يقل بوجوده لأنه يرى أن الفعل يوجد، يعني التفاعل react مع الأشياء الأخرى والمتمثلة في البيئة لنا لدا سيبدو من المغالطة القول بأن الرب موجود، إن عملية معرفة الإله هي ليست سوى عملية تناظر الدهن هكذا نفهم بأن بيرس فرق بين معنيين كلمة الإله ووجوده.

يرى بيرس أن العالم واحد على قدر ما نستطيع تكوين عادة سلوكية يدخل في إعتبارها كل ما يوجد مستقبلا ويمكن تطبيقها عليه، ويكون العالم متعددا على قدرما يلزمنا أن تكون عادات كثيرة تختلف بعضها عن بعض ولا يتداخل بعضها في بعض حتى نستطيع أن نواجه أحداث العالم ونسيطر عليه.

1- المرجع نفسه، ص208 .

2- **مجموعة مؤلفين، فلسفة الدين**، علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، دار الأمان، الرباط، المغرب منشورات الأمان، الجزائر، ط1، سنة2012 ، ص 187.

من خلال ما سبق يمكن القول أن فلسفة بيرس فلسفة علمية واقعية وأنه كان فيلسوفا تجريبيا لا يؤمن بأي فلسفة مثالية، فموقفه ينطبق مع الوضعية المنطقية التي كانت سائدة في بريطانيا الدين رفضوا كل فلسفة مثالية. لم تكن براغماتية بيرس نفعية فردية وإنما كانت ذات بعد جماعي وبطرق علمية ولم تجعل من العمل غاية في حد ذاته وإنما وسيلة للوصول إلى غاية، لقد رفض بيرس فلسفة الدين التي جاء بها جيمس في براغماتيته أن الدين والعلم لا يلتقيان فقد إهتم بيرس في براغماتيته بالعلم مهملا الجانب الديني1.

البراغماتية الذاتية:

وليم جيمس William James فيلسوف تجريبي أمريكي من أكبر دعاة الفلسفة البراغماتية يعتبر رسول بيرس في نشر أفكارها بين العامة والخاصة، وهذا بفضل أسلوبه دافع جيمس عن مذهبه كثيرا في كتابه البراغماتية يقول: " لقد ظل هذا المبدأ –مبدأ البراغماتية– مهملا تماما زهاء عشرين عام ولم يحفل به أحد حتى قدرلي أن أبعته من مرقده وأخرجه ثانيا إلى حيز الوجود"2.

يرى جيمس أن الفلسفة البراغماتية تنسجم مع مجموعة من المذاهب الفلسفية، فهي تتفق مثلا مع مذهب الإسمية في كونها تلجأ دائما للإصطفائية في التفاصيل الجزئية وتتفق مع مذهب النفعية في توكيدها للنواحي العملية، وتتفق مع الفلسفة الوضعية في إزدرائها للحلول الكلامية والأسئلة عديمة الجدوى والتجريدات الميتافيزيقية3. نظرية معنى الحقيقة the meaning to truth يقول جيمس:"تعد الجزء المحوري الذي يدور عليه كتابي الموسوم بالبراغماتية"4 لقد إتفق جيمس مع بيرس في أن السلوك العملي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة لكن جيمس إختلف عن بيرس في السلوك على أن يكون نافع.

1– **مجموعة مؤلفين، فلسفة الدين**، المرجع نفسه، ص 212

2- جيمس وليم، **البراغماتية**، محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، سنة1965، ص66

3- بيري، رالف بارتون، **أفكار وشخصية وليام جيمس**، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، دط سنة 1965، ص406.

4- جيمس وليم، **البراغماتية**، المصدر نفسه، ص77.

يرى جيمس أن الفكرة الصحيحة هي ما تحققه من نتائج ناجحة تنصب في مصلحة ذاتية للفرد، فالنجاح يتوقف على المنفعة يقول جيمس: "إن الحقيقي في أوجز عبارة ليس سوى النافع الموافق المطلوب في سبيل تفكيرنا تماما كما أن الصواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب في سبيل مسلكنا"[1].

يسمى جيمس القيمة الفوريةcash value على الحقيقة فالأفكار الصحيحة هي تلك التي نفحصها ونتعامل معها وعلى العكس من ذلك فسوف تكون الأفكار خاطئة. يوضح جيمس معنى الحقيقة عند البراغماتية بقوله:"إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها وإقامة الدليل عليها والأفكار الخاطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها"[2]. يمكن القول أن جيمس يرفض الأفكار الميتافيزيقية.

نظرية التجربة الأصلية radical empiricism تمثل المرحلة الثالثة من مراحل التطور الفكري لجيمس، فالتجربة الأصلية جاءت لتعالج مشكلة المعرفة البراغماتية حيث يرفض كل ثنائية، التي ترى أن الشعور والعالم الخارجي كل واحد منهما جوهر مستقل عن الأخر. المذهب المادي والمثالي يفرق بين الذات والموضوع إلا أن المثالي يركز في مسألة الحقيقة على الشعور أو الذات بينما الواقعي على العالم الخارجي أو الموضوع، إن جيمس يقر أن كل فصل بين الذات والموضوع هو فصل مصطنع لا داعي له لأنها من طبيعة واحدة.

يقول جيمس عن فلسفته:" إن فلسفتي هي ما أسميها بالتجربة الراديكالية التعددية التقدمية التي تمتا النظام على إعتبار كونه يكسب تدريجيا ودائما في صيرورته إنها فلسفة تعتقد بالله ولكنها ليست بالضرورة والحتم كذلك وهي ترفض كل المنطق"[3].

1- المصدرنفسه، ص87

2- المصدر نفسه، ص88

3- المصدرنفسه، ص328

إستخدام البراغماتية في مجال الدين، أنها تسعى لإعطاء الفعالية لكل نظرياتها بربط كل واحدة بالعمل وعلى هذا الأساس حدد جيمس معنى البراغماتية من حيث هي:

– مجرد منهج فلسفي يهدف إلى توضيح وتحديد المشكلات وتفسير المعاني من خلال توضيحها، وذلك بتتبع نتائجها وأثارها الفعلية فهي فلسفة منهجية بالدرجة الأولى.

– هي طريقة وأسلوب في التوضيح والتحليل لإزالة الشوائب من الأفكار والمعاني عن طريق التحقق.

– من حيث هي نظرية وأسلوب في الصدق تتعلق بالمعنى والإعتقاد وذلك بتوضيح وتحليل المعاني والمعتقدات ومعنى الصدق مرتبط بالنجاح العملي1.

بهذا يكون جيمس أكد في تعريفه للبراغماتية على مدى صدق الفكرة من خلال إرتباطها بالخبرة والفكرة عنده يجب أن تكون لها قيمة فورية، ونجاح الفكرة مرتبط بالإعتقاد في نجاحها، خاصة وأن البراغماتية هي الفلسفة التي تدعو إلى تقدير الحقائق من خلال قيمتها العملية أو ما يمكن أن تؤديه من فوائد مادية للإنسان.

يقول جيمس: "القيمة البراغماتية لوحدة العالم هي أن كل الشبكات المحددة المعينة موجودة فعلا (مادة، فكر) وقائمة علميا (تجربة) وراهنة في واقع الأمر (حادثة)"2.

أي أن وحدة العالم ترتبط بالمادة والفكر وهي خاضعة للتجربة وتصلنا إلى نتيجة عملية. لقد رفض جيمس الفلسفات التقليدية المجردة التي ليست في خدمة الحياة، فالفلسفة العملية قوامها أن المعرفة ذات علاقة كبيرة بالتجربة الإنسانية، وما هي إلا وسيلة للعمل والنشاط وبالتالي فأي فكرة لا تكون صحيحة إلا إذا نجحت عمليا، ويرتبط التفكير دائما بالسلوك والعمل فغاية الفكرة هي العمل.

1– إبراهيم مصطفى إبراهيم، **نقد المذاهب المعاصرة**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، سنة2000، ص76

2- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **نقد المذاهب المعاصرة**، المرجع نفسه، ص97

خصوصيات براغماتية جيمس:

براغماتية جيمس لها وظيفة سلبية في إقصاء مشكلات تثير جدلا، لا ينتهي ولا تحقق فائدة في العالم، ومن جهة أخرى لها وظيفة إيجابية تتبدى من خلال تأييد صدق القضايا والأفكار من خلال معيار للمعنى والصدق يساعد في صياغة المفاهيم العلمية على وجه أفضل. يقول جيمس: " لكي يكون المذهب التجريبي أصيلا يجب أن لا يقبل عنصر لا يخضع للتجربة خضوعا مباشرا وألا يستبعد عنصر خاضع للتجربة خضوعا مباشرا وترى هذه الفلسفة أن العلاقات التي تربط التجارب علاقات خاضعة للتجربة وأن أي نوع من العلاقات التجريبية علاقات واقعية كأي شيء في العالم"1. يقسم جيمس العلاقات إلى علاقات مكانية، كمية، علية، زمانية، كيفية. ووظيفة الفلسفة عند جيمس ينبغي أن تكون إيجاد الأثار المميزة التي تتعرض لها أنت وأنا في لحظة محددة من لحظات حياتنا إذا صحت صيغة أو أخرى من صيغ الكون. فنظريات العالم بهذا المعنى قد تمت صياغتها جميعا ولم يبق إلا تحديد النتائج التي تنعكس على الحياة بسبب قبول هذه النظريات أو تلك.

فكرة الإله عند جيمس مرتبطة بتأثيرها على سلوكنا، فإذا لم تأثر فهي فكرة ليست موجودة كما أن تفسيره لفكرة الإله يرتبط بما تقدمه من نفع للإنسان، لقد أعطى بتفسيره هذا الأفكار اللاهوتية إنعطافا باطنيا لم يذكره بيرس. إستعمل جيمس الصدق ليبرهن على حقيقة الرب فهناك عبارة تقول "إن الله موجود" هنا نجد من يؤمن بصدقها ومن لا يؤمن فمن وجهة نظر البراغماتية يقوم الدليل على صدق تلك الجملة لكن صدقها في هذه الحالة لا يكون مستندا بالضرورة إلى كائن موجود فعلا خارج الإنسان"2.

يقول جيمس عن البراغماتية: "إنها تعني الهواء الطلق وإمكانيات الطبيعة المتاحة ضد الموثوقية التعسفية واليقينية الجازمة والإصطناعية وإدعاء النهائية في الحقيقة بإغلاق باب البحث والإجتهاد. وهي في نفس الوقت لا تدعي أو تناحر أو تمثل أو تنوب عن أية نتائج خاصة، إنها مجرد طريقة فحسب، مجرد منهج فقط"3.

1- جيمس وليام، **البراغماتية**، المصدر السابق، ص330.
2- المصدر نفسه، ص 335
3- علي عبد الهادي المرهج، **الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها**، مرجع سابق ، ص35

يعرف جيمس الحقيقة بأنها " مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لا مطابقة الفكر للأشياء". طور هذا الفكر ونظر له في كتابه " البراغماتية"، فالحقيقة عنده هي مجرد منهج للتفكير كما أن الخير هو منهج للعمل والسلوك فحقيقة اليوم قد تصبح خطأ الغد فالمنطق والثوابت التي ظلت حقائق لقرون ماضية ليست حقائق مطلقه، بل ربما أمكننا أن نقول: إنها خاطئة.

تقوم براغماتية جيمس على إزدراء الفكر أو النظر ومن جهة أخرى على إنكار الحقائق والقيم، فـ جيمس يدافع على أن الحقيقة لا تكمن بحال من الأحوال في مطابقة للعقل بذاته أو لموضوعه، بل في مطابقة للعمل أي مجموع الحاجات النفعية التي تتشكل منها مناحي الحياة الإنسانية، ومنتم فالفكرة الصادقة والصحيحة هي تلك المفيدة لفكرنا وسلوكنا**1**.

يتضح مما سبق أن البراغماتية مذهب فلسفي نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، وأن صدق قضية ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال. إن الإعتقاد الديني لا يخضع للبينات العقلية، ونشاط الإنسان يتمثل في العقل والإرادة، وكان العقل ينتج العلم، وحينما يتحقق العلم كإرادة يتجه نحو الدين، لذا فإن الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة. لقد شبه جيمس البراغماتية على أنها ممر طويل في فندق عظيم، تفتح عليه أبواب مختلفة متعددة ففي غرفة منها نجد مفكرا منكبا على علم الجمال وفي غرفة أخرى عالم كيميائي يهتم بتجارب وفي غرفة أخرى فيلسوفا منغمسا في تأملاته الميتافيزيقية وغرفة أخرى رجل مؤمن يتعبد الإله، لكن كلهم لابد لهم من أن يخرجوا من أبواب غرفهم ويسلكوا هذا الممر2.

بهذا الموقف يجعل جيمس من البراغماتية منهجا مهما في حياة الإنسان. تبدو براغماتية جيمس نظرية في الحق والحقيقة على خلاف براغماتية بيرس التي تعتبر نظرية في المعنى فـ جيمس يبحث عن منفعة فورية من كل فكرة أو إعتقاد وبغض النظر عما تكون هذه المنفعة فردية أم جماعية مباشرة أم غير مباشرة.

1- جيمس وليم، **معنى الحقيقة**، ترجمة أحمد النصاري، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، سنة2008، ص90.

2- الشنيطي، محمود فتحي، **وليم جيمس**، دار الحمامي للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، سنة1975، ص79.

البراغماتية عند جيمس نظرية شاملة يفسر في ضوئها الإنسان والكون فهي منهج ونظرية معرفية وميتافيزيقية وخلقية ودينية، فلم يرضى أن يكون له مذهب فلسفي بمعنى ذلك البناء الشامخ الذي يقيمه الفيلسوف مترابط الأجزاء متشابك التفاصيل، ذلك الترابط المنطقي والتشابك الضروري، ويسمها جيمس براغماتية حينا وتجريبية متطرفة حينا أخر وعنده هي في الحقيقة رد ذاتي للواقع إلى خبرة خالصة إلى وعي، فتأسيس فلسفة عملية قوامها أن المعرفة ذات علاقة كبيرة بالتجربة الإنسانية، ما هي إلا وسيلة للعمل والنشاط وبالتالي فأي فكرة لا تكون صحيحة إلا إذا نجحت عمليا، وغاية الفكرة هو العمل.

إذا كان جيمس يدافع عن البراغماتية بهذا الشكل، ما موقف جون ديوي من البراغماتية؟ كيف أسس لها ضمن مشواره الفلسفي؟

البراغماتية التربوية:

ليس ببعيد عن جيمس James نجد *جون ديوي John Dewey يعرف البراغماتية على أنها فلسفة تتجه إلى العمل كما تتأسس على علاقات ديناميكية مركزها الفرد في علاقة تفاعلية دائمة مع غيره(الوسط الإجتماعي) والمحيط (الوسط الطبيعي)1.

في قاموس القرن1909 Century Dictionary ورد تعريف لـ ديوي حيث يقول: "هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتحدد في حدود الإعتبارات العملية أو الغرضية، فليس محل للقول بأن المعرفة تتحدد في حدود الإعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أوالإعتبارات الفكرية المجردة"2.

***جون ديويJohn Dewey فيلسوف وعالم نفس ومربي أمريكي، ولد ببورلنجتن في ولاية فرمونت Vermont بأمريكا سنة1859، تلقى تعليمه في جامعة فيرمونت ثم إنتقل إلى جامعة جون هوبكنز،حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام1884 إنتقل إلى جامعة شيكاغو سنة1894 عين فيها رئيسا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية، أسس فيها مدرسة تجريبية دعاها "مدرسة شيكاغو التجريبية"، يعتبر من رواد الفلسفة البراغماتية، وربط ديوي الفلسفة بالتربية ثم ربط التربية بالحياة العملية ومشكلاتها وتحدياتها بشبكة فكرية ذات نزعة عملية من أهم مؤلفاته "المدرسة والمجتمع"، "الديمقراطية والتربية"، "الخبرة والتربية"، "المنطق"، "البحث عن اليقين"،" تجديد الفلسفة"،" الفن كتجربة"، "الحرية والثقافة" توفي سنة1952.**

1- طرابشي جورج، **معجم الفلسفة**، دار الطليعة، بيروت،ط2، سنة1977، ص312

2- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **نقد المذاهب المعاصرة**، المرجع نفسه، ص77

تأثر ديوي بـ بيرس وبـ جيمس سواء تعلق الأمر بعلم النفس أو الأخلاق حيث جمع بين الأصول البراغماتية التي وضعها بيرس في توجيه الفكر إلى العمل من جهة وما أخذه من جيمس في جعل الفكرة أداة من أجل كل عمل نافع، من جهة أخرى أسس فلسفته البراغماتية القائمة بذاتها والتي تهدف إلى:

– أن تصبح الفلسفة أداة فعالة تفسر الأحداث وتساعد الناس على حل المشكلات للتكيف

– أن تكون للفلسفة أثار عملية إجتماعية تحقق تطلعات المجتمع التي يتطلبها الواقع المتغير ومن غير ذلك فلا قيمة للفلسفة مهما كانت صحتها العقلية1.

تدور البراغماتية عند ديوي حول نتيجة الفعل الداخلة في تكوين صدق القضية لتكون عمليات قابلة للتطبيق والإجراء بإعتبارها أدوات تؤدي إلى حل المشكلات التي تقتضي تلك الإجراءات، فهي محاولة لإعادة الأفكار لتكون أدوات في متناول الإنسان بدلا من أن يكون هو أداة في متناولها، فالأفكار مع الزمن تكتسب قيما إجتماعية تجعلها أقوى من إختبار الواقع ومحاولة لفتح نافذة تحرر من قيد التقليد.

تجلت عبقرية جون ديوي في ربطه بين التربية والمجتمع والحياة يدعو إلى التربية المستمرة التي لا تتوقف عند سن معين، فالتربية ترتكز على التعلم من خلال العمل اليدوي وحل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب فالمدرسة هي مختبر وليست قاعة محاضرة. يرفض ديوي نظرية جون لوك John Locke التي ترى بأن "الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء خالية من الكتابة". فالعلاقة الصحيحة عنده قائمة على التفاعل وهذا يعني أن طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي. والفكر الحقيقي يبدأ من موقف إشكالي يعترض مجرى التفكير فالطبيعة تتغير بإستمرار وتغير الفكر معها فلا حقائق مطلقة ولا معرفة ثابتة فكل شيء يعتريه التغير.

تأثر ديوي بالفيلسوف الألماني هيجل Hegel رغم أن هذا الأخير لم يكن براغماتي بل مثالي و يتفق مع هيجل على ضرورة الإنتقال من مرحلة التعسف والإعتباط إلى مرحلة

1- عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، **دراسات في فلسفة التربية المعاصرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، سنة2002، ص 105

دولة القانون والحريات الديمقراطية الحديثة، وهنا لا خلاف بين الرجلين فكلاهما مع الحداثة والعلمانية والفهم المستنير للدين، يعتقد أن العلم وحده يتطور من مرحلة إلى أخرى ووحده قادر على تغيير العالم ونقله من مرحلة متخلفة إلى مرحلة متقدمة1.

طرح تساؤلات حول التربية الديمقراطية الحديثة في أميركا، أضحى هذا الفيلسوف العقلاني الحكيم رمزا للحياة الأميركية جسد قيم الحرية والديمقراطية ومعاداة التمييز العنصري، كان يعتقد أن الفيلسوف يكون ملما بعلم الإجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وسواها ليصبح فيلسوفا حقيقيا، وبالتالي كان فيلسوف الثقافة العامة الشاملة على طريقة نموذجه الأعلى هيجل Hegel.

في عام 1910 ألف ديوي Dewey كتاب بعنوان " كيف نفكر " وعبر في هذا الكتاب عن إعتقاده بوجه المقاربة الفكرية التي لم تفسدها التربية التقليدية للأطفال والتي تتسم بحب الإطلاع ومخيلة خصبة وحب البحث التجريبي2.

يؤمن ديوي في براغماتيته بحقيقة التغير على الديمومة ونسبية قيم الطبيعة الإنسانية والبيولوجية للإنسان وبأهمية الديمقراطية كطريقة في الحياة، وأخيرا قيمة الإنسان الناقد في السلوك الإنساني كله.

خصوصيات براغماتية ديوي:

البراغماتية عند ديوي تهتم بالخبرة فالتخطيط للواقع والتغلب على مشكلاته يعتمد على الخبرة وبهذا الصدد يقول:"إذا جاز لنا أن نصوغ فلسفة التربية التي يقوم عليها ممارسات التربية الحديثة، فمن الممكن فيما أعتقد أن تكشف عن طائفة من الأسس المشتركة بين المدارس القائمة المختلفة"3.

1- عبد الله الرشدان و نعيم جعنيني، **المدخل إلى التربية والتعليم**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، ط5 سنة2006، ص335.

2- المرجع نفسه، ص86

3- جديدي محمد، **فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا**، مرجع سابق ، ص67

ترفض البراغماتية أن تكون التربية عملية بث المعرفة للطالب من أجل المعرفة إنما ترى أنها تساعد الطفل على مواجهة إحتياجات البيئة البيولوجية الإجتماعية. يرى ديوي أن التربية هي الحياة وليست إعداد للحياة، وأن واجب المدرسة كمؤسسة تربوية أن تستخدم مواقف الحياة في العملية التربوية.

يعرف ديوي التربية بأنها عملية مستمرة من إعداد بناء الخبرة بقصد توزيع محتواها الإجتماعي وتعميقه، وأن الفرد في الوقت نفسه يكتسب ضبطا وتحكما في الطرائق المتضمنة في العملية.

حسب ديوي إهتمت الفلسفة البراغماتية بالمتعلم والتي إنعكست بصورة واضحة على تنظيم المنهج بإعتبار أن الفلسفة تدخل في كل قرار مهم بالنسبة للمنهج والتدريس. والطالب في نظر ديوي ما هو إلا حزمة من نشاط الإتجاهات النظرية والمكتسبة للفعل، وأن نشاطه أساس كل تدريس وكل ما يفعله التدريس له أنه يوجه الطالب الذاتي وأن تعليم الطالب ليس ما ينبغي أن يتعلمه وإنما تشجيعه بإتجاه معرفة نتيجة نشاطه الذهني والتجريبي1.

يرى ديوي في العملية التربوية التأكيد على أمرين العناية بإهتمام الطالب والعناية بحب الإستطلاع لديه وذلك لأنهما يحفزانه على التعلم بصفة أساسية.

أما فيما يخص المعلم فإن وظيفته تكون في قدرته على تنظيم الخبرة وبيان الإتجاه الذي تسير فيه، فضلا عن قدرته على شحن أذهان التلاميذ وهو بذلك يكون عونا للحرية لا قيد لها، فالبراغماتية لم تجعل من المعلم محورا للعملية التربوية ووظيفة المعلم من وجهة نظرها ليس مجرد تدريس الأفراد بل تكوين الحياة الإجتماعية الصحيحة، وقد إنعكست النظرية البراغماتية على المنهج وذلك بإختيار الخبرات لكل فرد أو جماعة من الخبرات المناسبة التي تساعدهم أن يبنوا منهجا عقليا متكاملا.

قدم تفسيرات لبعض الأفعال كالصلاة مثلا،وهو يقول بهذا الصدد إن البراغماتية ليست ضد الدين، لكنها لا تهتم بتبرير الأفعال الدينية.

1– أحمد فؤاد الأهواني، **جون ديوي، سلسلة نوابغ الفكر العربي**، دار المعارف، مصر، ط2، سنة1968، ص163

يفرق ديوي بين الدين والتدين religion and the religious فالدين قوة عليا لا نعرفها، أما التدين فهو فهم الناس للتجارب الدينية عن طريق الشعائر والطقوس فكل فرد له دين يختلف بحسب إختلاف تجاربهم الدينية1.

التربية كما يتصورها جون ديوي تعني" مجموعة العمليات التي يستطيع بها المجتمع أو زمرة إجتماعية كبرت أم صغرت أن تنقل سلطانها أو أهدافها المكتسبة بغية تأمين وجودها الخاص ونموها المستمر إن التربية هي الحياة"2. بهذا حدد ديوي غرض التربية كحركة تخدم المتعلم مع التأكيد على أنها عملية مجتمعية ديمقراطية، إذ أن قوة المجتمع هي التي تصبغ الأفراد وتصوغ الأهداف فالعلاقة بين التربية والمجتمع علاقة وطيدة منذ القدم.

الفلسفة عند ديوي ترسم مسارات التعليم ولا يمكن الفصل بين الفلسفة والتربية فالأولى تقدم التصورات الضرورية والثانية تمثل التطبيق العملي لتلك التصورات.

إسهامات ديوي يمكن تصنيفها تحت العلوم التربوية والفلسفية والنفسية والسياسية، إذا أردنا أن نوجز فلسفة وعقيدة ديوي التربوية فإن التعليم الأمثل عنده هو الذي يغرس مهارات ولا يكدس معلومات وهو الذي يلامس متطلبات الواقع ولا ينغمس في تقديس الماضي، ومما يترتب على الرؤية الفلسفية السابقة جملة من التطبيقات التربوية منها أن التربية تقوم على مبدأ تفاعل المتعلم مع البيئة المحيطة به والمجتمع الذي يعيش فيه ولذلك فإنه يحتاج إلى تنمية مهاراته الفكرية والعملية دائما ليقوم بحل مشكلات على أسس علمية. إستنادا لهذه الرؤية فإن العلوم النظرية وتشعيباتها الكثيرة ليست ذات أهمية في المنهاج التعليمي، طالما أنها لا تخدم المتعلم في تصريف شؤون حياته.

قام ديوي بتحويل عملية تهذيب الإنسان من العناية بالمثل العقلية المجردة إلى الإهتمام بالنتائج المادية الملموسة، في ظل هذه الفلسفة التي عرفت بإسم البراغماتية والأداتية والوظيفية، فإن البحث العلمي لحل المشكلات الواقعية أهم أداة في الحياة لمعرفة الحقائق ولتربية الفرد، ولتكوين المجتمع الديمقراطي.

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **نقد المذاهب المعاصرة**، مرجع سابق ، ص154.

2- جديدي محمد، **فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا**، مرجع سابق ، ص230

يرى ديوي أن أسلوب المحاضرة من الطرائق القاصرة في التعليم ومنافعها محدودة لأنها لا تتيح الفرصة للمتعلم كي يستكشف الواقع، ويجمع المعلومات ويقيس الأمور ويبحث عن الحلول. لهذا فإن أسلوب السعي لحل المشكلات القائم على حرية المتعلم أكثر إيجابية وخير من الدروس التقليدية القائمة على محاضرات المعلم التلقينية1.

من أفكار ديوي التربوية طريقة المشروع ويقصد بها أن"project method" يقوم المتعلمون بإختيار موضوع واحد، ودراسته من عدة جوانب كأن يذهب المتعلمون إلى مزرعة، وفيها يتعلمون كيفية الزراعة، خلال عملية تنفيذ المشروع يقوم الطالب بجمع البيانات المطلوبة من المكتبة أو مقابلة الأساتذة، أهم سمات طريقة المشروع كنشاط شامل أن المتعلم عادة سيتفاعل معه لأنه قد يكون شارك في إختيار الموضوع.

طريقة المشروع تشبع حاجة المتعلم النفسية، لأنها تراعي الفروق الفردية وتدفعه إلى التعلم الجماعي وتحرره من قيود الكتاب المدرسي، لم يوضح ديوي تفاصيل طريقة المشروع في التدريس ولكن تلميذه "كلباتركKalpaterc " قام بوضع التفاصيل2.

البراغماتية الجديدة:

*ريتشارد رورتي Richard Rorty شكل ظاهرة متميزة في عالم الفكر الأنجلوساكسوني المعاصر فقد دافع عن فلسفة من دون فلسفة وبحث عن الحقيقة في اللاحقيقة، وقد أمكنه بأفكاره المثيرة للجدل أن يبعث البراغماتية من جديد على ساحة الفلسفة العالمية ويصبح المحرك الرئيسي للفلسفة البراغماتية الجديدة.

1– عبد الله الرشدان و نعيم جعنيني، **المدخل إلى التربية والتعليم**، مرجع سابق ، ص68

2– المرجع نفسه، ص70

***ريتشارد رورتي، Richard McKay Rorty1931 فيلسوف ومفكرأمريكي، ولد في نيويورك سنة1931 والداه يساريين يعتبر رورتي أحد أبرز الفلاسفة الأمريكيين الذين إنفتحوا على الفلسفة الأوروبية أو القارية في شقيها الألماني والفرنسي، بل إنه قطع مع الفلسفة الأنجلوساكسونية التحليلية حين إدعت الصرامة العلمية وصاغ مفهوم "ما بعد الفلسفة التحليلة" رورتي من أشهر المناهضين الأمريكيين للنزعة العلمية عامة والنزعة العقلانية خاصة، من أهم مؤلفاته "الفلسفة ومراة الطبيعة" عام 1979 الموضوعية النسبية والحقيقة" عام1991، الحقيقة والتقدم عام1998، توفي سنة2007.**

كما يعرف بأنه صاحب مشروع بعث حوار فلسفي جدي وجسر بين الفلسفتين التحليلية Analytique والقاريةContinentale الأوروبيةEuropéenne و بالنظر إلى أن البراغماتية فلسفة أمريكية المنبت في نهاية القرن التاسع عشر فإنها، وعلى مدى قرن من العطاء والتواجد الفلسفي قد عرفت تحولات هامة، يرى رورتي أنه إذا إتجهنا بأنظارنا صوب نهاية القرن العشرين وليس إلى بداياته سنجد أن البراغماتية عرفت نوعا من البعث أو الميلاد الجديد لكنه لم يكن شبيها بتلك النزعة السيكولوجيةPanpsychisme التي ترد كل مادة إلى طبيعة نفسية أي إشارة إلى ما طبع البراغماتية في بداية عهدها مع وليم جيمس خاصة1.

يشير رورتي إلى مكانة البراغماتية من خلال موقفين: إن مواضيع الإهتمام والصدارة في نوعي البراغماتية الكلاسيكية والجديدة، ليست واحدة فقط حصل فيها تحول ولم تعد الأفكار والخبرة هي ما يحوز إهتمام براغماتي نهاية القرن العشرين وإنما مواضيع أكثر إلتصاقا باللغة في منطوقاتها وقضاياها.

تمكنت البراغماتية في صيغتها الجديدة من تحرير مكان لها وسط زحم التيارات الفلسفية وفرض رؤيتها التي تحمل وجهة ومصداقية ينبغي أخذها بالجدية الكافية.

يميز رورتي في المنهج البراغماتي بين تيار كلاسكي مثله بيرس، جيمس وديوي من جهة وبين تيار جديد مثله هو نفسه وكواين، غودمان، بوتنام وديفيدسون فالتمييز الذي يدعونا إليه رورتي معياره هو المنعطف اللغوي الذي إتجه إليه الفلاسفة في الوقت الذي هجروا فيه موضوعا أساسيا وبالتالي ساروا على خطى فريجه Frege بدلا من لوكlocke

البراغماتية الجديدة أو المحدثة أو النيوبراغماتية، هي التسمية التي تطلق على تيار فلسفي برز في الظهور مع بداية الستينيات في الولايات المتحدة الأمريكية مع فلسفات عرفت رواجا واسعا في الأوساط الفكرية الأمريكية قرابة عشرين سنة، وبالخصوص الفلسفات التحليلية بداية من خمسينيات القرن العشرين إلى غاية الستينيات منه وكذلك ما بعد البنيوية التي حملتها معها العقول المهاجرة إلى أمريكا، فإزدرهت هناك وشكلت حركة واسعة داخل المجال الأكاديمي وخارجه أي في ساحة الثقافة عامة ولفترة قاربت عقدين من الزمن، ظلت الوضعية

1– **رورتي، ريتشارد وأخرون، البنيوية والتفكيك**، مداخل نقدية، ترجمة حسام نايل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 سنة2007، ص178 .

المنطقية العنصر الأهم في الحركة التحليلية الفلسفية في الولايات المتحدة الأمريكية مانحة بذلك إمتداد جغرافي لمؤسسة عرفت النور في فينا بالنمسا حول موريس شليك Morris Schlickورودولف كارناب Rudolf Carnap 1.

حاول رورتي أن يتجاوز كل الخلافات بين الوضعيين والواقعيين حول الحقيقة الإجتماعية يقول:" أن الحقيقة كما تقدم في الوصف الإجتماعي اليوم وصلت إلى مستوى من التقديس الذي لا يجب أن يمس. والحل يكون بأن نعرف ما يمكن أن نعتبره بأنه حقائق وصلت أو لا مست الإطلاق، وهذه الحقائق في مجملها هي حقائق مرتبطة بالنتائج العلمية التي يمكن التدليل عليها في مرة ما دمنا نلتزم بالظروف الموضوعية المرافقة لها هذا بالإضافة للحقائق الرياضية والمنطقية والتي تعتمد على ألياتها الداخلية في الوصول إلى الإطلاق"2.

رورتي هو كغيره من فلاسفة البراغماتية يبتعد قدر جهده من الإلتفات إلى البعد النظري والذهاب إلى التجريد والتأمل، إذ يرى أن الفلسفة عمل ونشاط ضمن السياق الأنجلوساكسوني وهي إصرار على الممارسة والواقعية لدى البراغماتيين ولذلك لا يمثل الجانب النظري والميتافيزيقي بالنسبة للحقيقة، إلا بعدا واحدا من أبعادها المتعددة وخاصة التطبيقية منها وهكذا تحاول براغماتية رورتي ردم هذه الهوة ووصل الجانبين ضمن التصور الذي أصبح شغله الشاغل الإنسان في الواقع، الإنسان التاريخي، الإنسان صانع الحقيقة وصانع السعادة.

البراغماتية هي الفلسفة التي وجد فيها رورتي الصورة الحقيقة للثقافة الأمريكية فالبراغماتية في صيغتها الجديدة لم تكن بنفس مواصفات البراغماتية الكلاسيكية وهي تختلف عنها أو على الأصح تتميز عنها بإدخال بعض التعديلات المنهجية والفكرية، التي برزت ما بين فترة البراغماتية في نهاية القرن التاسع عشر مع بيرس وهي ما يمكن أن نسميه البراغماتية الأولى أو الكلاسيكية، أما فترة إحياء البراغماتية بدأت من نهاية سبعينيات القرن العشرين وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالبراغماتية الثانية أو الجديدة3.

1- جديدي محمد، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتسارد رورتي**، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1،سنة2008، ص54

2- رورتي، ريتشارد، **نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة**، مجلة العرب والفكر العالمي، ترجمة فريق مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان23–24، سنة2008، ص82.

3- رورتي، ريتشارد وأخرون، **البنيوية والتفكيك، مداخل نقدية**، مرجع سابق، ص180.

لقد وقع رورتي مشروع حينما أتم أطروحته عن الإمكانية أو القوة عام 1956 حيث تبين أن مسعاه الرئيسي هو التأسيس لمحادثه بين الفلاسفة المعاصرين والتراث الكبير للفلسفة الغربية ولقد تعزز هذا المشروع الرورتي أكثر بإصدار الفيلسوف لكتابه الأساسي عام 1979 وعنوانه " الفلسفة ومرأة الطبيعة"، تحولت الفلسفة من ميدان نظرية المعرفة لتصبح فعلا منشئا غرضه إعادة بناء الفلسفة1.

يشير إلى أن مشروعه ينطوي على مهارة حرفي أو مرقع يقوم بجمع قطع أو أجزاء من جاك دريدا Jacques Derrida ووضعها إلى جانب ديوي Dewey، وإقتطاع عناصر من دفيدسون Davidson وتقريبها من فتجنشتاين Vtgnstein وأمور من هذا القبيل أكثر من أن يكون عملا أصيلا. إلا أننا نرى في موقف رورتيRorty تقاربا كبيرا في مشروعه مع موقف ديوي الذي سعى فيه إلى التجديد في الفلسفة، متخذا من القاموس البراغماتي الذي يعج بمفاهيم الخبرة والبحث التفاعل الكائن مع المحيط، الديمقراطية والتربية الفعل والنتيجة، جدلية الغاية والوسيلة بوصفها أدوات منهجية ومعرفية لتحقيق مشروعه.

تختص الفلسفة الرورتية بخواص رئيسية أهمها أنها لا تضم فقط المفردات الفلسفية وإنما تتميز بمفردات الإنسانيات والأدبيات والفنون والعلوم، زيادة على أنها بعثت البراغماتية من سباتها وجمودها ومكنتها من نفس جديد، إذ بفضل جهوده الدؤبة وحضوره في المنتديات العالمية المختلفة وكذا كتاباته الكثيرة المدافعة عن البراغماتية تمكن من إلباسها ثوبا جديدا وتحيينها بناء على التطورات الحاصلة أمريكيا ثم عالميا، كما أنها فلسفة تتقن لعبة القراءة والكتابة الفلسفية2.

1– جديدي محمد، **ما بعد الفلسفة، مطارحات رورتية**، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، سنة2010، ص24

2- عطيات أبو السعود، **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين**، منشأة المعارف جلال حزى وشركاه، الإسكندرية، مصر، ط2 سنة2002 ص128 .

خصوصيات براغماتية رورتي:

عرف رورتي بإتجاهه البراغماتي بعد أن إهتم في بادئ الأمر بالفلسفة التحليلية التي عدل عنها ليحمل لواء البراغماتية الجديدة، ساهم بقدر كبير في إحياء البراغماتية من خلال أعماله العديدة التي غالبا ما تشير إلى الجذر والعنصر، والمبدأ البراغماتي في كتاباته لقد إتسمت الفلسفة الرورتية من جهة بنقدها للفلسفة الغربية بشكل عام والأنجلوساكسونية بشكل خاص، ومن جهة أخرى إتضحت في البناء أو التشييد التدريجي للبراغماتية ما بعد الحداثة أي البراغماتية الجديدة1.

يقول رورتي عن البراغماتية " هي النظرية التي تحاول عملا أن تعزز من حرية الإنسان في عالم مأساوي غير مأمون عن طريق الفنون العقلية والإجتماعية وقد تكون المحاولة قضية خاسرة ولكن لا أعرف أفضل منها."2

تريد البراغماتية بشكل من الأشكال أن تعيد الإعتبار إلى هوامش الفكر وأن تعمد إلى إحداث تسوية لميادين الثقافة البشرية من ثم تصبح الفلسفة سوى مجرد عنصر فاعل في هذه الثقافة كبقية العناصر الأخرى (الفن العلم، الدين، الشعر) وعندما نصل إلى تجسيد هذه النظرة لا يكون النظر المجرد أو التأمل الذي يكون هدفه الرئيسي البرهنة والحقيقة الموضوعية عنوانا للفلسفة وإنما تكون الأفكار الفلسفية عونا مساعدا على توجيه مخططات العمل وتحقق الفلسفة إحدى غاياتها في المحادثة والحوار وفي التصدي للمعضلات التي تجابه الكائن البشري3.

يجعل رورتي اللاماهوية أهم خاصية تميز البراغماتية متمثلة في نزعته التي تنطبق على مفاهيم مثل (الحقيقة، المعرفة، اللغة، الأخلاق) وكذا جميع المواضيع التي تكون محل تنظير فلسفي من هذا القبيل.

1- جديد محمد، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، مرجع سابق ، ص85

2- المرجع نفسه، ص92

3–Richard Rorty **, l'espoir au lieu du savoir**, **introduction au pragmatisme** ,édition française établie Claudine Cowan et jacques poulain ,paris ,éditions Albin michel,1995,p45.

يقول رورتي Rorty:" إذا كان هناك شيء مميز للبراغماتية فهو لا محالة يمكن في إستبداله لمعاني الواقعي، العقل، الطبيعة بمفهوم مستقبل أفضل للإنسانية، يمكن أن نقول عن البراغماتية ما ذكره نوفاليسNovalis عن النزعة الرومانسية بأنها تعظيم للمستقبل"1.

حسب رورتي فقد أصبحت الفلسفة بعد إدعائها بقدرتها على البحث في طبيعة العقل وطبيعة الأفكار مرتبطة بدور شبيه إلى حد ما بدور الدين في الأزمنة السابقة للعصر الحديث، فهو يتحدث عن ضرورة علمنة الثقافة فتنزع تلك القداسة والتتويج والتفوق الذي يحلو للدين أو الفلسفة، أو حتى العلم أن يحتكر فيه الحقيقة ويمارس نوعا من الأبوية على الميادين الأخرى.

يلخص لنا رورتي لقد وضعت الفلسفة القديمة والوسيطية الأشياء مركزا لإبستميتها أما الفلسفة كما تطورت في القرون من السابع عشر إلى التاسع عشر فقد وضعت الأفكار في مركز الصدارة، واليوم بواسطة الكلمات حيث يتم توضيح الساحة الفلسفية.

ترتب مواضيع الفلسفة كما يلخصها رورتي وفق تعاقب زمني للفكر الفلسفي من القديم إلى المعاصر مرورا بالوسيط والحديث، وهو ما يتجسد في نتيجة مهمة تتمثل في أن الفلسفة القديمة والوسيطية موضوعها الأشياء، بينما الفلسفة الحديثة موضوعها الأفكار أما الفلسفة المعاصرة موضوعها الكلمات.

البعد الإنساني للدين في نظر رورتي لا يحيل إلى رفض الخصوصيات الدينية بل هو تأكيد على العلاقة بين فلسفة الدين التي هي شديدة التعقيد من منطلق الإختلاف المنهجي بين التفكير الفلسفي القائم على النقد والإستدلال، بمقابل معطى الإيمان في التفكير الديني ليصبح دور الفلسفة معمقا للتجربة الدينية كحالة فردية لا تتجه نحو فرض معتقداتها على الأخرين، خصوصا أن رورتي لا يفصل التدين عن الوعي المنفتح إذ المثقف الحقيقي كما

يقول:" هو الذي ينظر إلى الدين حسب تصور وايتهيدWhitehead أنه" ما نقوم به في عزلتنا أكثر مما نقوم به مع غيرنا"2.

1- جديد محمد، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، المرجع نفسه، ص57 .

2–Richard Rorty, **philosophy and Social hope**, New York ,Penguin books ,1999,p168.

الفهم الفلسفي للدين كحالة شاعرية باعثة على القدرة على الأمل والإيمان والحب هو في الوقت نفسه محاولة لإحداث المواءمة، بين الرومانسية والعلمانية بالشكل الذي لا يعطي أية فرصة لمبرر التمييز على أساس ديني، ومن ثمة محاولة تحجيم دوره عن طريق عدم الإعتراف بأي شكل من أشكال المقايسة بين الخطاب البراغماتي والديني وهو الأمر الذي يتماشى مع الإطار العام لمشروع رورتي البراغماتي الذي يندد بكل فلسفة ماهوية تعالج الفكر كهبة إلهية1.

والواقع أن رورتي لا يعتبر التدين مشكلة إذ ما بقي في حدود إعتباره حقا فرديا يسمح للفرد بتفسير علاقته مع قوة أو قوى مفارقة، وبذلك يرفض كل حكم ثيوقراطي يدعو إلى الإستغراق المفرط في الميتافيزيقا وإبراز ذلك في التعاملات مع الأخرين، وهو بهذا يتجاوز موقف وليم جيمس في إقرار هذا الأخير بحيادية البراغماتية على المستوى الديني من خلال عدم تقديم توصيف محدد لدين معين2.

هذا لا يعني أن رورتي يرفض الأشكال الدينية التي يبرزها الأفراد عبر الطقوس والشعائر، بل أنه يعتبر التدين حق من حقوق الإنسان ما دام في إطاره الداعي إلى التفتح والتسامح وكذا تمجيد الحرية.

يقدم رورتي توصيفا لنمط الدين الأنسب لمشروعه البراغماتي، في شكله المدني الرومانسي كحالة علاج بالمعنى الفتغنشتايني، وكوسيلة لمحاربة العزلة بغرض تحقيق التضامن، لكن براغماتية رورتي الجديدة وإن كانت تعطي للفرد أحقية الإنتماء لأي دين شاء، فإنها بالمقابل لا تمنع من مناقشة المسلمات الدينية، بالشكل الذي يدرء منطق التسليم والقبول والتصديق في إدراك وإمتلاك الحقيقة الواحدة والمطلقة.

من هنا نقول أن نتائج البراغماتية عند رورتي هي إنهاء للدين بمعناه الدوغمائي.

1−Hottois Gilbert ,**de la Renaissance a la postimodernité** :Une Histoire de la philosophie Moderne et Contemporaine,3éme , édition , bruxelles , de boeck universite,2002 ,p260.

2−C. Hard wich and Donald Crosby,**pragmatism,neo- pragmatism and Religion**,Conversations with Richard Rorty, New York,peter lang,p87.

العلاقة الفلسفية بين رواد البراغماتية:

بدأ المجتمع الأمريكي يحدد ملامح شخصيته ويرسم خرائط لفكره ويوجد لنفسه فلسفة خاصة به غير أن الفلاسفة والمفكرين الأمريكيين، لم يتبعوا أساليب الفلسفة الأوربية التي درجت على وضع صيغ كاملة عن المسائل الكونية والعقلية والوجودية والأخلاقية وغيرها، وإنما عبروا تعبيرا واضحا بسيطا عن الروح الأمريكية وأمالها وفهمها للحياة فكانت الفلسفة البراغماتية. لقد برزت البراغماتية من خلال كتابات أعلامها ومن أشهرهم بيرس وجيمس ودوي و رورتي فقد إعتبر هؤلاء أن لا وجود لحقائق مطلقة، وإنما توجد معارف مفيدة أقل أو أكثر من غيرها. وتنطبق هذه النظرة على المعتقدات العادية، كما تنطبق على المعارف العلمية وعلى القيم الأخلاقية، كما على المذاهب السياسية.

من هنا القول وبغية إخراج الفكر من غطائه الميتافيزيقي أن الحقائق المعتبرة توافق تام بين الفكرة والعالم، هي وهم من أوهام الفكر لذلك ينبغي التخلص من الأفكار العامة للوصول إلى معارف أكثر وضوحا وفي الوقت نفسه يمكن التأكد من صحتها بالتجربة. يمكن تحديد العلاقة من خلال الإعتراف المتبادل بينهما حيث يقول بيرس:"إنك من بين أصدقائي الوحيد الذي يوضح البراغماتية في أكثر أشكالها طلبا إنك جوهرة البراغماتية"[1].

يقول جيمس في تقدير بيرس:" لا يوجد مفكر أكثر إبتكارا وإبتداعا منك في جيلنا برمته لقد أوحيت لي شخصيا بأمور في غاية الأهمية أكثر من أي شخص أخر قدرلي أن أعرفه. ومع ذلك فلم أعطيك أبدا ما فيه الكفاية من الإقرار على الملىء بالفضل لقاء ما أدين لك به مما علمتني من لدنك"[2]. لقد إتفق جيمس مع بيرس في أن السلوك العلمي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة لكن إختلف جيمس عنه في السلوك على أن يكون نافع.

يرى بيرس أن البراغماتية هي تلك الفلسفة التي تعني أن الدلالة الكاملة لأي شيء لنا تتمثل في الأثار الملحوظة المترتبة عليه. وقد تناول جيمس هذه الفكرة الأساسية وطورها.

1- شنايدر، هربرت، **تاريخ الفلسفة الأمريكية**، ترجمة محمد فتحيى الشنيطي، القاهرة، مصر، سنة1964، ص 370

2- المرجع نفسه، ص374

يرى أن الفلسفة البراغماتية منهج وليست مذهبا فلسفيا، وهو إتجاه إلى توضيح الأفكار وإعطاء دلالات صادقة لتصوراتنا وقضايانا، وهناك قاعدتان في المنهج البراغماتي وضعهما بيرس وعبرعنهما جميس في منهجه هما: إذا كان لديك قضيتان وإعتقدت بصدقهما معا فأنظر إلى أثر كل منهما على سلوكك العملي.

إذا لم يوجد خلاف عملي بينهما بمعنى لم يوجد خلاف في السلوك، نتيجة إعتقاد الفرد بكل منهما فتأكد أنهما قضية واحدة بصورتين لفظيتين مختلفتين. إذا لم يوجد أي أثر عملي في سلوكك نتيجة إعتقادك بصدق قضية ما يختلف عن سلوكك نتيجة إعتقادك بكذبها فأعتبر أن هذه القضية لا معنى لها بل لا وجود لها إذ أن دلالة الفكرة فيما ينتج عنها من أثر في السلوك.

موضوع الحقيقة مرتبطا أشد الإرتباط بالبراغماتية عند فلاسفتها وعند الدارسين لها الذين يرون أن أهم ما يميز البراغماتية من بين فلسفات عديدة هو تصورها الخاص للحقيقة يقول رورتي: " لا يعتقد البراغماتيون بأن هدف البحث هو الحقيقة بل إن الهدف من البحث يكمن في المنفعة وبقدر تعدد الأهداف المبتغاة تتعد الأدوات المختلفة النافعة " وليس هدف البحث دوما الحقيقة بقدر ما هو مطلب حاجات الإنسان وتلبيتها أي المنافع التي يصر الخطاب البراغماتي على إعطائها مقاما أوليا"[1].

يطرح الحقيقة في منظور الفيلسوف الأمريكي إذ أن الحقيقة هي نص مفتوح على القول المختلف ومن هذا المنطلق، فإن رورتي يشارك وليم جيمس في رؤيته للحقيقة إذ نجده يقول أن الحقيقي هو فحسب النافع (المناسب) في طرائق تفكيرنا تماما مثلما أن الصحيح ما هو إلا النافع في الكيفيات التي نسلك بها. لم تكن علاقة رورتي بجون ديوي لتعرف ذلك الإرتباط الذي حدث بين الفيلسوفين إلا في مرحلة لاحقة، ومع التحول الفكري الذي وجهه رورتي صوب ديوي وإكتشافه من جديد وإعادة قراءته لتحيينه ومن ثم تحيين الفلسفة البراغماتية.

1- جديد محمد، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، المرجع نفسه، ص91 .

يقول رورتي عن كيفية بناءه لديوي طبقا لقراءته " إن أهمية بناء ديوي كالذي أسعى إلى تشكيله تكمن في فصل ما إعتقد أنه حي من الذي يكون ميتا من فكره وكذا في إيضاح الإختلافات بين حالتي الساحة الفلسفية ما بين 1955 والأن "1.

إبتداءا من سنة 1972 ينتقل ديوي إلى مركز الصدارة في كتابات رورتي وفي مؤلفه الأساسي " الفلسفة ومرأة الطبيعة " قاد هذا الأخير حملة قوية لإحياء وبعث صورة وأثر ديوي في الفلسفة المعاصرة.

يعرب رورتي في أكثر من موضع أنه تابع لخط ديوي الفلسفي أي البراغماتي الوسيلي الذي عرف به الفيلسوف، حتى وإن أنكر عليه البعض عدم التقيد بتوجهات ديوي وأفكاره غير أن رورتي على الرغم من إعتراضه على مثل هذا التداخل لكنه في نفس الوقت يرحب بموقف ديوي حينما ينصب البراغماتية فلسفة الديمقراطية وأن توحيدهما عبارة عن نفس الذهنية التجريبية الفياضة بالأمل في إمكانية تحسين الأشياء.

يقول رورتي معلقا على موقف ديوي:" أعتقد بأن أقصى ما يمكن أن نفعله بربط البراغماتية بأمريكا، هي القول بأن هذا البلد وفلاسفته الأكثر يقترحون علينا بأننا قادرين في السياسة، أن نضع الأمل بدل المعرفة"2. من هذا المنبر نقول أن البراغماتية تميزت بالتعدد، ليس هناك براغماتية واحدة محددة فبراغماتية بيرس تختلف عن براغماتية جيمس وبراغماتية ديوي تتميز بطابعها الأداتي ومثل رورتي براغماتية جديدة، لكن هناك طابع عام يجمعهم وهو الإطار البراغماتي العملي.

من ذلك الموقف يتضح أن الخصائص التي تميزت بها الفلسفة البراغماتية بالإضافة إلى العوامل التي أدت إلى ظهورها، توحي كلها بأنها بما تحمله من تعدد وتنوع في القضايا التي تطرحها وبهذا تكون البراغماتية قد أنزلت الفلسفة من برجها العالي إلى العالم الواقعي المتغير وأرادت أن تجعلها طريقة عمل في الحياة ولهذا فهي تتحكم إلى التجربة والنتيجة العملية في معالجة القضايا الفلسفية.

1– المرجع السابق، ص 126.
2- المرجع السابق، ص130

الطروحات التي صاغتها مختلف المذاهب الفلسفية المادية منها والمثالية حول الوجود والإنسان أصبحت عاجزة عن إستعاب التطور الذي إجتاح إنسان القرن العشرين بشكل مرن ومستمرومتسارع، من هنا قامت البراغماتية من أجل التأسيس العلمي لحلول وبدائل الأزمات الإنسانية منطلقة مع التجربة المعاشة داعية مع جيمس لميلاد فكرفلسفي جديد يعتمد على السياق المنهجي لا المذهبي.

البراغماتية مع جيمس أصبح محور الإهتمام فيها الإنسان وليس المذهب وغرضها صناعة الحياة لا التراكم المعرفي للأفكار، هذه النزعة الإنسانية والإيمان بقدرات الإنسان وإستقطاب طاقاته تدفعنا لنتساءل ما ملامح النزعة الإنسانية في فلسفة جيمس؟ ما علاقتها بالدين؟ كيف إرتبطت نزعة سكوت شيلر الإنسانية بجيمس؟

المبحث الثالث: النزعة الإنسانية وعلاقتها بالدين عند جيمس

توطئة: شهد المذهب الإنساني تطورات مستمرة خاصة في الأزمنة الحديثة نظرا لإجتماع عوامل مختلفة، كظهور الثورة الصناعية وظهور البحوث العلمية والإكتشافات والإختراعات وقد ظهر المذهب الإنساني كحركة فكرية في أروبا حيث جعل من الإنسان مركز العالم معترفا بقيمته. تعتبرالبراغماتية من بين أهم التيارات الفكرية التي برزت في الفلسفة المعاصرة والتي إهتمت بالنزعة الإنسانية، حيث أنها تأسس وتنطلق من تحديد مثل أعلى هو الإنسان كغاية في ذاته، هذا التوجه نجده يتغلغل في فكر وفلسفة جيمس الذي يظهر بوضوح كإنطباع عام في فكره وكتبه كفيلسوف وكعالم نفس بإنشغاله بقضايا الإنسان.هذا الأمر جعل من تلميذه *سكوت شلير Scott Schiller يغير من تسمية البراغماتية إلى المذهب الإنساني الذي إستطاع أن يترجم لنا معالم الفكر الفلسفي البراغماتي1. لعل أعظم إسهام قدمه جيمس وأبرز مظهر يجلي نزعته الإنسانية يلخصه تساؤله الفلسفي، كيف يمكن للإنسان أن يختار أفضل الأفكار وأصلحها في عالم تكثر فيه الرؤى والنظريات المنافسة؟ وبعبارة أخرى ما معيار الصدق الذي ينبغي على الإنسان العمل به لإختيار تلك الأفكار؟ من هنا نجد نزعة جيمس الإنسانية ترتبط بنظريته في الصدق والحقيقة وإرادة الإعتقاد أوكما يسميها حق الإنسان في أن يؤمن.

البراغماتية عند جيمس تضع الإنسان محور إهتماماتها بدلا من إهتماماتها بالعالم المادي والكون، كما أنها تهتم بما يصلح للإنسان وينفعه في حياته على هذا الأساس يمكننا أن نتساءل ما ملامح النزعة الإنسانية في فلسفة جيمس؟ من هو إنسان جيمس؟ هل هوإنسان طبيعي أم هوغيرطبيعي على نموذج إنسان نيتشه السوبرمان؟ ما علاقة الإنسان بالدين عند جيمس؟ كيف إمتدت النزعة الإنسانية مع شيلر؟

***فرديناند كانيينغ سكوت شيلر f . c . Scott Schiller فيلسوف إنجليزي معاصر ولد بألمانيا سنة1864 كان أستاذا بجامعة أكسفورد التي قضى بها زهاء ثلاثين سنة، كان يسودها نظام تعليمي تقليدي وصفه شيلر في مقدمة كتابه منطق للإستخدام عرف كأحد أعلام الفلسفة البراغماتية وعرف نسقه بالمذهب الإنساني، وقد صار براغماتيا بتأثير جيمس نفسه وقراءاته لمؤلفاته وتبنيه الفكر البراغماتي بحماسة بالغة، توفي سنة1937.**

1 – ibid,William James, **La volante de croire** , P11.

المطلب الأول: الروح الإنسانية عند جيمس

الإنسان والدين: يعتقد جيمس أن ما يصلح لإنسان يصلح لأخر طالما حقق نتائج نافعة تفيد الإنسانية جمعاء، لهذا نجد أن البحث عن الدين عند جيمس هو دافع ديني ذاتي فردي يتمتع بتجربة شخصية تكمن في الراحة النفسية والتفاؤل، وقد حاول أن يطبق المنهج العلمي التجريبي على الدين حتى يتجاوز الخلاف القائم بين الدين والعلم.

جيمس فيلسوف براغماتي ذو نزعة إنسانية يتميز بذوق حسي خاص محبا للحياة والإنسانية، ويتضح هذا من خلال سيرته الذاتية التي تناولها الكثيرون ولا سيما تلميذه *Ralph barton perry رالف بارتون بيري، كانت بدايته علمية محضة على دراية تامة بما يؤكده العلم لمستقبل العالم لكنه حاول أن يغير نظرته متجها نحو الإعتقاد الديني الذي تميز بصبغة ذاتية الهدف منه التغلب على مشكلات الإنسان، فالإعتقاد حسب جيمس هو من صنع الإنسان ذاته، لكن ما علاقة الإعتقاد بالإنسان؟

الإعتقاد الديني عند جيمس يخدم الإنسان الفرد ويوصله إلى الراحة والإطمئنان النفسي والإستقرار في حالة إضطراباته أو قلقه، هكذا لا بد أن نسلك طريق الدين لنحقق سعادتنا يقول جيمس:"السعادة؟ السعادة؟ الدين واحد من الطرق التي بها يحصل الإنسان على تلك الهبة، وبسهولة دائمة فهي تنقل البؤس الذي لا يطاق إلى سعادة دائمة"1.

يعني جيمس بهذا القول أن الدين طريق الإنسان إلى تحقيق السعادة، ونجد برتراند رسل Bertrand Russell، يرى أن جيمس قد إهتم بالدين كظاهرة إنسانية ولكنه أبدى القليل من الإهتمام بالموضوعات التي يتأملها الدين أنه يريد أن يكون الناس سعداء، ولو كان الإعتقاد في الله يجعلهم سعداء فتركهم يؤمنون به"2. يبدوا أن رسل أشار إلى أن جيمس له وجهة إنسانية حتى أننا يمكن أن نسميه فيلسوفا إنسانيا فهو يبحث عن ما ينفعه في حياته ولا يقف عن الأشياء المادية بل يتجاوزها.

*** Ralph barton perry رالف بارتون بيري فيلسوف أمريكي ولد سنة 1876، تخرج من جامعة برينستون عام 1896 حصل على درجة الدكتوراه في سنة 1897، وشغل أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد من أهم مؤلفاته أفكار وشخصية وليم جيمس توفي سنة 1957.**

1- James ,William , **Varieties of Religious Experience** ,p175

2-Russel, Bertrand, **Histoty of western philosophy**,Atouchstone Book,New York,london,1972,p 172

يتناول جيمس القداسة من بعد إنساني كونها تساهم في الحياة الإنسانية والإرتقاء إلى الأفضل فهو لم يعتنق عقيدة محددة بل يعتبر رجل إيمان وعالما نفسيا، ولم يتحول إلى لاهوتي في تناوله القداسة فهي تمثل دورا رئيسيا في نظره لتطوير المجتمع وتخليصه من الشرور، لما يتميز به من صفات الخير التي ينشدها بين الأفراد هذا يؤدي إلى توازن في المجتمع. جيمس يرى أن العلاقة التي تبنى بين الأفراد داخل مجتمع هي علاقة يسودها الحب والأمن والسلام والرجل المناسب لهذا هو القديس، لكن هل القديس هو المثل الأعلى للإنسان؟

نجد أن إميل بوترو Emil Botro لا يتناقض مع ما ذهب إليه جيمس من أن القديسين يؤدون إلى الإنسجام والسلوك الخير داخل المجتمع، إن قيمة القداسة عند جيمس تقدم للمجتمع خدمات إنطلاقا من أن الصفات التي يتصفون بها من شأنها أن تؤدي إلى السعادة والتوازن. النزعة الإنسانية عند جيمس تؤمن بقوة الإرادة البشرية وقدرة الإنسان الذاتية على تحدي القوى المتبتة وقهر الظروف فهي لاتتجاهل اليأس وإنما تضع أمام الإنسان خير طريقة وأفضل حل لقهر اليأس وطرد السكونية وروح الجمود والتشاؤم إنها نزعة إنسانية تسعى لحشد قوى الفرد بطاقة روحية للتحدي والسيطرة على الواقع بإستخدام قوة العقل والعلم 1. إن الدارس لفلسفة جيمس يلمس إهتماماته البارزة بقضايا الإنسان التي أخدت جانبا أوسع من فكره وبهذا يمكن أن نسميها فلسفة إنسانية في ضل المذهب البراغماتي.

التجربة الدينية ممارسة واقعية حية ناطقة تجسد محاولة الإنسان في الخلاص ورغبته في السمو بمشاعره عن العالم الأرضي المظطرب المبلل بألوان الشقاء والألم فالدين باعث على الشعور بالحيوية والأمل في نفس الإنسان، وما دام الدين باعثا على الشعور بالطمأنينة والسكينة وعامل لحفظ التوازن النفسي وتفعيل السلوك البشري إذن فهو ضروري للإنسان وبالتالي فالدين وثيق الصلة بحياة الإنسان، والإيمان بالإله عامل لإشباع حاجات بشرية"2. يؤكد جيمس في قوله على ضرورة الدين في الحياة الإنسانية.

1– عبد الفتاح الديدي، **الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دط، سنة 1966، ص193

2–Perry, Ralph Barton, **Présent Philosophical** Tendences,Longmans,Grren And Co, London New York,Tornto,1929 , P 296.

جيمس عالم نفساني:

تتلمد وليم جيمس على يد العديد من الأساتذة في كافة المجالات التي برع فيها ومنهم فورير fourier وسويدنبرج SUIEDENBERG تلقى برنامج علمي على يد لويس أجاسير

louis AGASSIZ وكان أستاذا عالما في مجال علم التشريح المقارن، أتبث جيمس أنه من أبرز علماء النفس في أمريكا له كتاب "مبادىء علم النفس "سنة1890، دخل جامعة هارفرد بقسم الكيمياء ثم تنقل إلى قسم التشريح ووظائف الأعضاء، ثم إستقر في الطب تخرج من الجامعة طبيبا وعين بأحد المستشفيات، ثم سافر إلى أروبا وأكمل دراسته العليا في الطب ثم عاد إلى جامعة هارفرد فعين مدرسا لعلم وظائف الأعضاء نال شهادة الدكتورة في الطب عام 1868.

كان جيمس عضو في جمعية البحوث النفسانية التي مقرها لندن التي تضم مجموعة من علماء النفس، حيث أسس أول معمل لعلم النفس التجريبي بجامعة أمريكا سنة1876 وفي إحدى محاضراته عن مقررات حول التشريح الفزيولوجي في كلية هارفرد أعطى إهتماما كبيرا لفسيولوجيا الجهاز العصبي، وجانبا من الإهتمام بالظواهر النفسية وفي مقرر من الدراسات العليا للخرجين أعلن عن العلاقات بين الفزيولوجيا وعلم النفس، حيث شمل علم النفس الفسيولوجي والموضوعات التقليدية لعلم النفس الترابطي كما تطرق فيه إلى بعض المشكلات الفلسفية كالإدراك ومعرفة العلم الخارجي ومشكلة حرية الإرادة.

جمع جيمس في علم النفس بين الملاحظة والتجربة من جهة والتأمل النظري من جهة أخرى، وقد أدى هذا التوحيد بين النظري والعلمي بين التأملي والتجريبي إلى جعل علم النفس في أمريكا بمثابة فلسفة روحية1. ينظر جيمس إلى الظواهر النفسية كونها تشكل أساس الحياة النفسية الإنسانية وأنها تيار شعوري يعي الإنسان ذاته وينعكس في تفكيره وخياله وإحساسه وإرادته2.

1- بيري، رالف بارتون، **أفكار وشخصية وليام جيمس**، ترجمة محمد على العريان، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة1965، ص252

2- كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، دت، ص416

يعتقد جيمس أن المسائل الروحانية يفكر فيها على نحو علمي يكون مركز يسمح له بخدمة الفلسفة، وقد تبنى هذا الإتجاه العلمي لهذه المسائل جمعية البحوث النفسية التي تأسست بإنجلترا من جماعة المثقفين سنة 1882. ويعتبرSidgwick Henry من أهم أعضائها ونائبهBelfour Arlthur ومن أعضائها في الفلسفة الطبيعية نجدLodge وMayres ثم إنتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بفضلHodgsen فكانت المهمة الأساسية لهذه الجمعية هو القيام بجمع معلومات متعلقة بظهور العفاريت والجن وإجراء عليها تحليلا علميا وعمل تجارب على الأشخاص الذين يتعرضون لمثل هذه المسائل الروحية، وأول بحث قامت به الجمعية هو "تجاوب الأرواح" بمعنى إهتمامها بالتجارب حول معرفة ما في الضمير، كذلك الظاهرة المتعلقة بالوساطة المادية والنظرة البلورية وكذلك ما يسمى"النفس التي لا تدخل تحت الإدراك أو ما وراء دائرة الشعور من النفس"1.

من نتائج هذا الإهتمام، تم تأسيس في ولاية بوسطن عام 1885 " الجمعية الأمريكية للأبحاث الروحية American Society of Psychical Research" وقد إستقطبت أيضا شخصيات لامعة في دنيا العلم مثل عالم النفس و الفيلسوف وليم جيمس يقول: " إن الموجات العاتية على سطح مياه المحيط المضطرب لا تصل إلى أعماقه فهي في السطح فقط والشخص الذي يملك سيطرة على حقائق أكثر إتساعا وإستمرارا، فإن التغييرات الشديدة التي تصيبه تبدو كأنها أشياء عديمة الأهمية بشكل نسبي وعلى هذا الأساس يصبح الشخص المتدين بالفعل غير معرض للإهتزاز، ومملوء برباطة الجأش ومستعد في هدوء لأداء أي عمل يتطلب إنجازه"2.

يعترف جيمس بإستحقاق كبير قدمته هذه الجمعية لما توصلت إليه من براهين على صدق العديد من المسائل، التي كانت تفهم أنها خرافات فهي تستمد معارفها من التجارب العلمية بجمع البيانات المتعلقة كلها بتجارب حقيقية للأفراد.

1– جيمس وليم، **إرادة الاعتقاد**، ترجمة محمود حب الله، داراحياء الكتب العربية، مصر، دط، سنة1947، ص35

2- James William , **Varieties of Religious Experience**, A Study in Human Nature, centenary Edition 1982, p128.

لقد تميز جيمس في مجال علم النفس بإهتمامه بالحياة النفسية وفهمها عند الإنسان السوي وذكرفي كتاباته السيكولوجية الحديثة، عن القدرات العقلية(الإنتباه والتذكر والوعي) والإدراك العقلي ويعتبر جيمس رائد المدرسة الوظيفية في علم النفس حيث إهتم بدراسة السلوك بدلا من دراسة العقل.

علم النفس عند جيمس يؤمن بالنتائج النافعة وبقيمة الحياة نجده في كتابه"موجز في علم النفس" في الفصل الخاص بالعادة كتب يقول:" إبذر عملا، تحصد عادة إغرس عادة تجني خلقا، إزرع خلقا تنل مصيرا"1. هنا نجد جيمس يؤكد على العادة كظاهرة نفسية يعتمدها الإنسان ليحقق بها نتائج مفيدة في حياته.

لقد وضع جيمس في مقاله"طاقات الناس" قوة العقل في مقاومة التعب الجسماني والتغلب على العوائق المادية ووضع نصب عينه الرجل الكامل، هكذا نلمس في كتاباته ومعانيه تعبيرا واضح ينادي بالروح الإنسانية. ذكرجيمس في كتابه أحاديث للمعلمين والمتعلمين عن جدارته كعالم نفس تربوي إهتم برسالة المعلم ودعى أن يكون إنسانا حرالتفكير مستقل الشخصية والإرادة، متطور ومتفتح لأنه قائد يقود جيل ورائه وعقولا صحيحة ودوات قوية2.

يبدوا أن جيمس يهتم بمثل أعلى هو ضرورة إحترام الإنسان كغاية في ذاته تلك القاعدة الكانطية التي جاءت من ورائها نزعة جيمس الإنسانية لـ:

*إعتبار المعلم والمتعلم طرفي العملية التربوية التعليمية غاية في حد داتها.

*الإيمان بأهمية القدوة الحسنة كأحد الوسائل التي تسرع بعملية نشر الرسالة التربوية بين

الفرد والمجتمع، حيث يقول جيمس:" ليس المعلم كالرضيع، وليس علم النفس كالقماط وإذا تحول علم النفس إلى قماط للمعلم، كان معنى ذلك تكفين التربية، إذ سرعان ما تتحول الأقماط إلى أكفان، ذلك أن المجتمع الذي يحول معلميه إلى كلاب حراسة ينشىء جيلا لا

1– بيري، رالف بارتون، **أفكار وشخصية وليام جيمس**، المرجع السابق، ص270

2–جيمس، وليم، **أحاديث للمعلمين والمتعلمين في علم النفس**، ترجمة محمد علي العريان، عالم الكتب القاهرة، دط، سنة1961 ص38

يزيد عن قطيع من الأغنام"[1]. يتضح من قول جيمس أنه يؤكد على نتيجة عملية هامة هي الإحترام الصادق للإنسانية لأن الإنسان هو المحور الأساسي في الحياة، فالعملية التربوية هي رسالة إنسانية هامة.

يوجه جيمس دعوة صريحة للمعلمين في قوله:" لذلك أناشدكم أن تترفقوا بالعقول التي لا تحصل على أعلى درجات في الإمتحانات، ترفقوا بها ترفقا حانيا بصيرا، فقد تتفتق هذه العقول في إمتحان الحياة الطويلة عن قدرات أعظم ومهارات أقدر، وإنفعالات أعمق وأهداف أقوم سبيلا وأجدر بالنفع والإفادة من تلك العقول الذرية القادرة على الإسترجاع"[2]. هذا الكلام يعكس إهتمامه الكبير بالتقدير وإحترام الإنسان المتعلم في ضوء العملية التربوية ويجسد لنا شخصية جيمس، كونه مربي الإنسانية كغيره ممن سبقوه لهذه التجربة مثل سقراط وكونفوشيوس، إن هذه الحكمة البالغة الأهمية ألهمت فكره بالإنتقال من دائرة علم النفس إلى ميدان الفلسفة.أهم خاصية في فلسفة جيمس إهتمامها بالمذهب الإنساني فقد إنطلق في معالجة هذه القضايا من نظرة تتسم بروح التجديد والإنطلاق، لقد رفض الفلسفات التي تبعد الحاجات البشرية وفي كتابه البراغماتية صرح بأن الفلسفة هي أسمى المساعي الإنسانية.من خلال ما سبق نقول أن الفيلسوف يحمل رسالة إنسانية عظيمة لأنه يبحث عن القدرات والإمكانيات العقلية والوجدانية للإنسان، والفلسفة توسع من جوانبه الفكرية وتحشده بالشجاعة والتحدي وتقدم المنافع للحياة الإنسانية عامة، هكذا يمكن تسمية براغماتية جيمس بالإنسانية.humanistic pragmatismإن النزعة الإنسانية عند جيمس تؤكد على وجود صفات مشتركة بين البشرية جمعاء فهي تنطوي على نظرة عالمية كونية شاملة، ليس بمعنى إفلاتها من الواقع وإنما إنغماس إيجابي فيه وإنسجام مع واقع الحياة بشكل متناعم مع متطلبات الطبيعة البشرية ودوافعها الفطرية وميولها النفسية. يتصور جيمس الإنسان ككائن طبيعي يبادر لفهم عالمه وإستخدام طاقاته للسيطرة والتحكم في محيطه والتكيف مع ظروف الحياة، فالإنسان يستفيد من تجاربه ويوسع من معارفه واضعا مشاريع مستقبله. كيف إنتقلت النزعة الإنسانية من جيمس إلى تلميذه الفيلسوف الإنجليزي شيلر؟ كيف أسس مذهبه الإنساني؟

1 – جيمس، وليم، **أحاديث للمعلمين والمتعلمين في علم النفس**، المصدر السابق، ص42

2– المصدرنفسه، ص191

المطلب الثاني: شيلر وعلاقته بنزعة جيمس الإنسانية

شهد إنتظام الفكر البراغماتي بداياته مع نتشيه حيث طغت عليه النزعة التشاؤمية في حين يعتبر الفيلسوف الأميركي وليم جيمس المؤسس الفعلي للبراغماتية، الذي حاول تغييرطموحات الفلسفة من الكون إلى الإنسان1. ومطلقا نظريته البراغماتية التي لم تتجاوز كونها مجرد واحدة من نظريات المعرفة و نظريته تطورت أكثر مع تلميذه الفيلسوف سكوت شيلر Scott Schiller ، الذي سمى مذهبه بما يعرف بإسم "البراغماتية الإنسانية" وهو يعتقد أن إنسانية نظريته تعود إلى الأهمية المركزية للإنسان فيها، فقد حافظ شيلر على مبدأ جيمس بالحكم على قيمة المعرفة من خلال منفعتها وبما أن الإنسان هو الحكم على هذه المنفعة، فإن شيلر يعطيه مكان الصدارة في التفلسف بحيث يشارك فيه بحسه وعقله و إدراكاته وحتى بوجدانه.

بذلك يعتبر شيلر أن الإنسان هو المركز لكامل العالم الفكري جامعا بذلك بين أكسيولوجية بروتاغوراسBrocagoras " القائلة بأن الإنسان هو مقياس الأشياء جميعا وبين تشاؤمية نتشيه Nietzsche " القائل بأن الإنسان هو حيوان لن نصل يوما إلى فهمه"2.

من البراغماتية إلى المذهب الإنساني:

إنطلاقا من أهمية الإنسان في هذه النظرة إعتبر شيلر أن مذهبه هو "المذهب الإنساني للبراغماتية". وبهذا فهو يسمح لنفسه بإستبدال أحكام "الوجود" بأحكام "القيمة".

هكذا تتحول الحقيقة إلى مجرد أداة للعمل بعد أن فقدت إطلاقيتها وتجريديتها وهي لا تصبح واقعة إلا بفعل الإنسان فيها، والخلاصة العملية لهذه النظرية والتي تنعكس بوضوح على نمط الحياة الأميركي، حيث يمكن إختصارها بالمبادئ التالية:

– يجب إحترام جميع المعتقدات حتى ما يبدو لنا منها باطلا، شرط أن يكون أصحابها صادقين ومخلصين لها.

1- كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، مرجع سابق ، ص415

2- المرجع نفسه، ص420

– يجب الإبتعاد عن مواقف التشيع والإنحياز، وعن المواقف التحزبية، والمواقف العنصرية والتمييز وتجنبها.

– يجب الإعتماد على قيم التسامح والشمولية الإنسانية.

هذه المبادئ هي المعتمدة كأساس لليبرالية الأميركية، أما عن نمط التفكير الداعم والمرافق لتطبيق هذه المبادئ، يلخصه شيلر عبر تصنيفه للإعتقادات التي يعتبرها أداة قمع إجتماعية أو سلطوية، بحيث يجب الخلاص من تأثيرها وعلى طريق هذا الخلاص فإنه يصنفها إلى:

الإعتقادات الضمنية: التي لا نجاهر بها ولا نناقشها.

الإعتقادات الجدالية: وهي غير مستقرة لكننا نسلم بها عن بينة.

إنصاف الإعتقادات: وهي غير ثابتة (غالبا" دينية برأي شيلر).

الإعتقادات الموهمة: وهي إيحائية الطابع.

عبر هذا التصنيف يبين لنا المذهب الإنساني لإطلاقية المعتقدات وعدم إضطرارنا للإستسلام لها كأداة بطش إجتماعية أو سلطوية. وثانيا فإننا لسنا عبيدا لمعتقداتنا، فنحن أحرار في إختيارها وتعديلها بما يتناسب مع طموحاتنا الفردية ورغبتنا في تعديل البيئة الواقعية وفق غاياتنا1. نحن إذا ما قرنا دعوة شيلر للخلاص من سلطة الإعتقادات وجدنا أنه المؤسس الحقيقي لدعوة العولمة الراهنة. فالخطوة الأولى لتطبيق نظام السوق (العولمة) تبدأ من إلقاء الإعتقادات جانبا، لأن الخلاص من سلطتها شرط رئيسي لليبرالية الأميركية التي أرسى شيلر مبادئها. بذلك يحق لنا الإعتقاد بأن كتاب شيلر المنشور عام 1929 تحت عنوان "منطق للإستخدام" هو المقدمة الفكرية للعولمة، مما يجعل من مناقشة هذا الكتاب وأفكار مؤلفه عامة مناقشة للينابيع الفكرية وللإرهاصات الأولى للعولمة. ظهور المذهب الإنساني عند شيلر يعود الفضل فيه لجيمس، الذي ألح على ضرورة تركيز التأملات والطموحات الفكرية والفلسفية على عالم الإنسان وهي دعوة نشرها في العالم الجديد وعبر القارة الأوروبية، أين كان يقيم علاقة صداقة علمية وفكرية حميمية تفاعلت لتنتج نمودجا يحمل مبادئ فكره وينظم لتيارالحركة البراغماتية إنه تلميذه شيلر2.

1– النابلسي أحمد، محمد، **سيكولوجية السياسة الأمريكية**، مركز الدراسات النفسية، بيروت، لبنان،ط1، 2003، ص9،10،11

2-Gérard deledalle,**la philosophie américaine**,lausanne,suisse,éditions l'Age d'homme,1983,p143.

إنتقلت البراغماتية إلى إنجلترا كرد فعل على إتجاهات سائدة كالمثالية الهيجلية والعقلانية الكانطية، تجسد هذا خاصة مع فلسفة برادليBradley و توماس جرين thomas green حيث حاول هذا الأخير الإعلاء من شأن الحياة الروحية، بإعتباره كان أستاذ للفلسفة الأخلاقية بجامعة أكسفورد ونشر بحثا نقديا لفلسفة هيوم التجريبية.

هذه الإتجاهات والمزاعم الفكرية متلث صدى الإنحراف الفكري الأروبي في نظر شيلر schiller وهو بدوره كان مستاء من الجو الفكري السائد في جامعة أكسفورد، هذا ما جعله يتحمس أكثر للمذهب البراغماتي وفسح المجال للتعبير عنه في مؤلف مشترك نشره ستيرت هنري Henri sturt عام1902 بعنوان "المثالية الشخصية"من بين مؤلفه أعضاء "جمعية أكسفورد الفلسفية"وهم شيلرschiller وراشدال rachedel، إتسم هؤلاء بالروح البراغماتية الأمر الذي ولد لديهم ميول للتعاطف مع الفلسفة البراغماتية وولاء مشترك لمبادئها وتنمية مبدأ الشخصية ودعمه على أساس التجربة1.

هاجم أعضاء هذه الجمعية ومن بينهم شيلر المذهب المادي والمثالية الهيجلية في أكسفورد تحت عنوان "المذهب المطلق"، فرغم التناقض الواضح بين المادية والمثالية إلا أنهما يتفقا في تقيدهما الكامل لفكرة الشخصية الفردية، فكلاهما لا يقدر الشخصية الحرة الأخلاقية المستقلة حق قدرها من هنا أعلن هؤلاء الأعضاء ولائهم المشترك في الإعتراف بقداسة الشخصية البشرية، هذا ما يبعث بصلة عميقة لعقيدة المذهب الإنساني في إيمانه بفردية الإنسان كقيمة مطلقة في ذاتها وتقديره لها.

ما العوامل التي مهدت للمذهب الإنساني عند شيلر؟ما طبيعة النزعة الإنسانية عنده؟

تعود المنابع الأصلية لبراغماتية شيلر إلى المدرسة التجريبية خاصة مع هيومHume ومذهب المنفعة عند ستيوارت ميل Stuart Mill وتطورية سبينسر Spencer وفلسفة إرادة القوة عند نيتشهNietzsche وتأثره بمذهب الإرادة عند الفلاسفة الإنجليز مثل ستوتstout وقدأطلق على فلسفته المذهب الإنساني، كونه تلميذ مباشر لجيمس الذي وصف كتاب شيلر "ألغاز أبي الهول"سنة 1891بقوله:"ككتاب تعددي يعتقد بوجود الإله ذي همة عظيمة وإبتكار

1– ميتس رودلف، **الفلسفة الإنجليزية في مائة عام**، ج2، ترجمة د فؤاد زكريا، مراجعة د زكي نجيب محمود، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة2009، ص 15.

بناء لشاب صغير خام وعقل بلانسق ولا تناسب ولكنه ملهم للغاية وعلى نفس المنوال الذي أميل إلى أن أنسج عليه"[1].

لقد ذكر شيلر في مقال البديهيات بوصفها مسلمات، البداية الحقيقية للمذهب البراغماتي في صورته الإنجليزية الخاصة وفيه نلمح الأفكار الرئيسية التي أثبتت قيمتها في التطور الهائل للبراغملتية الإنجليزية. وتأثر بالمذهب البراغماتي الأمريكي وخاصة بجيمس والأخذ بأفكاره في الجانب النفسي والأخلاقي والميتافيزيقي، وقد حاول شيلر أن يجد مكانة هامة للإنسان من خلال نظريته في المنطق والحقيقة، حيث أنه يبحث عن الإنسان بجميع عواطفه ورغباته وأحاسيسه وأفعاله ومعاملاته وغاياته، هكذا نفهم أنه يأسس لعلاقة بين المنطق وعلم النفس لأن جميع التركيبات المنطقية إنما هي نواتج لوظائف نفسية وكل حقيقة تتقرر تبعا لظروف الإنسان وترتبط بوقائع إنسانية فلا يمكن وصفها أنها حقيقة[2].

عمل شيلر على إعادة المعنى الكامل للإنسانية في الفلسفة والهدف الأسمى للنزعة الإنسانية البراغماتية عنده هو إعادة صبغ الفلسفة بالصبغة الإنسانية.

the rehumanizing of philosophy وهو يمتدح في تاريخ الفلسفة ذلك القول القديم "لبروتاغوراس":"الإنسان مقياس الأشياء جميعا ولذا نجد شيلر ربط مذهبه مباشرة بمذهب السفسطائين ويسمى نفسه بروتاغوريا جديدا" وهو ينحاز في كتابه أفلاطون أم بروتاغوراس إلى صف هذا الأخير. يمكن القول أن شيلر تجاوز بروتاغوراس في قوله بحيث جعل الإنسان مولد الحقيقة وخالق الواقع ومصوره، كما يمكن أن نصنف الفلسفة البراغماتية في الفكر المعاصر ضمن الفلسفات الحيوية التي تحيها على إختلاف صورها روح واحدة. نتساءل ما علاقة نزعة جيمس الإنسانية بـ شيلر؟

يصرح جيمس في كتابه البراغماتية بقوله:" أن إقتراح المستر شيلر بتسمية البراغماتية الأوسع بإسم "الإنسية" إقتراح وجيه وينبغي أن يؤخذ به"[3]

1- بيري، رالف بارتون، **أفكار وشخصية وليام جيمس**، المرجع السابق،ص433

2- ميتس رودلف، **الفلسفة الإنجليزية في مائة عام**، ج2، مرجع سابق ، ص 29

3– جيمس وليم، **البراغماتية**، ترجمة محمد علي العريان، مصدر سابق ، ص441

يمكن القول أن النزعة الإنسانية عند شيلر تهتم بموضوع الإنسان كمشكل فلسفي إنطلاقا من بيئة هذا الإنسان وقدراته ورغباته لتحقيق منافعه في حياته، هكذا تتضح العلاقة الجوهرية مع فكر جيمس الذي إهتم بالذات البشرية والقدرات والطاقات السيكولوجية للإنسان من أحاسيس وعادات وإنفعالات التي لها صلة مباشرة بالعالم الخارجي1.

ترتبط النزعة الإنسانية عند جيمس أكثر بنظرية الحقيقة والإعتقاد الديني وتبرز نزعة شيلر الإنسانية في نظرية الحقيقة خاصة، وهذا ما يعبرعنه جيمس في رسالة بعتها إلى صديقه شيلرفي أفريل 1907 يقول فيها: " إنني أعتبر نظرية الحقيقة بمثابة مفتاح لكل طروحاتنا. والمرتبطة بالإنسان بمصالحه ومنافعه وإنسجامه الذاتي والبيئي فكلاهما يؤهل الإنسان ليكون صانعا للحقيقة، ليستفيد من وجوده عمليا وفعليا وواقعيا، ويستثمر كل الإمكانات الذاتية والموضوعية المتاحة له ليزداد تطورا وتفوقا وسيطرة على الطبيعة وعلى العالم، وقدرة على التكيف مع أوضاع الحياة بكل ما أوتي من قوى طبيعية عقلية وإرادية وبيولوجية، مستخدما معارفه وأفكاره وسائلا لتحقيق أهدافه ومنافعه"2.

هذه الرسالة تعبر لنا عن تقارب النزعة الإنسانية بين جيمس وشيلر رغم إختلاف تفكيرهما، فنجد جيمس بحكم أمريكيته ينطلق من الموضوع تجاه الذات ومن الواقع إلى الفكر ومن التجربة والعمل إلى الحكم، بينما شيلر ألماني يتجه من الذات نحو الموضوع ومن تحديد الأهداف إلى صياغة الوسائل ومن التركمات العلمية والمعرفية للخبرات البشرية السابقة إلى بناء حقائق إنسانية مستقبلية فنزعتهHumaniste intégral.

1− F.C.S Schiller, **Etudes sur l'humanisme**, traduit par S. Jankélévitch, Paris, Alcane 1909,p400.

2−william,james,**Extraits de sa correspondance,préface de M henri Bergson**,traduit de l'anglai par F delattre et, M lebreton , payot ,1924,p285.

من خلال ما سبق يتضح أن شيلر إنساني متكامل الإنسانية تكرار ضمني للمرامي الفكرية لعصر النهضة وعصر التنوير، وما يؤكد هذا الحكم تصور البراغماتية الإنسانية الله حسب أفكارها الخاصة تماشيا مع الميول الفردية وإعطاء الدين صبغة إنسانية هدفها تحقيق الرضى والإنسجام للإنسان1.

يمكن القول أن شيلر إتجه بموقفه على درب البراغماتية التي تهتم بالإنسان فقد حاول أن يجد فلسفة جديدة، بالعودة إلى الحياة إنطلاقا من الإنسان كموضوع جوهري يشارك في حل مشكلاته في هذا العالم وسيستفيد من خبراته الذاتية وتحقيق منافعه في حياته.

تطور النزعة الإنسانية عند جيمس هي مشكلات سابقة عرضها بطريقة جديدة وفقا للمنهج البراغماتي وثقافة المجتمع الأمريكي، فقد حاول تقدير الذات البشرية وتمجيد الفردانية وبتالي حاول الإعلان عن ميلاد مفهوم جديد للإنسان أكثر إنفتاحا على الحياة.

قدم لنا جيمس فلسفة إنسانية في عمقها، براغماتية في ظاهرها يتخلالها قضايا مختلفة نفسية، أخلاقية، ميتافيزيقيا و دينية.

من هنا يمكن أن نطرح تساءل كيف أسس جيمس للمسألة الدينية؟ ما علاقة الإعتقاد بالدين؟ هل الإعتقاد يحقق الإيمان؟ ما التجربة الدينية التي جاء بها جيمس؟

1- ميتس رودلف، **الفلسفة الإنجليزية في مائة عام**، ج2، مرجع سابق ، ص 47، 48.

الفصل الثالث: فلسفة الدين عند جيمس

المبحث الأول: الإعتقاد والدين عند جيمس

المطلب الأول: – حق الإعتقاد والتعايش بين المعتقدات

المطلب الثاني: – تحقيق الإيمان

المطلب الثالث: – التجربة الدينية والتصوف

المبحث الثاني: الدين والأخلاق عند جيمس

المطلب الأول: – الإلزام الخلقي

المطلب الثاني: – التفاؤل الخلقي

المطلب الثالث: – مشكلة الحرية

المبحث الأول: الإعتقاد والدين عند جيمس

توطئة:

فقد المجتمع الأمريكي الثقة في الصور والنماذج القديمة للحياة الدينية نتيجة الحرب الأهلية، فسعت للتغيير والبحث عن عقيدة دينية جديدة لا تتناقض مع نظرة الإنسان الحديثة للحياة وظهر دور جيمس في وضع تعبير جديد لهذه الروح الدينية المضطربة، حيث كتب كتاب"أنواع الخبرات الدينية" وضع فيه التجربة الدينية الفردية بإعتبارها المحور الرئيسي للدين هذا ما أثر على كثير من علماء النفس والفلاسفة حيث تغيرت نظرتهم إلى الدين وإتجه الكثيرون من حملة لواء المذهب التطوري إلى إعادة نظرتهم الدينية بل قام البعض بكتابة لاهوت مسيحي جديد.

نسعى من خلال هذا المبحث إلى تقديم رؤية الفلسفة البراغماتية للظاهرة الدينية وكيفية التعامل معها في إطار فكرها الفلسفي مع ممثلها وليم جيمس المنظر الثاني لهذا التيار الفكري من هذه الوجهة نتسائل كيف أسس للفكر الديني؟ كيف ربط بين المعتقدات من خلال فكرة التعايش؟ هل الإعتقاد حق؟ وما طرقه؟ كيف نحقق إيماننا؟ هل الدين يتحقق من خلال التجربة؟ هل الديانة الحقيقية هي التصوف؟ ماقيمته عند جيمس؟

المطلب الأول: حق الإعتقاد والتعايش بين المعتقدات

ساهم جيمس في تطور الفكر الفلسفي الأمريكي وتعتبر فلسفته متنوعة متجددة فهو يؤمن بالتقدم والفلسفة الحقيقية هي الفلسفة المتفتحة الفعالة، التي لا تصدر حكما نهائيا قاطعا وتجريبيته تختلف عن لوك أو هيوم. يدعو جيمس إلى فلسفة التقدم فهي فلسفة براغماتية تنادى إلى تجريبية أصيلة تختلف عن التجربة الإنجليزية، وصاحب رسالة إنسانية إهتم بشخصية الفرد ونادى بالحرية في التفكير والحياة والعمل وكان يدعو إلى التسامح بين الأفراد. إن البيئة التي نشأ فيها كانت بيئة دينية محافظة خاصة أبوه هنري جيمس الذي كان صوفي متدين فقد جمع بين الجد الديني العميق والفطنة اللامعة، فالعائلة التي تربى فيها كانت عائلة دينية لهذا نجده يميل إلى الدين والتدين1.

1- Jean Greisch, **le buisson ardent et les lumières de la raison**, **L'invention de la philosophie de la religion**, tome 2,les éditions du cerf, paris,2002, p423.

الطابع العام لفلسفته طابع ديني، فكانت دراسته للدين دراسة سيكولوجية ولم تكن دراسته رجل دين أو كعالم في تاريخ الأديان، فحاول تطبيق المنهج البراغماتي على أساس التجربة الدينية. يقول جيمس"أخشى أنني توقفت عن أن أكون عالما نفسيا وأصبحت مقصورا على أن أكون أخلاقيا وميتافيزيقيا"1.

بحث جيمس الدين على أساس سيكولوجي وليس على أساس ميتافيزيقي والنقطة الأساسية في فلسفته الدينية هي حق الإعتقاد لكل شخص.

الإعتقاد يعني الإيمان بشيء يمكن الشك فيه من ناحية نظرية أو هو الرغبة في العمل والإستعداد له، وقد دافع عن الدين حيث نجده يذهب إلى أن العلاج الناجح هو الإيمان الديني2. Worry للقلق فالشجاعة وتحمل الحياة تستمر لمن يعتقد في الدين.

يرى جيمس أن لكل شخص حق مطلق في الإعتقاد والإيمان وهناك طريقان للإعتقاد طريق العقل وطريق الوجدان كما وضحه في قوله:" إن إعتقادنا في بعض المسائل التي أمنا بها أثر بفعل طبائعنا الوجدانية والإختيارية وأن إعتقادنا في بعض أخر منها أثر بمجهوداتنا العقلية"3.

ذهب جيمس إلى أن العقل نعتمده في إعتقادنا لكن هناك طرق أخرى مثال الإرادة أو الرغبة أو الوجدان وعامل الإختيار هو الذي يحدد إعتقادنا إلى حد كبير، هذا يعنى أن طبيعتنا غير العقلية تؤثر بشكل واضح في معظم أرائنا ومعتقداتنا4.

لقد أعطى جيمس أهمية ضرورية للإيمان الديني الذي يثبته الوجدان لهذا فقد رفض فصل الإرادة والعقل عن العاطفة، إن قيمة الإعتقاد الديني تتوقف على ما يحققه من نتائج عملية على سلوك الفرد، فالإعتقاد الديني يكمن في كونه تمثيل يطابق الواقع تقريبا فصحة المعتقدات الدينية تتوقف في القدرة على التعامل مع أنواع من الظروف في حياة الإنسان.

1- رالف بارتون، بيري، **أراء وشخصية وليام جيمس**، مرجع سابق ، ص299.

2- محمد عبد الحفيظ، **الفلسفة والنزعة الإنسانية الفكر البراغماتي نموذجا**، دارالوفاءالإسكندرية، مصر، ط1، سنة2006،ص75

3- جيمس وليم، **العقل والدين**، ترجمة محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دط، سنة1949، ص6

4- إبراهيم زكرياء، **دارسات في الفلسفة المعاصرة**، مرجع سابق ، ص43

النتائج التي يحققها الدين لا تكون أنية لكنها مستقبلية تعطي لحياتنا صبغة من التفاؤل والطمأنينة مثل فكرة الإله، التي تعطي الأمل مما يؤدي ذلك إلى تغير في مجرى الحياة. يعتبرالإعتقاد من أهم المواضيع التي شغلت الكثير من عقول الفلاسفة عبر العصور من بين المفكرين الذين كرسوا جزءا رئيسيا من فلسفتهم لشق طريق الإعتقاد الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس الذي جعل من البراغماتية دربا للوصول للإيمان، وإتخد من الإرادة أساسا للإعتقاد بمؤلفه الشهير "إرادة الإعتقاد" الذي كتبه سنة1895 وقد ذكر فيه ثلاثة أبواب: the will to believe باب يعالج الصدق العقلي والتعددية والذاتية، فأما الصدق العقلي فيمس نظرية المعرفة والتعددية تمس الميتافيزيقا والذاتية تمس الأخلاق.

جيمس فيلسوف براغماتي ذو نزعة إنسانية، كانت بدايته علمية لما يحقق العلم لمستقبل الإنسان، هذا الأخير ينطلق من سلوكاته وعواطفه الذاتية لهذا يجب أن نجد مخرجا مريحا من هنا ينطلق الإعتقاد الديني عنده والذي يؤدي إلى الراحة والإنسجام النفسي الذي يساعد الإنسان على تجاوز كل الصعوبات في حياته1.

الإعتقاد عند جيمس محدد بموضوعات لا نستطيع أن نتوصل فيها لنتيجة بالفعل المجرد ولكننا لا نشك في نتائجه العملية ويرتبط الإعتقاد بالإرادة، حيث يذهب جيمس إلى القول:"إذا كانت الفروض الدينية في كل أجزائها بما فيها هذا الجزء فإن العقل الخالص بإعتراضه على الإعتقاد يعد من السخف كما يصبح تدخل بعض طبائعنا العاطفية مطلب منطقي، لذلك لا أتفق مع طريقة الشك من أجل السعي وراء الحقيقة أو أن أوافق على إخراج الإرادة من هذا الموضوع ولا أستطيع أن أفعل ذلك لهذا السبب الواضح وهو أن كل قاعدة للتفكير تمنعني إطلاقا من الاعتراف بأنواع معنية من الحقائق لوكانت تلك الأنواع موجودة في الواقع تكون قاعدة غير معقولة"2.

نظرة جيمس في الإعتقاد الديني لها صيغة فردية والمعتقدات لا يبررها العقل ولكن تبررها المنافع العملية التي تنتج عنها، فهي لا تتضمن إيمانا إعتباطيا لا يميز بين الصحيح والفاسد من المعتقدات.

1– الشنيطي، محمود فتحي، **وليم جيمس**، دار الحمامة للطباعة، مصر، ط1، سنة1975، ص166

2- James William, **the Will to Believe** ,p28.

يرى جيمس أن للمعتقدات الدينية أثرها البالغ في حياة أصحابها فأثرها نافع وعندما قارن بين المعتقدات توصل إلى نتيجة أن الإيمان الذي لا يتزعزع سند قوي لتأييد صدق قضية ليس في وسعنا أن نبررها تبريرا عقليا.

الإيمان الذاتي عاملا فعالا في النتيجة التي يحققها الفرد وبدونه لن يستطيع أن يعرف ما إذا كان من الممكن له إشباع رغباته أو تحقيق مثله يقول جيمس:" إذا كانت حياتك في خطر وكنت تخشى الغرق قبل أن تصل إلى الشاطئ فينبغي لك أن تعتقد بوجه حاجتك فبهذا الإعتقاد وحده يمكنك أن تقضي هذه الحاجة وإذا أبيت الإعتقاد فقد تكون على صواب ولكنك ستهلك لا محال، خير لك إذن أن تعتقد فسوف تكون على صواب لأنك ستنقد نفسك"[1].

نتسائل هنا هل إعتقادنا مرتبط بحاجاتنا؟ هل سيؤدي بنا إلى النجاح؟

يؤمن جيمس في هذا العالم بالإعتقاد فهو الذي يحدد لنا الطريق الصحيح في النجاح إذا تخلينا عنه سوف نخسر لامحال، في هذا المضمار نجد بيرس يذهب إلى أن المعتقدات في الحقيقة قواعد للعمل يمكننا أن نشرع في تحديد السلوك الذي نرى فيه معنى هذه المعتقدات فإذا كان المعتقد صادق صحيح يكون ناجحا وإذا كان كاذب يكون فاشل لهذا تتماشى معتقداتنا إستنادا إلى أفكارنا.

الإعتقاد الديني عند جيمس لا يخرج عن كونه إعتقادا يؤدي إلى الراحة والإنسجام النفسي الذي يساعد الفرد فيما يتعرضه من مشاكل وصعوبات في الحياة، والإعتقاد محدد بموضوعات لا نستطيع أن نتوصل فيها لنتيجة بالعقل المجرد ولكننا لانشك في نتائجها العملية وبتالي فهو لا يعترف بحلول عقلية لا تؤدي إلى نتائج في الواقع.

في نظر جيمس إرادة الإعتقاد هي شعور الإنسان بالحاجة إلى قبول بعض المعتقدات التي لا يرفضها العقل، والتي إنما تتبث مشروعيتها من الفوائد الحاصلة منها مثل الحاجة إلى الثقة بالنفس التي متى قبلها الإنسان قوت من عزيمته وزادت قدرته فحصل مراده وتبث له بذلك أنه كان محقا في إعتماده الثقة بالنفس كمبدأ.

1- الشنيطي، محمود فتحي، **المعرفة**، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، ط3، سنة 1962، ص207

يؤكد جيمس في كتابه إرادة الإعتقاد حقنا في أن نؤمن بالإله حتى بدون برهان مطلق لأننا نستطيع عن طريق قبول فكرة الإله أن نرى حياتنا، ونصل إلى الإلهام في سلوكنا الفعال الذي ينقصنا لولا قبول هذه الفكرة. ما طبيعة عقيدة جيمس الدينية؟

يبدو أن جيمس فيلسوف براغماتي ذو نزعة إنسانية محبا للحياة وسعيدا بالحرية يسعى إلى تحقيق السعادة الإنسانية، ولهذا تبقى براغماتيته تصطبغ بصبغة ذاتية شخصية ينبغي أن نشير إلى حقيقة أن الإعتقاد الديني عند جيمس لا يعني أنه يؤمن بالدين بطريقة تقليدية وراثية، من هنا يمكن أن نتفق مع *رالف بارتون بيري Ralph Barton Perry حيث يرى" أن دين جيمس لم يتخذ شكل العقيدة التعسفية الجازمة، ولا شكل الولاء لمذهب كان جيمس جوهريا رجل إيمان وإن لم يكن مشايعا لأية كنيسة أو مذهب أو ملة أو عقيدة ضد الباقي"1، هكذا يمكن القول أن جيمس يتميز بفلسفة دينية خاصة فهو ليس لا هوتيا بل فيلسوفا دينيا وجوهر فلسفته رفضها لوجود قوة عليا هي المسؤلة عما يحدث وقد وضع أساسين لعلم الدين، فالأول أساس وجداني يمثل سلوك الفرد ويتحدد إما بالفكر أو بالوجدان يقصد جيمس بهذا الأخير، أن الإنسان يجد طبيعته البشرية دافعا إلى الإعتقاد بالدين الذي يشعر صاحبه بالسعادة والتفاؤل في حياته.

أما الثاني فهو أساس ذهني بحيث أن الذهن له وظيفة في ترتيب العقائد وتنظيمها وهو يجعل من الدين علما موضوعا. يرى جيمس أن الإعتقاد بالدين كائن في مكافحة الإنسان لعنصر الشر الذي فيه وهذا يتم بإستغلال العنصر الطيب فيه الذي يتصل بالعالم المنظور. من هنا يرفض بيرس فلسفة الدين التي جاء بها جيمس كونها تجمع بين العلم والدين إن براغماتية بيرس تهتم بالعلم مهملتا الجانب الديني. جيمس رمز هام لمدرسة فلسفية جديدة في العالم الناطق باللغة الإنجليزية ويعتبر جون ديوي من أقوى أنصاره في أمريكا وفي إنجلترا سكوت شيلر، وقد تطرق في فلسفته الدينية إلى ثلاث مذاهب، الأديان السماوية، علم اللاهوت، المدرسة الهيغلية الجديدة، فكيف نظر جيمس لهذه المذاهب الدينية؟

***رالف بارتون بيري Ralph Barton Perry فيلسوف أمريكي ولد سنة1876في مدينة فرمونت، يعتبرزعيم المدرسة الجديدة من الواقعية في الفلسفة البراغماتية، حصل على الدكتوراه سنة1897 من جامعة هارفرد، ثم أصبح مدر س الفلسفة فيها، أهم مؤلفاته شخصية وأفكار وليم جيمس، إنسانية الإنسان، توفي سنة 1957.**

1– بيري، رالف بارتون، **أراء وشخصية وليام جيمس**، مرجع سابق ، ص272

***الأديان السماوية:**

لايفرق جيمس بين اليهودية والمسيحية والإسلام ويطلق عليها إسم الدين السماوي أو المذاهب المؤلهة، وتقوم هذه الأديان على أداء طقوس مفروضة سواء كانت تقديم قرابين أوعبادات أو صلوات وأن مقدار إخلاص المعتقد يقاس بمقدار طاعته لهذه الأوامر وبعده عن النواهي الممونة في الكتب.

يعتقد جيمس أن إيمان الناس في العصر الحديث بالأديان بدأ يزول وهذا لأنها تقوم على أساس العقاب والتخويف، والنهضة العلمية أظهرت أن الإنسان واضع القوانين ولم يتلقاها من الله وهي خاضعة للتغير والتعديل وليست خالدة1.

***علم اللاهوت:**

لقد حصر جيمس أدلة اللاهوت على وجود الله في ثلاثة أدلة، دليل العلة، التدبير القانون الخلقي ويعرض دفاع الأباء عن صفات الله، أيضا فقد أخذ اللاهوتيون صفات الله كما جاءت في الكتب المقدسة فقالوا إن الله هو العلة الأولى مختلف عن جميع مخلوقاته لأن وجوده من ذاته، كما أنه غير محدود من خارج وغير محدد من داخل وبتالي تؤدي هذه اللانهائية في الله أن يتصف بالكمال التام.

***المذهب الهيغلي الجديد:**

يتصور جيمس أن هذا المذهب هو التيار الفلسفي الذي يدافع على أساس روحي ديني للفلسفة، دون الرجوع إلى نصوص الدين أو العقائد المنقولة من الكتب وإنما بطريق البرهنة المنطقية الجدلية المستندة إلى فلسفة المطلق2.

موقف جيمس الحقيقي من فلسفته الدينية هو الوصول إلى علم الأديان فهاجم الفلسفات المطلقة على أنها فلسفات مدمرة للإبداع الإنساني لتجاهلها الواقع الخصب المتغير وهذا يتناقض مع فلسفته التي يحترم فيها الإنسان ويحمله مسؤولية تطوير العالم.

يرى ما يؤيده الدين يتفق مع العلم ويتعامل معه وما يتعارض مع العلم يرفضه ويحمل الفلسفة مسؤولية بهذا يقول جيمس:

1– محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، المرجع السابق، ص130

2 –ibid, James William , **Varieties of Religious Experience,** p454

"يجب على الفلسفة أن تتخلص من الميتافيزيقا والإستدلال القياسي للنقد والإستنتاج وبصراحة تحول نفسها من اللاهوت إلى علم الأديان فإنها تجعل نفسها نافعة بدرجة كبيرة"1.

من خلال هذا تتضح فلسفة جيمس الدينية من حيث إرتباطها بالمنهج العلمي ويتجلى هذا في نقده للفلاسفة العقليين واللاهوتيين ليقدم لنا علم الأديان المرتبط بالمنهج العلمي هكذا إتصفت فلسفته بالتجريبية.

الإشكالية الفلسفية التي قدمها جيمس للفلسفة الدينية تتماشى وفق نمطين المادية والمثالية أو التجريبية العقلانية، فالفلسفة الدينية بنظر جيمس تفتقر إلى أسلوب الفعل أو الحركة، فهي فلسفة توفيقية تحاول إيجاد معادلة بين التجريبية والعقلانية بينما نستطيع برأي جيمس أن ندفع هذا المفهوم إلى مدى أبعد يتمثل في الإطلاقية الدينية خارج نطاق الفكر الفلسفي فهذه المعادلة هي:

العقلانية = التقنية – التصفية – التأمل – الإطلاق

التجريبية = المادة الخام – التجربة – الفعل– التعددية

إنها عقلانية دينية إطلاقية ومن جهة أخرى تجريبية ذات صلة بالوقائع، إن البراغماتية تنطلق من المحسوس والمادي عبر التجربة للوصول إلى نتائج تعود بالنفع على الإنسان والميتافيزيقا تتعامل مع المجرد والمطلق، فالبراغماتية التجريبية تنطلق نحو المطلق الميتافيزيقي بإتجاه معاكس للعقلانية2.

يرى جيمس أن الدين السائد في الأوساط الفلسفية هو ما يراه الفيلسوف الإنجليزي "جرين"Green و"جوزيا رويس Josaya Royce" في أمريكا، وتصور أنهما أراد أن يخلصا الدين من الوجدانات الفردية من جهة ومن العقائد المنزلة من جهة أخرى، فأخذ على عاتقهما إقامة الدين على أساس موضوعي بمعنى إقامته على أسس عقلية وأن القول بالمطلق متضمن في القول بالله.

1– وايت، مورتن، **عصر التحليل**، ترجمة أديب يوسف شيش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، دط سنة1975، ص42

2– ibid, James William, **the Will to Believe** ,p20

من خلال هذا نقول أن جيمس يقر بأن الإعتقاد عنصر أساسي في طبيعة الإنسان وأن الإيمان مطلب مشروع للإنسان، وقد فشلت الفلسفة اللاهوتية والمطلقة في إقرار العقائد الدينية وبتالي فإن الذهن لا يقرأ العقائد، وإنما وجدان الإنسان هو الذي يوصل إلى الإعتقاد الديني.

يفرق جيمس بين نوعين من الدين، الأديان السماوية والديانة الشخصية يقول:

"سأتجاهل الدين السماوي تماما في المحاضرات ولن أعني كثيرا باللاهوت ولا بالأفكار حول الألهة ذاتها وسأحدد نفسي ما وسعني الجهد بالديانة الشخصية البسيطة"[1]

يبدو أن جيمس لا يعترف بالديانات السماوية وإنما يقر بالديانة الشخصية لهذا نجده من خلال بعض المحاضرات التي كان يلقيها على المستمعين أسلوب خاص من الخطاب يتخلل قلوبهم في مجال الدين ويؤثر فيهم.

مامعنى الدافع الديني أو الوجدان الديني أو النزعة الدينية في الإنسان؟

العاطفة الدينية لا تتكون من شيء ذي طبيعة سيكولوجية خاصة ولا نعتر على نزعة تسمى النزعة الدينية في الإنسان، فالدافع الذي جعل جيمس يهتم بالدين دافع ذاتي فردي يتمتع برؤية خاصة كونها راحة نفسية، لهذا نجده في إحدى تعريفاته للدين أنه مجموعة وجدانات وأفعال وتجارب يعاينها الأفراد في وحدتهم كلما أدركوا أنهم على علاقة مع أي شيء يعتبر إلهيا، ويعرفه أيضا أنه الإعتقاد بعالم غير منظور وأن خيرنا الأسمى كائن في إيجاد الملائمة الناجحة بيننا وبين ذلك العالم[2].

النتائج التي وصل إليها جيمس في فلسفته الدينية هي أن الدين في جوهره إعتقاد في عالم غير منظور وأنه توجد علاقة بين الإنسان وعالمه ويرد تثبيت العقائد في نفوسنا إلى الوجدان، فهو الذي يتبث الإعتقاد الديني وليس الذهن أي في طبيعة الإنسان مجالات غير ذهنية لتصل إلى العالم الخفي.

من هنا نطرح تساءل كيف يعتقد جيمس وجود العالم؟ هل نتج من خلال الوحدة؟ أم هو راجع إلى الكثرة والتعدد؟

1- ibid, p20.

2- محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، مرجع سابق، ص126

تعتبر البراغماتية كباقي الفلسفات الواقعية المعاصرة ثورة على الفلسفة الألمانية المثالية التي سادت إنجلترا وأمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، برغم من تأثر معظم الفلاسفة بفلسفة هيغل Hegel التي تتميز بإعتقادها أن العقل هو الذي يفسرلنا عالم الواقع وقد أكد أيضا الفيلسوف المثالي الإنجليزي برادلي Bradley أن العقل يتنبأ عن العالم أشياء كثيرة دون الحاجة إلى الحواس وإدراكاتها.

لقد تعددت أراء الفلاسفة حول العالم لكنها تلتقي في نغم واحد هي الواحدية والحتمية والواقع أن المذاهب الواحدية تيارين هامين الأول تيار الفلسفة الطبيعية التطورية يمثله "هربرت سبنسر Herbert Spencer "والثاني تيار المثالية الواحدية الذي يمثله "هيغل وبرادلي"حيث يقول:"لا علاقات خارجية إذن، فالواقع كل متماسك واحد فردي"[1]

سعى برادلي إلى النظر في العالم ككل فهو مؤلف من موضوعات منفصلة هو نظر متناقض مع نفسه، والعالم واحد ليس فيه موضوعات منفصلة عن بعضها البعض وكل ما يبدوا في الظاهر من إختلافات سوف يزول.

يقول برادليBradley : "إن الميتافيزيقا هي العثور على أسباب رديئة لما نؤمن به بالغريزة غير أن العثور على هذه الأسباب هو بدوره غريزة بنفس المقدار"[2].

هذا يعني أن الميتافيزيقا عند برادلي لها مهمتين أولها طلب معرفة للواقع متميزة عن مجرد المظهر والثاني تصور العالم عقليا كليا.

تقف فلسفة جيمس ضد مثالية برادلي كما تقف ضد النظرة الواحدية وضد الحتمية العلمية وقد إعتمد في مذهبه على التصور الديناميكي الحركي والتعددي للوجود فالعالم في صيرورة يتكون من أفراد متعددين[3].

1- بريهيه، إميل، **تاريخ الفلسفة، الفلسفة الحديثة**، الجزء السابع، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط1، سنة1987، ص171.

2- ميتس، رودولف، **الفلسفة الإنجليزية في مائة عام**، ج1، ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة زكي نجيب محمود، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة2009، ص381.

3- بوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، ترجمة عزت قرني، سلسلة علم المعرفة،ا لكويت، دط، سنة1992، ص195

شغلت جيمس في حياته الفلسفية مشكلة الوحدة والتعدد وإعتقد من خلال كتابه Apluralistic Univerre"" العالم متعدد"، إن العالم ليس وحدة وإنما هو متعدد أي أن العالم تحكمه كائنات مختلفة وليس كائن واحد فالتصور العالم عند جيمس ينطلق من أحادية تجريبية أي أن الكون وحدة كلية لكن يتطور فهو ليس نهائي، والغائية في التجريبية هي البحث الدائم عن معطيات جديدة وبالتالي تعني بالبحث والتجريب الذي يعني ثنائية المادة والفكر والتجربة معطى مادي وفكر ذاتي مجرب.

تنظر البراغماتية لهذه الثنائية من خلال كونها واحدية والكون تعددي في وجوده غائي في واحديته والغاية هي الإنسان بحد ذاته الذي هو بحاجة إلى زيادة معرفته في تغير العالم الذي يفرض معلومات ومعطيات جديدة1. كيف يفسر جيمس العالم بين ثنائية الوحدة والكثرة؟

يرى جيمس أن عالم الواحدية يسبق الكل فيه الأجزاء التي تصدر عنه وتنشأ منه ولكل جزء من هذه الأجزاء عمله المحدد ومهمته، بينما عالم التعدد يسبق الأجزاء فيه الكل وهذا الكل مازال في إكتمال بأجزاء تضاف إليه، فعالم التعدد يشبه مجتمع جمهوري قابل للتغيير وإنضمام أعضاء جدد إليه أما عالم الواحدية يشبه مملكة فيها نظام محكم غير قابل لتعديل أو تبديل. لكن كيف يمكننا أن ندرك موضوعا واحدا في عالم واحد؟

يجيبنا جيمس أن هذه الواقعة لا يمكن لنا أن ننكرها فهي واقعة يقينية، فإذا أثارت هذه الواقعة مشكلة لا سبيل إلى التغلب عليها، فإننا ينبغي ألا نجادل في هذه المشكلة وإلا وقعنا في وزر التفكير المجرد فملكة الاشتراك بيننا وبين عالمنا المادي تجعلنا ندرك المواضيع دفعة واحدة مثل رؤية القمر.

لقد عارض جيمس المذهب العقلي معتمدا على فرضية تحقيق الممكن من خلال التجربة على مبدأ المصادفة فهو يناصر المذهب التجريبي، فالبراغماتية عنده تهتم بالمشكلات الإنسانية والأخلاقية والدينية كما تعني بالمشكلات العلمية وطرائق العلوم، إن جيمس يتوسط بفلسفته بين النزعة العقلية والتجريبية محاولا إقامة نظام ميتافيزيقي للعالم المذهب العقلي يهتم بالواحدية أما المذهب التجريبي يهتم بالتعدد أو الكثرة، لكن جيمس وقف موقف وسط بين المذهبين ووضع كحل لهذه المشكلة(الواحد والتعدد) في نقاط ثلاثة:

1- حسن محمد سليمان، **دراسات في الفلسفة الأوربية**، منشورات دار علاء الدين، ط1، سنة1998، ص45

- الكون واحد كموضوع من الناحية البراغماتية
- الكون متصل له مكان وزمان
- وجود الإتصال بين الكائنات الإنسانية

يعلن جيمس أن العالم يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه وأن خلاصه ممكن وإمكانه واقعي لكن كيف يتم خلاص هذا العالم؟

يرى جيمس أن المتفائل يؤكد خلاص العالم أمر حتمي والمعتقد في التشاؤم يؤكد عكس ذلك والموقف الحقيقي الذي ينتصر له جيمس هوالإرتقائية، ذلك الموقف الذي يؤكد على أن خلاص العالم أمر ممكن ولكن يتوقف هذا على الإنسان وعلى مدى تصميمه وإصراره، لأن الإرتقائية تتميز بموقف خاص من الخلاص من حيث أنها تعامله لا على إنه واجب الوجود ولا على إنه مستحيل و إنما كإمكان يتحول إلى إحتمال أكثر فأكثر كلما أصبحت الظروف الفعلية للخلاص أكبر عددا ومن المؤكد أن البراغماتية تتجه نحو الإرتقائية.

خلاص العالم ليس مستحيلا بل أن بعض شروط خلاصه موجودة والبراغماتية تتعامل مع هذا كحقيقة وإذا قدر للشروط الباقية أن تأتي فإن الخلاص يصبح حقيقة1.

يفهم جيمس خلاص العالم من خلال شروط الوجود كفكرة في عقولنا ويصبح موجودا فعليا عندما نمارسه ونبحث عنه في عالمنا الواقعي.

المطلب الثاني: تحقيق الإيمان

المذهب العقلي والتجريبي يرفضان مسألة الإيمان وفي تصورهما أنه يكون مبنيا على أساس الوجود الواقعي أما جيمس فقد نقد هذا الرأي، من هنا نتساءل كيف يتحقق الإيمان عند جيمس؟ ما هي شروطه؟ هل يحقق الإيمان نفسه بنفسه؟ كيف نحقق فكرة الإيمان بالإله؟

يري جيمس أن تعددية العالم ينتج عنها إرادة طيبة وحرية الإيمان الديني هي مرادفة لحرية الإعتقاد، فالعالم المتعدد الذي نؤمن به تتمخض عنه قوى متعددة تحتاج كلها إلى تعاون من أجل تحسين صورة العالم ويذهب جيمس للقول:"و يتصور العالم الماضي نحو

1– James , William , **pragmatism**,p286

التحسين تصورا إجتماعيا كتعدد لقوى مستقلة، فإنه سينجح بقدرما تعمل هذه القوى على نجاحه فإذا لم تعمل قوى منها حق عليها الفشل، فإذا بذل كل منا أقصى ما يستطيع إمتنع الفشل"1.

من خلال هذا القول نلتمس تغير وجهة نظر جيمس الفردية كونها لا تقدم لنا النجاح لوحدها، ولهذا يجب التعاون والإنسجام بين جميع القوى الأخرى التي تجتمع لنجاح هذا العالم وهنا موقف جيمس مطابق لموقف ديوي في الأخلاق حيث أكد على مسألة التفاعل بين الفرد والمجتمع.

يرى جيمس أن الإيمان بمسائل لا يمكن التثبت منها في الوقت الحاضر هو إيمان مشروع ولكل إنسان الحق في الإعتقاد وإعتبرالإيمان فرض نافع يمكن تحقيقه وهو إستعداد للعمل والسلوك هذه نظرية دينية تفاؤلية.

لا يرفض المذهب العقلي الإيمان مالم يكن مدعوما ببينة عقلية فحسب بل يرفض النظرة التعددية للمستقبل، وهذا ما يوضحه جيمس بقوله:"إن المذهب العقلي فكريا يتوسل بمبدئه المطلق للوحدة كأساس لإمكان حقائق الوقائع المتعددة وعاطفيا إن الفحوى أو قصارى الأمر ستكون طيبة فإذا أخد بهذه الطريقة فإن المطلق يجعل كل الأشياء الطيبة مؤكدة وكل الأشياء السيئة مستحيلة"2.

المذهب العقلي يعتقد بأن خلاص العالم فرض على إيمان كل فرد وبتالي فهو يقيد من حرية الإعتقاد، في المقابل نجد المذهب التجريبي أو التشاؤمي أوكما يسميه جيمس المذهب الصعب المراس الذي يمثله*أرترشوبنهاورSchopenhau Arthur

حيث يرى أن العالم زائل لا يمكن الإيمان بعالم أخر يختلف عن طبيعة هذا العالم فالإختلاف بين ما يؤمن به أصحاب المذهب العقلي والمذهب التجريبي هو تحقيق هذا الإيمان وهذا ما يوضحه جيمس بقوله: "إن كل الصدام بين دين المذهب العقلي ودين المذهب

1- الطويل توفيق، **أسس الفلسفة**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط6، سنة1976، ص04

2- جيمس وليم، **البراغماتية**، مصدر سابق ، ص328.

***أرثر شوبنهاور فيلسوف ألماني ولدسنة 1788 عرف بفلسفته التشاؤمية، درس الفلسفة بجامعة جوتنجن ثم إنتقل إلى جامعة برلين حصل على الدكتوراهسنة1813 برسالته الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي، عين أساذا بجامعة برلين سنة1831، من أهم مؤلفاته "الإرادة في الطبيعة"، "المشكلتان الأساسيتان في فلسفة الأخلاق"، توفي سنة1860.**

التجريبي، و مخالفة حول مشروعية الإمكان وبناءا على ذلك فمن اللازم أن نبدأ بالتركيز على تلك الكلمة"[1].

يسمى جيمس هذه المسألة التفاؤل الديني التي تذهب إلى أن الإيمان يمكن أن يتحقق وهي نظرة لا يمكن فصلها عن نظرية التفاؤل الخلقي، فهناك علاقة تجمعهما حول تغيير سلوك الإنسان، لهذا نجد أن التفاؤل الديني يرتبط بالإعتقاد بوجود الله فإن كان إيجابيا غير من سلوك الفرد فهو إيمان أو إعتقاد صادق. وضع جيمس سلم الإيمان الذي يعتبر طريق الإرادة الطيبة كما يسميها ويتضمن هذا السلم خطوات هي:

– ليس ثمة تناقض في كون وجهة نظر خاصة بالعالم صادقة فليس ثمة شيء متناقض في ذاته.

– فقد تكون وجهة النظر هذه صادقة في كنف شروط معينة

– وقد تكون صادقة حتى الأن

– وهي صالحة لأن تكون صادقة

– وينبغي أن تكون صادقة

– ويجب أن تكون صادقة

– ستكون صادقة على أي حال بالنسبة لي[2].

يرى جيمس أن المذهب العقلي له فهم خاطئ لأنه يرى أن العالم قد إكتمل بصورة نهائية وهذا سوف ينفي فكرة الإرادة الطيبة نحو العلم، لهذا يدعوا جيمس إلى تعددية العالم لكي تحقق الإرادة الخيرية، هذا الرأي يتفق مع المزاج البراغماتي هذه النظرة تعطي دور إيجابي في العمل فالنظرة التعددية للعلم يتمخض عليها إرادة طيبة وحرة.

العالم المتعدد الذي نؤمن به تتمخض عنه قوى متعددة أيضا ونجاح هذا العالم يتوقف على جميع هذه القوى، وفكرة تحقق الإيمان تؤدي بنا إلى فكرة الإيمان بالله وكيف نحققها؟ وهل يحقق نفسه بنفسه؟

1– ديورانت ويل، **قصة الفلسفة**، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط4، سنة1979 ص415

2–جيمس وليم، **بعض مشكلات الفلسفة**، مصدر سابق ، ص188

يرى جيمس أن الإيمان بفكرة الله سوف تعمل عملها، إذ أنها ترسي في نفوسنا الطمأنينة والسكينة والراحة، وهذا ما سيؤثر على سلوكنا وأفعالنا فيعطينا نظرة تفاؤلية للعالم ويجرنا تفكيرنا إلى أن حياتنا لا تقتصر على هذا العالم الفاني، إنما هنالك حياة أخرى أبدية يمكن أن ننعم فيها ونتاب على إيماننا وعلى هذا الأساس فإن معتقدنا الديني سوف يحقق نفسه بنفسه وهو بذلك يعتبر صادقا، طالما تترتب عليه أثار ونتائج عملية في حياتنا وهكذا أصبح صدق المعتقد مرهونا بأثاره العملية1.

من خلال هذا يتضح أن الإيمان يحقق نفسه بنفسه وفق شروط:

- يجب أن يكون هذا الإيمان راسخا وحقيقيا يعطينا القوة والعزيمة
- أن تكون حرية في العمل وإعتقاد بحرية أعمالنا وأفعالنا
- أن يكون تعاون وإنسجام بين قوانا والقوى الأخرى حتى يتحقق إيماننا.

هكذا ينظر جيمس لتحقيق الإيمان نفسه بنفسه حين يجلب منفعة عملية وبتالي تصبح الفكرة التي نؤمن بها حق أما إذا كان العكس تصبح الفكرة زائفة لا حقيقة لها2.

إرادة الإعتقاد هي العنصر الأصيل في كل فلسفة بينما يرى فلاسفة المذهب العقلي أن الإعتقاد والإرادة يخلطان الأمور، فهما يخدمان الرغبة ويسيران في ركاب العاطفة فهما ذاتيان، أما الفلسفة الموضوعية تهدف إلى التحرر من الرغبة والتجرد من العاطفة للوصول إلى الحقيقة إلا أن جيمس يرى أن هذه الأفكار تؤدي إلى نتيجة شكية لا تلائم الحياة الدينية والأخلاقية ولهذا كان حريصا على مواجهة هذا الإتجاه.

يقول جيمس:"أنتم تزعمون أننا ينبغي أن نعتقد حين نبرهن فحسب ولكن متى أمكنكم أن تبرهنوا على هذا المبدأ عينه؟"3.

جوهر الإيمان ليس هو الشعور أو العقل وإنما هو الإرادة، فالإنسان لا يفتقر في مجال الدين إلى الصدق أو الإخلاص ولا يحتاج إلى تأكيد صدق أشياء لا يقين فيها لكن الأمر يتمثل في إرادة الحقائق الواقعية تأييدا علميا، ففعل الإيمان أو إرادة الإعتقاد له خصوصياته فهو لا ينتمي إلى العقل ولا يعزى إلى العاطفة.

1- جيمس وليم، **البراغماتية**، المصدر السابق، ص329

2- جيمس وليم، **العقل والدين**، مصدر سابق ، ص66

3- الشنيطي، محمد فتحي، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص167

هكذا نقول أن الإيمان يبقى حقا من الحقوق الثابتة النابعة من ذهننا، ويجب أن يظل الإيمان واقفا موقف عمليا لا موقف دغمائيا قطعيا، و ينبغي للإيمان أن يقف موقف تسامح مع ألوان الإيمان الأخرى، مع البحث عما هو أشد إحتمالا ومع الوعي الكامل بالمسؤوليات والمخاطر.

قد ينظر إلى هذا الإيمان على أنه عامل شكلي في العالم إذا كنا نحن أجزاء داخلة في هذا العالم، وإذا كنا بسلوكنا نحدد معالمه ونشكل ما يكون عليه طابعه الكلي.

أخيرا إذا كان العالم المتحسن قائما هنا بالفعل، فإنه يستلزم الإرادة الطيبة الفعالة عند كل منا، في إيماننا كما في وجوده نشاطاتنا الأخرى لكي نمضي به إلى طريق الإزدهار والنجاح1.

المطلب الثالث: التجربة الدينية والتصوف

جاء كتاب صنوف التجربة الدينية مكملا لكتاب إرادة الإعتقاد وجعل من الإعتقاد الديني إلتزاما أمام العنصر الإلهي، وهو لا يقتصر على الجانب الديني بل يتناول الجانب النفسي السيكولوجي، ويعالج مشكلة الحرية أيضا حيث يقول جيمس:"لكنني عندما أقول لكم إنني كتبت كتابا عن خبرة الناس الدينية، أعتبره إجمالا بمثابة توكيد لحقيقة وجود الله فربما يتبرؤون براغماتيا من تهمة كونها نظاما إلحاديا"2.

من هذه الوجهة نجد الكثير من أصحاب الدين واللاهوت يغيرون من نظرتهم عن الفلسفة البراغماتية على أنها فلسفة إلحادية. إن فترة إنشغال جيمس بالفلسفة العلمية بلغت أوجها في محاضرات جيفورد سنة1901، وقد نشر هذه المحاضرات سنة 1902 تحت عنوان الأنواع المختلفة للتجربة الدينية كتب جيمس سنة1883.

بعد موت أبيه إلى زوجته: "سيضاف إليك عمل واحد جديد بعد الآن أو بالأحرى ليس عملا جديدا بقدر ما هوعقلنة جديدة لعمل قديم، يجب عليك ألا تتركيني حتى أفهم شيئا أكثر عن قيمة ومعنى الدين"3.

1– جيمس وليم، **بعض مشكلات الفلسفة**، مصدر سابق ، ص192

2- جيمس وليم،**البراغماتية**، المصدر سابق ، ص348

3- بيري، رالف بارتون، **أراء وشخصية وليام جيمس**، مرجع سابق ، ص349

من هذه الرسالة نقرأ في طياتها ماذا كان يريد جيمس أن يبين، فهو يرى الدين ليس بمنظور عقلي وإنما ذاتي شخصي مرتبط بما يجري في داخل الإنسان الفرد، فلا يهمه فيه الجانب الإجتماعي، إنه الطريقة التي تقع بها الحياة من نفس صاحبها كحالة الحزن أو كأبة ووحشة أو ما يصيبه من إخفاق وفشل أونجاح وتوفيق.

نوع الدين الذي كان يهتم به كان أقرب إلى التقوى البسيطة للمذاهب الإنجليزية مما هو للتحررية الدينية الحديثة، فالدين حدثا ظاهرا منظور واضح المعلم في تاريخ الفرد لاسبيل إلى نسيانه. لهذا رفض جيمس تفسير المذهب العقلي للدين فهو يؤكد على أنه أمر شخصي يتصل بالحياة وكل منا يعيش بحسب مزاجه الخاص ليحقق هذه التجربة الفردية.

يعتبر كتاب جيمس تنوع التجربة الدينية ثمرة دراسة واعية مستوعبة للظاهرة الدينية وقد حاول العقليين أن يلبسوا الدين ثياب عقلي، بينما ينظر جيمس إلى الدين من جانب سيكولوجي لأنه في نظره هو الجانب الجوهري ودراسة الدين هي دراسة للتجربة الشخصية المباشرة التي تمثل الحقيقة الواقعية. ما الدين الذي يريده جيمس؟ ما ميزاته؟ هل هو تجربة نعيشها؟

الدين الصحيح السليم هو دين يتفاءل البشر به ويجلب الخير للجميع أما الدين الملتوي دين النفوس المريضة، وقد حاول جيمس أن ينتقل من وصف التجربة الدينية إلى قيمة الدين بحيث لا يمكننا أن ننظر إلى نتائجه وأن نتبع أثاره في الحياة الأخلاقية للأفراد والجماعات.

يثير الدين في الإنسان حب التساؤل وبتالي يريد أن يوظف حجج عقلية فهل العقل كافي في حل المشكلات الدينية؟ لا يستبعد جيمس التفكير العقلي كدعامة للتجربة الدينية لكنه يوضح أن دور العقل دور ثانوي في هذا التأسيس، وتنطلق الفلسفة الدينية من الواقع والتجارب لكن هل هي وهمية أم واقعية؟

الإجابة على هذا التساؤل يتعدر علميا وبهذا نأخد فيه بفعل من الإيمان الشخصي حيث يبني جيمس موقفه على أساس فعل من أفعال الإيمان، من هنا فهو يؤيد قيمة ميتافيزيقية للدين وهذا ما يتفق مع التجريبية الأصلية إنه يسلم بواقعية "الأنا" والإيمان فعل من أفعال "الأنا" الذي يعتبر محور كل تجربة دينية وفعل الإيمان وسيط بين الأنا وعالم القيم.

يرى جيمس أن التجربة الدينية قطعة حية من الواقع وفيها قلق من العالم الأرضي وخلاص يستبان في طموح الأنا إلى ما هو أسمى، فالإنسان يعيش تجربة فوق هذه الأرض

يتضح أن جيمس يبين أن الدين يرفض كل عقلانية فهو دين فردي نابع من النفس الإنسانية التي تخدمه وتلازمه بإستمرار1.

يؤكد جيمس أن فصول إرادة الإعتقاد تهدف جميعها نحو غاية واحدة وإتجاه فلسفي واحد على الرغم من تعددها وتشعب موضوعاتها ذلك الإتجاه هو ماسماه

Radical Empiricism الإتجاه التجريبي المتطرف سنة 1914 نشر مقال بعنوان

هل للوعي وجود؟ حيث تكلم عن تجربته الجذرية وصل فيها إلى نتيجة هي"أن الشيء الوحيد الذي يستحق الإهتمام هو ما يكون جزءا من التجربة البشرية"2

إنه إتجاه تجريبي لأنه يعتمد على التجارب دون النظر المحض وهو متطرف لأنه يخالف المذاهب التجريبية الأخرى التي تؤمن بوحدة المادة في الوجود، وترى أن الوحدة هي القانون اليقيني الثابت الذي يجب أن تخضع له كل التجارب.

تمثل التجريبية الأصلية المرحلة الثالثة من مراحل التطور الفكري لجيمس، جاءت لتعالج مشكلة المعرفة البراغماتية حيث يرفض كل تنائيه التي ترى أن الشعور والعالم الخارجي متقبلان وكل واحد منهما جوهر مستقل عن الأخر.

يفرق المذهب المادي والمثالي بين الذات والموضوع إلا أن المثالي يركز في مسألة الحقيقة على الشعور أو الذات بينما الواقعي يركز على العالم الخارجي.

يقر جيمس أن كل فصل بين الذات والموضوع هو فصل مصطنع لا داعي له لأنهما من طبيعة واحدة يقول جيمس: "إن فلسفتي هي ما أسميها بالتجريبية الراديكالية، التعددية التقدمية التي تمثل النظام على إعتبار كونه يكسب تدريجيا ودائما في صيرورته إنها فلسفة تعتقد بالله لكنها ليست بالضرورة والحتم كذلك وهي ترفض كل مذاهب المنطق"3.

لقد بين جيمس أن الروح العلمية لا تتنافى مع العقائد الدينية ولا يمكن أن تتنافى معها كما أن الدين لا يرضى ميولنا الوجدانية فحسب بل يرضى عقولنا كذلك، ومسألة الإيمان بالله لها مكان طبيعي في نفوسنا فتبقى النفس مضطربة حتى تصل إليه وتدركه وحينئذ تمتلئ

1- الشنيطي محمد فتحي، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص201

2- راسل، برتراند، **حكمة الغرب ج2**، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط1، سنة1983، ص74

3- جيمس وليم، **البراغماتية**، المصدر سابق ، ص352

هدوءا وطمأنينة، إن حياة التدين تقتل روح التشاؤم وتملأ النفس ثقة وتجعل من العالم عالما يستحق أن يعيش فيه الإنسان.

يبدوا أن فلسفته هي تجربة جذرية قابلة للتأويلات متنوعة سحرية أكثر منها منطقية إنها ثورة على المطلق والتأملي والمجرد، فيها الجانب النفسي كونه عالم نفساني كبير له مؤلفه الشهير "أصول علم النفس "سنة 1890، حرص فيه على تحويل السيكولوجيا إلى علم على أساس مقتضيات التجريبية الصارمة يعرف بإسم المنهج الأدائي في علم النفس.

من أهم القضايا التي إهتم بها جيمس "نظرية لانج" في الإنفعالات ومضمونها هو أن الإنفعال ليس أكثر من الشعور بحالة جسدية ومن ثم فإنه أقرب إلى أن يتبع الحالة الجسدية منه إلى أن يسبقها، بعبارة أخرى أنا لا أضرب شخصا أهانني لأنني أغضب أولا بل الغضب ليس إلا الشعور الذي أمارسه نتيجة لكوني في الحالة الجسدية التي يجيء ضربي للرجل جزءا منها1. كيف ربط جيمس الدين بعلم النفس؟ ما الجديد في نظريته الدينية؟

يتميز جيمس بفلسفة دينية خاصة فهو ليس لاهوتيا بل فيلسوف دينيا وجوهر فلسفته رفضها لوجود قوة عليا هي المسؤولة عما يحدث من تحول للعباقرة الدينين فقد حاول أن يفسرها بإكتشافه لمنطقة "اللاوعي" التي يمتلكها الإنسان.

كان جيمس عضو فعالا في جمعية البحوث النفسانية التي كانت تضم عدد من كبار علماء النفس في لندن، إن جيمس عندما يتكلم عن العباقرة الدينين لا يقصد بهم معتنقوا الديانات التقليديون الذين تحول التدين لديهم إلى تقليد أعمى، ولكن يقصد المجددون في مجال الدين وأصحاب المواقف الدينية النابعة من ذاتهم بحيث يتميز هؤلاء بصفات خاصة نتيجة لثراء منطقة اللاوعي لديهم ما يترتب على ذلك ظهور إضطربات تنعكس عليهم وعلى تصرفاتهم.

يقول جيمس:" لا يوجد شك في أن الحياة الدينية تجعل للشخص حالة خاصة وشاده أنا لا أتحدت الأن عن مؤمن بالدين المألوف الذي يتبع الشعائر التقليدية لبلده سواء كان بوذي مسيحي أو محمدي ديانته قد فرضها عليه الأخرون، وبلغت له بالتقاليد لترتبط بأشكال ثابتة وحافظ عليها بالتعود....لكن مثل هؤلاء الأشخاص هم عباقرة في مجال الدين وشأنهم

1–خلف الجراد، **معجم الفلاسفة المختصر**، معجم سابق ، ص71

شأن كثير من العباقرة الأخرين الذين جلبوا نتائج مؤثرة تكفى لأن يخلدوا في صفحات السيرة هؤلاء العباقرة الدينين قد أبدوا علامات للإضطراب العصبي"1.

هذا الكلام يوضح لنا أن جيمس رجل إيمان فهو لا يعتنق عقيدة معينة ويحاول أن يستفيد من العباقرة الدينين، ويرفض موقف المادية الطبية التي ترى أن ما يحدث لهؤلاء هو حالة مرضية تدخل ضمن المعتوهين، لكن يؤكد أن ما يحدث لهم أمر طبيعي لا تتحكم فيه قوة عليا خارجية وإنما ترجع إلى الناحية العقلية.

منطقة اللاوعي مكانة متميزة في فلسفة جيمس الدينية من خلالها إستطاع أن يفسر القداسة والتصوف وعلم الأديان، ومصدر الدين الأساسي هو اللاوعي الذي يرتبط بالفرد يقول جيمس:" إن الإسم العام لثمار الدين الناضجة هي القدسية الشخصية التي من أجلها تكون العواطف الروحانية المركز الإعتيادي للطاقة الشخصية وتوجد صورة مركبة ومعينة للقدسية عامة لا تتغير في الأديان"2. لكن ما القداسة؟ كيف وظفها جيمس في فلسفته الدينية؟

تناول جيمس القداسة مستلهما روح المسيحية وبحرية كاملة فهو رجل إيمان ولم يعتنق عقيدة محددة، فالقداسة تؤدي دورا رئيسيا هام في تطوير المجتمع بتخليصه من الشرور لما يتميز به من صفات الخير التي ينشدها بين الأفراد لحدوث التوازن بينهم وقيمة القداسة تكمن فيما تقدمه من خدمات لأن الصفات التي يتميزون بها تؤدي إلى السعادة والحب والسلام.

***التصوف عند جيمس:**

ذكر جيمس في مؤلفه بعض مشكلات الفلسفة أهمية الواحدية الصوفية يقول:"وأنا أدعوا هذا الضرب من الواحدية، واحدية صوفية فهي لا تتكشف فحسب في صيغ تتحدى الفهم بل تعتمد أيضا على ذاتها إذ تلجأ إلى حالات من الإشراق لا توهب للعاديين من الناس"3.

هذا يعني أن جيمس يفهم بأن الحالة الصوفية تبدأ من حالة التوافق والإنسجام بيننا وبين الله لكن، لا تكون الذات والله في درجة واحدة فهو يرفض هذه الوحدة، فالذات والله

1– James,william, **, the Varieties of Religious Experience** , p 260.

2– ibid,271.

3- جيمس وليم، **بعض مشكلات الفلسفة**، مصدر سابق ، ص104

موضوعان متميزان كل له صفاته يتميز بها عن الأخر، إن التجربة الصوفية يعيشها المتصوف ذاته.

كيف أسس جيمس لفكرة التصوف في فلسفته الدينية؟

يمثل التصوف حسب جيمس جوهر الدين الشخصي، فهو يهتم بالفرد كونه عنصر فعال في المجتمع والحقيقة الصوفية لا يمكن نقلها إنطلاقا من طبيعتنا وفي هذا يقول جيمس: "أن هذا التعذر في إبلاغ أو قول النشوة هو الملاحظة الرئيسية للصوفية كلها والحقيقة الصوفية توجد للفرد أي لديه حالة الإنتشاء ولكن ليس لأي فرد أخر، هذه الحالة تشبه المعرفة المعطاة لنا بالأحاسيس أكثر من تلك المعطاة بالتفكير المفاهيمي"1.

يبدوا أن جيمس يؤكد على أن التصوف لا يحدث لجميع الناس وإنما يقتصر على أفراد معينين يحسونها ويعيشونها حتى يصبحوا في مرتبة القديسين، وقد حدد جيمس الصوفية في أربعة عناصر هي:

***الأوصفية:** حالات التصوف هي أكثر تشبها بحالات الإحساس أكثر منها بحالات الفكر فلا يستطيع أي فرد أن يوضح لأخر لم يمر بإحساس معين فيما تكمن قيمة هذا الشعور أن الفرد لابد أن يمتلك أذانا صاغية ليسمع نوع الأصوات.

***السمة الفكرية:** تشبه حالات الإحساس لكن الحالة الصوفية تتمثل في الصورة إلى أعماق الحقيقة فهؤلاء يحملون شعورا غريبا بالقوة إلى تحقيق إنارات معرفية روحية.

***سرعة الزوال:** تتميز الحالة الصوفية بأنها قصيرة ولا تدوم طويلا إلا في حالات نادرة لكنها تستمر في التطور.

***الإستسلام:** يشعر الصوفي أن إرادته معطلة وكأنه مقيد وممسوك بقوة وهذا يجعله يحس بشعور عميق يحفزه على تعديل حياته الشخصية.

بناءا على هذا يمكن أن نؤكد على منطقة اللاوعي فستظل مصدر رئيسي لكل ما يتعرض له المتصوفين، وستظل جمعية البحوث النفسانية لها الأثر الأكبر والأساس في إثراء فلسفة جيمس الدينية وبذلك بقي عالما نفسيا ولم يتحول إلى لاهوتي ولم يعترف بقوة خارجية مسؤلة عن ما يحدث للمتصوفين.

1– ibid ,James,william, **, the Varieties of Religious Experience** , p 280.

يذهب جيمس إلى أن المصدر الأساسي للدين اللاوعي المرتبط بالفرد ونجد أن علماء النفس يفسرون هذا تفسيرا لا يتجاوز نطاق الإنسان ذاته، بينما يفسرونه علماء اللاهوت تفسيرا مختلفا من خلال الإيمان بوجود قوة عليا هي المسؤلة على ذلك.

كتب جيمس مقال بعنوان"صوفي متعدد" شدد فيه على أهمية التصوف وقد وصف من خلاله صوفية لأحد أصدقائه يقول:" أعترف أن وجود هذا الطراز الجديد من الصوفية شد قامتي وجعل حالة إنحنائي تولي فرار، إنني أشعر الأن بأن تعدديتي ليس بلاظهر وسند قبل التعزيز الصوفي، إن الواحدية لا تستطيع من الأن فصاعدا أن تدعى أنها المستحق الوحيد لأيما حق قد تملكه الصوفية في إضفاء الإحترام والهيبة والمقام"1.

يفهم من هذا القول أن جيمس أعطى أهمية كبيرة للتصوف عن أصحاب المذهب الواحدي لكن هذا دفعه إلى المذهب التعددي، الذي يرى أن الذات والله موضوعان متمايزان كل واحد منهما له صفاته التي يختلف بها عن الأخر فهو يختلف تماما عن المذهب الواحدي في مسألة التصوف الذي لا يضع فارق لشعور بالحقيقة الإلهية. لكن ما قيمة التصوف عند جيمس؟

للتصوف قيمة في نظر جيمس تنقسم إلى نوعين قيمة عملية تتمثل في أن الصوفي يشعر بالسعادة والأمان أما القيمة النظرية فهي تساعد الصوفي على أن يلم بحقائق لا تتسنى لغيره الإلمام بها، فالصوفي يفهم النصوص الدينية وحقائق هذا العالم.

يرى جيمس أنه توجد أربعة ميزات للحالات الصوفية:

- الحالات الصوفية لا يمكن وضعها ولا التعبير عنها
- الحالات الصوفية
- حالات إدراكية
- الحالات الصوفية سريعة الزوال
- الحالات الصوفية حالات سلبية

1- جيمس وليم، **بعض مشكلات الفلسفة**، مصدر سابق ، ص105

يؤكد جيمس من خلال التجربة الدينية أن الدين الحقيقي عنده هو الذي يترك أثارا حسنة تحقق السعادة والطمأنينة في حياة الفرد والمتدين هو القديس الذي يكون تدينه صحيحا ومجزيا وتكون إنفعالاته حسنة في حياته.

القداسة عند جيمس لها مظاهر كحب الله والوفاء إليه وصفاء القلب والإخلاص والطاعة والشعور بوجود قوة عليا تخضع لها دائما، لكن هل للتصوف قيمة عند غير الصوفيين؟

يجيب جيمس بالنفي فالفرد الذي لم يذق التجربة الصوفية لا يعتقد أبدا بحقائق الصوفية فما يسمونه هم حقائق نسميها نحن فروضا وهذا راجع إلى أساس عاطفي، إذا كان الدين له حضور حقيقي في نفوس المعتقدين، ما هو الفرق الذي نسجله بين سلوك الفرد المتدين عن سلوك الأخرين؟ ما هي أثار الحياة الدينية فيه؟

يجيب جيمس أن الأثار الدينية للفرد نسميها القداسة ولها خصائص:

- الشعور بالوجود في حياة أكثر سعة من سعة حياتنا
- توجد علاقة صداقة بين القديس وبين القوة العليا
- الحب الخالص لله أي يتجرد عن الغرائز
- الصفاء أي يتفرع للقيام بأعمال دينية
- الإحسان أي يكون علاقته مع الأخرين الحب والتسامح
- الزهد والإمتناع عن العيش مثل الأخرين1.

1- زيدان، محمود فهمي، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص 144

***الإعتقاد بوجود الله وصفاته:**

يجد جيمس في كتابه "صنوف من التجربة الدينية" أن إفتراض وجود الله الذي يجعل من الممكن أن ننسب صفات هذه الظواهر كالقداسة والتصوف إلى قوة لا تعمل فيها ذواتنا بوعي، والملاحظ أن جيمس غامض حول قضية طبيعة الله فهو في بعض الأحيان يفترض أن هناك ألهة متعددة في الكون أدت إلى وجود الشر في العالم، ومن ناحية أخرى الله موجود في العالم بمعنى واقعي أي أنه يوجد مستقلا عنا مع أنه مألوف لمثلنا العليا وهذا حسب ما تتطلبه حاجات الدين العملية.

هل الله موجود في نظر جيمس؟ ما علاقته بالإنسان؟ كيف يثبت وجود الله؟ ماهي صفاته؟ هل هو الذي يتحكم في تنائيه الخير والشر؟

يرى جيمس أن فكرة الله صحيحة إذا كان مفعولها يسري في سلوك الفرد بصورة إيجابية يقول:"إذا كان فرض الله يعمل إكفاءا ورضا في أوسع معاني الكلمة فهو فرض صحيح."[1]

لا يعتبر جيمس فكرة الإله مفارقة عن الإنسان بل لها مكانها في جوهر الإنسان نفسه نابعا منه وهكذا جعل من إله الإنسان مغلق على ذاته وذهب إلى القول:" إن البراغماتية لا تتحرج من إعتبار إله يعيش في صميم نجاسة الواقع الخاص أو الحقيقة المخصوصة، إذا كان ذلك يبدو أنه المكان المرجح أن نجده فيه"[2].

هكذا يبقى الإله الذي أمن به جيمس كعنصر فعال في التجربة الدينية لكن الإيمان بإله واحد مطلق يخلق مشكلة الشر وبتالي فهو مسؤل عن ما يقع أو عاجز عن توقيف الشر ويذهب جيمس إلى القول:"يخلق ذلك مشكلة الشر، فالشر في نظر التعددية يمثل فقط مشكلة عملية هي كيفية التخلص منه"[3] من خلال هذا القول يتضح أن الإله الشامل يكون مسيطرا عن كل ما يقع في هذا العالم، لكن كيف نقضي على الشر؟

1- جيمس وليم، **البراغماتية**، مصدر سابق ، ص348

2 – المصدر نفسه، ص 107

3- جيمس وليم، **بعض مشكلات الفلسفة**، مصدر سابق ، ص119

يعتبر جيمس الحقيقة العقلية هي جزء من العاطفة الدينية التي إعتبرها هي المبدأ والمنطلق الحقيقي لكل دين، فإله الحقيقي هو الذي ينبع من داخل الفرد ولا تمليه عليه الأدلة العقلية أو المنطقية. في سنة1881 ألقى جيمس محاضرة على مجموعة من أصحاب الدين المسيحي بعنوان الأعمال العكسية والإيمان بالله، حاول من خلالها أن يتبث وجود الله بعملية سيكولوجية بعيدة عن الإيمان اللاهوتي الشائع لوجود الله الذي يعود إلى معرفة عقلية كما أتبت وقوع الفروض الدينية عند البراغماتيين.

يفرق جيمس بين صفات الله الميتافيزيقية والأخلاقية التي تستمد طبيعتها من الإنسان فهو يعتقد أن الله والإنسان من طبيعة واحدة، لكنهما يختلفان في الدرجة وبتالي فإله جيمس هو إله طبيعي وليس ميتافيزيقي.

يحدد جيمس صفتين جوهريتين العلم والقوة يتميز بهما الإله عن الإنسان يقول:" يمكن أن نعرف الإله بأنه قوة عالمة مدركة مغايرة لقوانا"1. إن الإله يتصف بالقوة وبالخير فقط بينما الإنسان يتصف بالخير والشر وعليه أن يقترب من الإله وأن يحاول التخلص من الشر ويحقق الخير، هكذا فإنه شخصية مغايرة للإنسان2.

وجد جيمس أن التجارب الدينية تؤيد القول بوجود الإله ووجد أن له مكانا طبيعيا في نفوسنا فلا تستريح النفس ولا يطمئن العقل حتى يصل إليه ويمكننا أن نتصل به ونلجأ إليه في الشدائد فيساعدنا3.

يرى جيمس أن الإله هو نوع من الكائنات الذي إذا وجد فعلا لابد أن يكون أكثر الموضوعات المناسبة لأن تدركه عقول مثل عقولنا على أنه أصل لهذا العالم.

يتصور جيمس بقطع النظر عن الأدلة الخارجية فوجود الإله مكان طبيعي في نفوسنا منسجم مع طبيعة عقولنا كمفكرين ، يتساءل جيمس أي موجود يكون الإله إذا وجد؟

دلت كلمة الله على كثير من الأشياء في تاريخ الفكر الإنساني من الزهرة إلى المشتري إلى الفكرة التي يقول بها "هيغلHegel"، ولهذا إعتبرت الموضوعات الوحيدة التي

1- جيمس وليم، **العقل والدين**، مصدر سابق ، ص 90

2- محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص177

3- جيمس وليم، **إرادة الإعتقاد**، مصدر سابق ، ص10

يجب أن نحترمها ونقدسها موضوع الإله. يجب أن يتصف الإله ببعض الصفات الذاتية الإيجابية والسلبية لكن ماهي خصائص الله؟

نتصور الله كأعظم قوة في العالم هذا من جهة ومن جهة أخرى هو شخصية عالمة مدركة، لهذا فالإله يعتبر شخصية أخرى موضوعا خارجيا مغايرا لشخصياتنا فنحس به وندركه، من هنا يمكن أن نعرف الإله أنه قوة عالمة مدركة مغايرة لقوانا ولابد لطبائعنا الإرادية أن تلزم الدوائر الأخرى للعقل أن تعمل لتنتج نتائج بوجود الله، ويرى مذهب التأليه هو أقرب الحلول إلى العقل وإلى الناحية العلمية أما المذهب المادي ومذهب الشك فلا يمكن أن يحوزا قبولا عاما ولو كان على حق لأنهما يحلان المشكلة حلا لا تقبله الدائرة العلمية من طبائعنا ولا تستريح إليه طبائعنا الإرادية وقوانا الفعالة1.

حسب جيمس إن الإله يتصف بالخير عكس الإنسان الذي يتصف بالخير والشر لهذا من واجبه أن يرقى إلى ما يتصف به الإله ويتخلص من الشر يقول جيمس:"إن الله نداؤنا الطبيعي، وسأسمي ذلك الجزء السامي من الكون الله"2.

يعتبر جيمس الله شخصية ذهنية personalite mentale فقد حاول أن يقضي على الثنائية المتطرفة في الأديان السماوية بين الإله والناس والدافع الذي جعله يصف الله بشخصية هو إعتقاده أن الإنسان والله من طبيعة واحدة وقد إستمد هذه الفكرة من " جون ستيوارت ميل" الذي وصف الله بشخصية، وما ميز هذه الفكرة هي أن الله رفيق الإنسان يساعده في التغلب على الشر في هذا العالم وليس مصدر خوف لنا وإنما مصدر حبنا لأنه رمز التفاؤل في حياتنا.

يمكن التساؤل هل وجود الله موضوعي عند جيمس؟ هل الله كموضوع إيمان الإنسان أم لا؟ هل الله خلق الإنسان؟

1 – جيمس وليم، **العقل والدين**، المصدر نفسه، ص 97

2– James,william, **the Varieties of Religious Experience** , p502

يعتقد جيمس بأن وجود الله يكمن في إعتقادنا به كما أن وجوده في نفوسنا أثره كبير علينا فهو الذي يخلق السعادة والتفاؤل يقول:" إن هذا الذي ينتج أثارا في عالم أخر يجب أن يكون عالما موجودا بذاته، ولذا يشعر أنه لا مبرر فلسفي للقول بأن العالم الصوفي أو العالم المعقول عالم غير واقعي وغير موجود"1.

يبدوا أن جيمس حاول أن يثبت وجود الله من خلال علاقة العالم بذات الإنسانية ويضيف فكرة الصلاة التي يعتبرها هي الصلة الجوهرية بين الله والإنسان، بل هي ماهية الدين الصحيح وهو لا يقصد بالصلاة الدعاء، فالصلاة عنده شعور يوجد عند الفرد وعلاقته مع قوى يرتبط معها وفي هذا يذهب إلى القول: "إننا بصلاة نرى قوى غير منظورة ونرى أثر لها في حياتنا، حقا كل هذا شيء ذاتي ولكن لا ننسى أن الدين يجب أن يقوم أو يزول بالإقتناع بأن أثارا من نوع ما تحدث فعلا"2.

يعتبر جيمس الدين تجربة فردية، وجوهرها العاطفة الدينية لا الطقوس، وأن الشعور الديني شعور باطني بالمشاركة في موجود أعظم، وهو شعور بالإنسجام والسلام وأن التجربة الدينية أكثر واقعية من التجربة العلمية لأنها تبدأ بالمجسم أي العاطفة والإحساس والفكر والتجربة العلمية تبدأ بالمجرد، والعلم تجربة ولكن الدين واقعة حية نعيشها، والله موجود لأن فرض وجوده نافع، والله في التجربة الدينية هو أنت، فهو متناه ولا يحيط بكل شيء، والله هو باطن الأشياء، فهو المثال وهو ليس مسؤولا عن الشر، بل على العكس هو شريكناالأعظم في محاربة الشر، ولذلك يتدخل الله لتغيير مجرى الأحداث فتحدث المعجزات في العالم3.

بهذا دافع جيمس عن الدين، فقد كان عضوا نشيطا في منظمة خاصة أسسها في نيويورك لبحث "الخبرة" الصوفية، ودافع عن حق الإنسان في الإعتقاد بما يراه مفيدا له في حياته وسلوكه، وحقه في الإيمان ببعض الفروض في الدين والأخلاق إذا كانت هذه الفروض نافعة، والمعيار هنا هو أساس نفسي وحضاري.

لكن ماعلاقة الدين بالأخلاق؟ كيف ينظر جيمس للأخلاق؟ ما عناصر فلسفته الخلقية؟

1- Ibid, p504

2- Ibid, p506

3 - بيري، رالف بارتون، **أراء وشخصية وليام جيمس**، مرجع سابق ، ص356

المبحث الثاني: الدين والأخلاق عند جيمس

توطئة:

لم يكن المجتمع الأمريكي بعد نهاية الحرب الأهلية يبحث عن الروح الدينية التي تواكب ظروفه، وإنما كان يبحث عن مرشد أخلاقي يوضح له القواعد التي يمكن إتباعها في ظل الحياة الديمقراطية الجديدة، هكذا أصبح التساؤل عن القواعد الأخلاقية بيت القصيد في الحياة الإجتماعية الأمريكية لتلك الفترة لكن هذه القواعد ليست تعبيرات عن دوافع ورغبات عمياء بل تحتاج إلى عقول واعية وذكية تصيغ قوانين أخلاقية.

من هنا نتساءل كيف عبر جيمس عن مذهبه الأخلاقي؟ هل إرتبط في أساسه بالمجتمع الأمريكي؟

مقياس الخير والشر عند الفلاسفة (النفعيين) هونفسه مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة أي منفعة الإنسان، فالخير يساهم في حل مشكلات الإنسان وهذا وفق تحقيق القيم الأخلاقية التي هي ليست من صنع الفلاسفة، كما يرى المثاليين ولا هي وليدة إجتماع الناس بعضهم ببعض كما ذهب الوضعيين ولا هي من وحي السماء كما قال رجال الدين لكنها تنشأ المثل العليا والقيم نتيجة لظروف الإنسان التي تنبعت من محيطه.

يرى المذهب الذرائعيInstrumentalisme على أن الأفكار والمثل والمبادئ والقيم مجرد ذرائع ووسائل يستعين بها الإنسان في توجيه سلوكه إلى حيث تتحقق مطالبه وغايته1.

لقد حرصت البراغماتية عموما في مجال القيم والأخلاق على معرفة الأثار التي تترتب في سلوكنا على المبدأ المثالي لمعرفة مدى صحته، فالأثار الطيبة تساعد صاحبها على حل مشكلاته، وهذا بإعتبار معيار الحقائق ومقياس القيم جميعا حيث تشبه قيم الخير كالسلعة المطروحة في السوق، فالحق كورقة النقد تظل صالحة للتعامل حتى يثبت زيفها على حد تعبير جيمس.

1- **جون ديوي، الفردية قديما وحديثا**، ت خيري حماد، م مروان الجابري، منشورات مكتبة الحياة، دط، سنة1967، ص 44

يتضح البعد الذاتي في الخير والشر عند جيمس فهو يرى أن الشر في نظر التعددية يمثل فقط مشكلة عملية في كيفية التخلص منه، والإنسان هو الكائن الوحيد القادر على التصدي للشر في العالم والتغلب عليه وبدونه لا يكون معنى للخير والشر.

يؤكد جيمس على أن الإنسان في إستطاعته أن يحقق ما يريد لو قدر له الإعتقاد حقا والإيمان بما يريد تحقيقه عندئذ يتسنى له تحقيق ما يصبوا إليه سواء كان خيرا أو شرا.

من هنا نتساءل كيف يتحدد الشر والخير؟ ما معيار الأخلاق عند جيمس؟

كيف ترتبط التجربة الدينية بالأخلاق؟ هل التجربة الفردية الدينية تنطبق أيضا على الفردية الأخلاقية؟ ما علاقة الدين بالأخلاق؟

المطلب الأول: الإلزام الخلقي

يرى جيمس أن الإعتقاد في وجود الله يحقق للإنسان الثقة والأمان بأن المستقبل فيه الخير والله لايسمح بإنتصار الشر، يقول جيمس:" لا نستطيع أن نحقق الخير الأعلى إلا بإدراكنا للحياة الملائمة وهذا يمكن أن يحدث بمساعدة قوة خلقية ثابتة من الإعتقاد بأنه بطريقة أو بأخرى سوف ننجح في الحصول عليها إذا حاولنا وبمثابرة بما فيه الكفاية"[1].

يبدوا من كلام جيمس أنه يؤكد على أن الإعتقاد هو الشرط الأساسي في حل الصعوبات التي تعترض حياة الإنسان فهو الذي يحقق الخير والسعادة في هذا العالم، وقد تناول الخير والشر من منطلق إعتقادي ذاتي وترتبط نتائج الإعتقاد لديه على أساس نوع إعتقادي في الخير أو في الشر.

جيمس فيلسوف إنساني يربط الوجود بالإنسان فهو الذي يحدد معنى الخير والشر في هذا العالم، حيث يرى أنه لا معنى لقيام علم الأخلاق في عالم لا توجد فيه حياة إنسانية ويرفض جيمس علم الأخلاق العقلي المطلق الذي يتضمن مواعظ وإرشادات عن النضال وترك الرذائل أو تلقى الإنسان لقواعد خالدة وقوانين ثابتة.

يقول جيمس:"إن مصدر العلم الأخلاقي إنساني بحث وذلك لأن الإنسان هو الكائن الخلقي الوحيد في هذا العالم، ولذا فالمعقول أن يكون الإنسان مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة، أن الخير خير بالنسبة له والشر شر بالقياس إليه"[2].

1– James,william**, the Varieties of Religious Experience ,** p102

2– محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص182

من خلال قوله نفهم بأن جيمس إهتم بالميول الذاتية للإنسان التي ترتبط مباشرة بالخير والشر والإرادة الخلقية تحتاج إلى بيئة تعددية، لأن الخير يجب أن يتحرر من أي تسوية أو تراض متبادل مع الشر.

يبرز جيمس في هذا القول أن الفرد يحقق تجربته الخلقية من خلال بيئته كونه الكائن الوحيد فوق الأرض الذي يتعامل بالقيم الأخلاقية ومقياس الشر والخير، لكن ما علاقة الأخلاق بالإنسان؟

يرى جيمس أن الأخلاق تقوم في عالم به كائنات لها مطالب ورغبات ومشاعر وأحاسيس، إنه عالم الإنسان فهو الكائن الخلقي الوحيد في هذا العالم الذي يتصف بهذه الميزات يقول جيمس:"إن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذالك العالم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا بإعتباره هو"[1].

يتضح أن جيمس يؤمن بأن مصدر الأخلاق هو الإنسان فالخير خير له والشر شر يقيسه هو، لقد حاول جيمس أن يربط الأخلاق بالدين ليضع له الأساس الموضوعي حيث يقول:"إنه يبدوا لي– وتلك نتيجتي النهائية – أن العالم الخلقي المستقر المنظم الذي يبحث عنه الفيلسوف الخلقي لا يمكن أن يوجد كاملا إلا حيث توجد قوة مقدسة ذات مطالب عامة شاملة، فإذا وجدت هذه القوة فإن منهجها في إخضاع أحد المثل للأخر سيكون المنهج الصحيح لتقدير القيم. لذلك ينبغي علينا كفلاسفة ومن أجل تحقيق غاياتنا من إيجاد نطاق خلقي واحد أن نفترض وجود الله"[2].

يعتقد جيمس من خلال قوله أن الأخلاق مصدرها الإنسان الذي يميل إلى القيم والمثل لهذا يجب علينا أن نتمسك بالقبيح والجيد، وأن نتبع فضائل المجتمع والتي يمكنها أن تتغير من زمن إلى أخر، ويشير أن مصدر الأخلاق هي قوة مقدسة.

يؤكد جيمس في كتبه الدينية أن الإعتقاد الديني صحيح لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة، ويغذيهم بالفوائد الخيرية وما ينجر عنها والأفعال الشريرة القبيحة وما ينجر عنها من أخطار ومصائب تهدد حياة الفرد والأخرين.

1– James,william**, Essays in Pragmatism**, introduction by Alburey Castell ,Hafner publishing Co, New York,1970, p122.

2– **ibid,**128.

هكذا فالأخلاق عند جيمس مصدرها ديني تدفعنا نحو قوة خلقية كبيرة يصدر عنها كل ما يتعلق بالأخلاق والقيم، التي يعيش بها الفرد في حياته الشخصية ومع الأخرين حيث تربط بينهم علاقة إنسانية تزداد ثقة عن طريق ممارسة الخير وتحدت مشاكل عن طريق أفعال الشر.

يرى جيمس أن ماهية الخير هي ما يشبع حاجة ما، لكن ما الفعل الأخلاقي؟

الفعل الأخلاقي حسب جيمس هو الذي يحقق لنا أكبر قدر ممكن من الخير في مواقف تتصارع فيها الحاجات Demands وتصدر المسائل الأخلاقية عن نزعتين، نزعة حسية وأخرى روحية وتحمل إحداهما اللذة والأخرى الواجب من هنا نتساءل ماعلاقة الأخلاق بالدين؟

تشترط الأخلاق أن يكون الله موجودا وأن يكون إيماننا به معقولا وهذه فكرة سبقه إليها الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت Immanuel Kant، وقد حاول جيمس أن يقنعنا بأن التجربة الدينية تدلنا على وجود الله وتؤيد المعتقدات الميتافيزيقية، لكن أي تجربة يقصد جيمس؟[1]. تكلم جيمس عن التجربة الدينية والتجربة النفسية التي هي ذاتية وتوجد فيهما خاصيتان مشتركتان، إحداهما قلق من الألم والشر والأخرى شعور بالنجاة من هذا الألم والشر بفضل قوة عليا تشهد في الحياة النفسية نتائجا حسنة، وربما سبب تطرقه إلى هذه التجربة التي عاشها في سن التاسعة والعشرين حيث تعرض إلى نوبة مرضية حادة إستطاع أن يخرج منها بفضل العون الإلهي والحرية التي تغير مصير الإنسان.

يقول جيمس: "الأخلاق المشروعة هي الأخلاق المتضمنة لإجماع الكل، فالجيد هو ما إتفق عليه الناس أنه كذلك"[2]. بمعنى أن الخير هوما يتفق عليه عامة الناس في مجتمع ما والشر أيضا يعتقد به الناس في مجتمع ويعدل أو يرفض حسب مصالح المجتمع وهذا يتماشى مع الفضائل التي يمكنها أن تتغيرعبرالوسط المعاش.

يعلن جيمس أن العالم يمكن أن يكون أفضل مما هوعليه وأن خلاصه ممكن وإمكانه واقعي إذن أين تكمن مكانة الأخلاق فيه؟

1- محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص164

2- المرجع نفسه، ص163

يجيبنا جيمس أن الأخلاق في هذا العالم هي أخلاق نظال وكفاح وعلى الإنسان أن يفرض مثله العليا على هذا العالم، هكذا يعيش في أمل وينتظر النجاح ويختار بين الخير والشر فالحياة الأخلاقية دعوة مبنية على الأمل، وعلى كل فرد أن يساهم في هذه الجهود ويبذل خير ما يستطيع ويوجه جهوده لتحقيق المثل الأخلاقي الأعلى وأن يضحي من أجل إنتصار مثله.

يؤمن جيمس أن هناك خلاص مرتبط بأن يؤدي الإنسان خيرا ما وقد تنجح في ذلك القلة وتفشل الكثرة فهناك قوة إلهية تساهم في تقديم هذا العالم والرقي بالإنسان، وقد صرح جيمس في كتاب (إرادة الإعتقاد) الذي نشره عام 1886 أن ماهية الخير تقوم بمجرد إشباع المطالب الإنسانية وتحقيق الخير إنما يكون بالنجاح في تجربة من تجاربنا في الحياة.

يضيف أننا كثيرا ما نضطر في حياتنا إلى الإتيان بأعمال لا يكون لدينا أساس نظري يبررها بل حين لا نأتي عملا يجيء توقفنا عن العمل نتيجة لحكم نصدره وقد لا يجد له العقل مبررا.

بناء على ذلك فلا توجد في نظرية جيمس قيم ثابتة ومثل عليا قبل وجود الإنسان وقيامه بالتجارب ومن ثم لا يؤمن بوجود عالم ثابت بل العالم كله متغير خاضع للبحث. بخصوص العالم الطبيعي فإنه لا يشكل بيئة إلا عندما يدخل بصورة مباشرة وغير مباشرة في وظائف الحياة، ذلك أنه في الفلسفة البراغماتية لا يتم الوقوف كثيرا عند المبادئ والمنطلقات بقدر ما يتوقف عند النتائج والأثار، فهي تؤمن بتحويل النظر بعيدا عن الأشياء الأولية والمبادئ والقوانين والحتميات المسلم بها وتوجيه النظر نحو الثمار والنتائج والأثار بناءا على ذلك يكون مقياس الحق في نظر هذا الزعم هو التجربة، فالإنسان هو الذي يصنع مثله بنفسه ويبني الحقيقة لنفسه لأنه هو الذي يجرب ويبحث ومن ثنايا التجربة والبحث تبرز المثل والقيم والحقائق التي تنفعه في حياته[1].

1- محمد فتحي الشنيطي، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص188

يرى جيمس أنه قبل وجود التجارب الفعلية البشرية فإنه لا معنى لوجود أحكام أخلاقية وفلسفة أخلاق، بل أن كل إنسان منا بما هو فرد يساهم في بناء النظام الخلقي للمجتمع البشري.

جاء في كتابه (إرادة الإعتقاد) فصل تحت عنوان(فلسفة الأخلاق والحياة الخلقية) الغرض الرئيسي من هذا الموضوع هو تبيين أنه من المستحيل تكوين فلسفة أخلاقية ووضع قواعد نظرية لها قبل وجود التجارب الفعلية، وتبيين أن كل واحد منا يساهم في بناء مدلول الفلسفة الأخلاقية كما يساهم في بناء الحياة الخلقية للجماعة الإنسانية.

بعبارة أخرى:" تبيين أنه لا يمكن أن يكون هناك حق مطلق في الأحكام الخلقية كما أنه ليس هناك حق مطلق في المسائل الطبيعية حتى ينقرض ذلك النوع الإنساني وتنتهي أفعاله وتصرفاته"1. معناه أن الأحكام الأخلاقية لا تختلف بإختلاف المجتمعات فقط بل تختلف بإختلاف الأفراد في المجتمع الواحد ومن ثم فالأحكام الأخلاقية نسبية بين الأفراد فضلا عن المجتمعات. إن ربط الفعل الأخلاقي حسب جيمس هو أنه لا يمكن لفعل أن تكون له ميزة أخلاقية على الإطلاق ما لم يقع إختياره أيضا من بين أفعال عديدة ممكنة أخرى ويرى أن الخير يقوم في إشباع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته، ومعنى هذا أن من حقنا أن نعتنق مبدأ خلقيا أو معتقدا دينيا لا يحملنا على إعتناقه تفكيرنا النظري المجرد، بل تدعونا إلى إعتناقه مطالب الحياة ومقتضياتها.

المطلب الثاني:التفاؤل الخلقي الميلورزم Miliorism

يرى جيمس أن العالم ليس خيرا في ذاته وليس شرا ولكننا بإستطاعتنا أن نغيره إلى خير بمكافحتنا الشر، الذي يوجد فيه وقد أطلق على موقفه من المذهب التفاؤلي والتشاؤمي مصطلح الميلورزم وهو يعبر عن الموقف القائل بأن العالم نجعله خيرا بمكافحتنا الشر يقول:"إعتقد أن العالم خيرا وأسلك وفق إعتقادك ستجد أنه خير لأنك لو إعتقدت أن العالم شر وسلكت وفق ذلك الإعتقاد، فإنك تخلق بذلك عواطف اليأس والعجز والقنوط وسيصبح العالم

1–جيمس وليم، **إرادة الاعتقاد**، مصدر سابق ، ص79

شرا حقيقيا..."[1]. يبدوا أن جيمس وقف موقفا وسط بين ما يعرف بالتفاؤل وما يعرف بالتشاؤم فالخير ممكن أما الشر يمكننا التغلب عليه، هذا التفاؤل يطرح مسألة مهمة في فلسفة جيمس الدينية والميتافيزيقية حيث فسر مسألة الخلاص في الدين ومسألة الشر في الأخلاق لكن كيف أسس جيمس لذلك؟

أ*التفاؤل والخلاص: يرى جيمس أن الخلاص محتمل ويزداد إحتماله كلما زادت الظروف التي تدعو إليه يقول:" ما الشروط التي لو توفرت لجعلت إمكان الخلاص حقيقة واحدة؟ إنها المزيج من الأشياء التي تعطينا الفرصة لأن نملأ ما فيها من فجوات....هل عملنا ذالك يحقق خلاص العالم؟ نعم ولا معنى للخلاص إذا فهمنا أن العالم نشأ دفعة واحدة كاملا تاما. ولكن يمكن فهم الخلاص، إذا كان يتحقق الكمال على دفعات بإضافات جزئية–إضافة أجزاء جديدة إلى جانب بعضها"[2].

يعني جيمس في قوله أن الإعتقاد بعالم غير منظور هو عنصر أساسي في حياتنا لكنه لم يدع إلى الخلاص كما فعلت المسيحية، كما أنه لم ينكره كما فعل التشاؤميين. وقف جيمس موقف وسط بقوله أن الخلاص ممكن وإمكانه حقيقي نحو الكمال لاأحكاما مجردة أو عقائد غير إنسانية، من هنا ترتبط فكرة الخلاص عنده بنظريته في الميتافيزيقا أي مذهب التعدد هكذا يبقى الخلاص عنده قائم على معنى براغماتي.

ب*التفاؤل والشر: يذهب جيمس إلى أن مذهب التفاؤل يحل مشكلة الشر في العالم وقد أعلن أنه من الصعب حل مشكلة الشر ميتافيزيقيا وإنما يمكن حلها عمليا.

لا يتساءل جيمس عن دلالة الشر ولكن تساءل كيف يمكن التغلب عليه؟

يجيب على سؤاله بما قاله حول التفاؤل الخلقي والإنسان سليم العقل ينظر إلى الأمور على أنها جيدة وحسنة أما المريض فينظر إليها أنها شر في ذاتها والإنسان يصبح متفائلا إذا

1–**ibid,** James,william**, Essays in Pragmatism,p** 130.

2–**ibid,**136.

إعتقد بخير العالم لأنه سوف يجد العالم يحقق أحلامه ويخدمها هكذا لا يفكر في الشر أو يتجاهله. يقول جيمس في هذا الشأن:

The word is good we must say, since it is what we make it and " we shall make it good.

أي أن العالم خير له لأنه ليس إلا ما نجعل منه وإذا جعلنا منه شيئا خيرا1.

يفسر جيمس الخير والحق والحسن والقبح أنها من الأحكام الإعتبارية الخاضعة لإعتبار كل أحد: وفي اللحظة التي يصبح فيها موجود ذو شعور جزءا من العالم تسمح الفرصة لكل من الخير والشر أن يوجد حقا، ويكون للعلاقات الخلقية الأن مكان في شعور ذلك الموجود فإذا ما شعر بأن شيئا خير فإنه يكون بجعله خيرا إنه خير بالنسبة له، وما دام خيرا بالنسبة له فهو خير مطلق لأنه الخالق الوحيد للقيم في ذلك العالم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا بإعتباره هو.

بما أن غاية بحثنا حتى الأن هي بيان أنه لا يمكن أن يكون شيء حسنا أو حقا إلا بالنسبة لإعتبار المعتبر، فإننا نرى من المبدأ أن السلطة والسمو الحقيقيتين اللتين يفترضهما الفلاسفة موجودتين في بعض الأراء والخضوع المفروض أنه صفة لبعض أخر منها لا يمكن أن تفسر بأي معنى خلقي موجود بالفعل في طبيعة الأشياء وجودا سابقا على وجود المفكرين وعلى وجود مثلهم.. لنا الأن أن نعتبر أن الناحية الميتافيزيقية من الفلسفة الأخلاقية قد شرحت بما فيه الكفاية وأنا قد عرفنا مدلول كلمة حسن وقبح وواجب كلا على حدته.

إنها لا تدل على طبائع مطلقة بقطع النظر عن إعتبار الشخص المعتبر ولكنها موضوعات للشعور والرغبة، وليس لها من مكان في أي وجود مغاير لوجود العقول الحية بالفعل فكلما وجدت مثل هذه العقول وجدت معها أحكامها بالحسن والقبح2.

يرى ديوي Dewey البراغماتي الأشد تحمسا أن الخير هو الذي يخدم غايات الجماعة ومطالب الفرد في الجماعة، والأخلاق تعتبر الفرد غاية في ذاته وليس وسيلة إلى تحقيق

1- إبراهيم زكرياء، **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، مرجع سابق ، ص 42.

2- جيمس وليم، **إرادة الاعتقاد**، مصدر سابق ، ص 85، ص 87

غاية. وأن الإهتمام الذي نوليه بكل فرد فإننا نهتم برفاهية الجماعة التي يعيش في ظلها الفرد وصالح الفرد من الناس كوحدة إجتماعية هو المقياس الأقصى للخير والشر لأن ما يغني حياة الفرد ويخصبها لا بد أن يساهم في إثراء حياة الجماعة وإخصابها1.

من هنا نقول من مميزات الأخلاق البراغماتية هو عدم وجود شيء يطلب لذاته بل لأن وراءه نفعا، بل الأخلاق البراغماتية متغيرة بتغير الزمان والمكان والمصالح والنتائج والأثار.

المطلب الثالث: مشكلة الحرية

يعترف جيمس بوجود الحرية فهي فعل وجداني، لكن أين تكمن هذه الحرية؟

يقول جيمس:"نحن أناس أحرار نعيش في عالم من الجدة يمكننا على الأقل تحسينه"2.

يقصد بقوله هذا أن الإنسان تربطه علاقة جدية بالعالم الذي يعيش فيه يمكنه ممارسة حريته ويغير منه ما يجب. إن الإيمان بالحرية يجعلنا حسب المذهب البراغماتي نقوى على مواجهات المصاعب وتكون لدينا رغبة في العمل وتحقيق أهدافنا، لأن إيماننا بهذه الحرية يجعلنا نحقق الصعوبات إن وجدت بالإعتماد على إرادتنا الحرة.

يمكن القول أن الحرية التي ينادي بها جيمس هي فرض يؤيد نظرية العلاقات الخارجية ومذهب التعدد، وأنها تبرير لفكرة الجدة الممكنة التي يمكن تحقيقها في العالم فالإرادة الإنسانية الحرة يتجاوز بها كل الأفكار التي تبدوا صعبة المنال.

ينظر جيمس للإنسان أنه مختار في أفعاله وليس مجبر عليها، هنا نتساءل ماهو الأساس لنثبت حرية الإنسان في عالمه؟

يجيب جيمس أننا لا نبحث عن الحرية الإنسانية في مجال ميتافيزيقي وإنما نجدها في أساس سيكولوجي بمعنى أنه يريد أن يحل مشكلة الحرية على أساس ذاتي، التي تستمد منها الفكرة قوتها إنه يمثل وظائف.

1- جون ديوي، **الفردية قديما وحديثا**، مرجع سابق ، ص104

2- مصطفى إبراهيم مصطفى، **نقد المذاهب المعاصرة**، مرجع سابق ، ص 114

نجد جيمس يهتم بكلمةEffort فالجهد يطرد كل الأفكار التي تعيق الفكرة التي نريد تحويلها إلى عمل، كما يعيق قوة الميول والمنبهات الغريزية ويحافظ على ثبات الفكرة، لكن ما الجهد؟ إن الجهد يجعل الفكرة موضوع العقل الأساسي حيث ينتهي عمل النفس أو العقل في الفعل الإرادي، فالمجهود الذي يبدله الإنسان في الإنتباه إلى الفكرة يحقق قوتها وسيطرتها على العقل، لكن هل الفعل الإرادي حر أم مجبر؟

يرى جيمس أن البحث في حرية الإرادة قائم على التفرقة بين الجبر والإختيار وجوهر هذه المشكلة هو الإمكان. إن الجبر يعني أنه لا يوجد مستقبل عما هو ثابت مند الأزل فحين أن الإختيار هو أن الإمكانيات في تحقق مستمر وأن العالم متعدد وليس وحدة متماسكة1. إن جيمس لا يدافع عن فكرة الإمكان من زاوية ميتافيزيقية محضة بل من وجهة نظر أخلاقية بإعتبار أن الإمكان شرط للحرية والتجديد، إن الحرية عند جيمس هي حرية الإرادة الفردية التي تحتكم إلى المصلحة الذاتية، فالناس لا فرق بينهم إلا بالعمل الناجح المربح، كما أن الفرد عنده متحرر حتى من القانون الفردي يقول جيمس:" إن الإرادة هي علاقة بين العقل وأفكاره".2

يفسر ذلك بقوله: "الإرادة لا تكتمل إلا عند مصالحة الذات مع نفسها في إطار أفكارها وتجنب الأذى والضرر"3. جيمس يحذف المعرفة من فلسفته، فالفكر سلعة والعقلانية قيمة تجارية عنده، فالحرية الفردية قيمة ذرائعية لها وظيفتها الأخلاقية، التي تحقق المصلحة والتوافق مع الواقع، أما الصدق هو التوافق مع الواقع من خلال الممارسة العملية والعقلانية بالمعنى البراغماتي تكون عندما تحقق الذات إنتماءها لهذا العالم. فهي أي العقلانية تصبح قيمة مباشرة عيانية مدفوعة أو نتيجة وأثرا ملموسا أي قيمة تجارية.

بهذا تصبح العقلانية مسايرة الواقع خشية بطش السلطة، أو نؤثر العيش بسلام وأن يعايش المرء حريته بينه وبين نفسه ولنفسه. إنه تحرير كامل عند جيمس للحرية من بعدها المعرفي والإنساني، لتصبح قيمة إستعمالية تقررها الذات لنفسها. لذلك تختلف قيمتها من فرد

1- محمود فهمي زيدان، **وليم جيمس**، مرجع سابق ، ص173

2- جيمس وليم، **إرادة الإعتقاد**، مصدر سبق ، ص88

3- المصدر نفسه ، ص89

إلى أخر، لذلك تتنافر وتتصارع الحريات لتبقى حرية السلطة هي التي تسود، لأنها الأقوى صاحب جهاز البطش والردع، ولأنها صائبة وواقعية وناجحة فالبقاء للأقوى، عليه لا تفهم الحرية إلا بالخير الناتج عن تحقيق المصالح الفردية في الواقع.

الواقع موضوعي عندما يذعن للذات الفردية، فهو لغو في رأي جيمس أن يكون للحرية أي قيمة إجتماعية، لأن أحكام القيمة ترتكز على المنفعة لجماعة أو فئة معينة في ضوء قناعات محددة.

خلاصة القول إن جيمس ينادي بالحرية كالفرض يوافق نظرية العلاقات الخارجية ومذهب الكثرة أو التعدد، هذا يعني أن الحرية ليست سوى تبرير لفكرة الجدة الممكنة هذه الأخيرة يمكن تحقيقها في الكون بإرادتنا الحرة، هذه الذات الإنسانية التي تبدل جهدا في سبيل تغير الكون هي أيضا قوة خلاقة يحارب بها أفكار الفلاسفة والعلماء عن المطلق والعقل الكلي.

قبل جيمس العالم بكل ما فيه من تناقضات وأمن بالإنسان كذات قادرة على الخلق والإبتكار وإعتبر أن الحقيقة ما يصنع الإنسان بأفعاله، وهذا لايمكن أن يتحول إلى منطق براغماتي إلا على أساس إيمانه الراسخ بالحرية وعدائه للحتمية والجبرية، فالإنسان يعيش في هذا العالم ويحرك قواه الذهنية الحركية على أساس من المعتقدات والأفكار والأهداف منطلقا من الإعتقاد بأنه حر. إن الأصل في إيمانه بالحرية نابع من تجربة ذاتية عاشها في أيام شبابه وذاق مرارة الجبرية كما تعود أيضا لحبه للتنوع والتعدد والتغير1.

الإيمان بالحرية وحرية إرادة الإنسان من المعتقدات الراسخة القوية في فلسفة جيمس ولذلك فهو يرفض الإعتقاد بالسببية ويمقت الحتمية. يلتقي جيمس في الإيمان بالحرية مع برغسون Bergson الذي ردها للشعور المنبثق من أعماق الإنسان ووجدانه الفردي هكذا ينظر برغسون للمشكلة من زاوية فلسفية وجدانية وخبرة صوفية، فحين نجد جيمس يتناول المشكلة من زاوية واقعية علمية في إطار أبحاثه السيكولوجية.

1– زكريا إبراهيم، **مشكلة الحرية**، مكتبة مصر، القاهرة، ط3، سنة1971، ص 182

يقول جيمس: "إنني أتحدث كما لو كانت الأفكار لمجرد وجودها أو غيابها هي التي تقرر السلوك ولا وجود لمبدأ ثالث يتوسط الأفكار والسلوك على خلاف ما نسميه الإرادة"[1] يعني بقوله أن الإرادة أساس تحرير طاقات الفرد ووضع أفكاره وأهدافه في الفعل والإنجازات العملية على أرض الواقع.

يؤيد جيمس مذهبJohn Stuart Mill جون ستوارت مِيل وJeremy Bentham جيريمي بنتام في أن منشأ الأحكام الأخلاقية هو السرور واللذة.

يقول جيمس: "إن مدرسة بنتام وميل قدمت عملا خالدا بأخذها كثيرا من مثلنا وتبيين أنها لا بد أن تكون قد نشأت عن إرتباطها بحالات السرور الجسمية البسيطة وبحالات التخلص من الألم، فإن الإرتباط بكثير من السرور البعيد يجعل الشيء بلا شك في عقولنا أمارة على الحسن"[2].

يعني جيمس بقوله أن الأخلاق النفعية ترتبط برباط وثيق مع النظرة المتفائلة للإنسان وأنه خير بطبعه، فالإنسان بطبعه يبحث عن اللذة والمنفعة لكنه بحكم كونه خيرا ومتعادلا بذاته سيكون طلبه للذة والمنفعة بشكل جمعي على النهج الصائب في الأعم الأغلب وستتطابق رعاية المصلحة والنفع العام مع رعاية العدالة، وبناءا على ذلك سوف تكون الدعوة العملية للأخلاق البراغماتية مستندة إلى النظرة الوجودية للإنسان وأنه خير بطبعه وهي نظرة ينطوي عليها الفكر الليبرالي عامة.

يمكن القول أن جيمس في كتابه"عالم متعدد" كان أخلاقيا ومثاليا قريب من روح *هيغلHegel إن القيمة الحقة لإرادة الإعتقاد وعالم متعدد تظهر في قدرة العقل على التعبير والتعالي بأخلاق مثالية تسمو فوق أخلاق المجتمع الأمريكي في عصره.

1–James William, **La volante de croire**, Traduit par Loys Moulin. Ernest Flammarion, Editeur Paris, Préface de Paris traducteur, 1962, p10.

2 – جيمس وليم، **إرادة الاعتقاد**، مصدر سابق ، ص81

***هيجل جورج ويلهم فريدريك Georg Wilhlm Friedrich Hegel فيلسوف ألماني ولد سنة1770 من عائلة بروسية تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة، دخل إلى كلية اللاهوت الشهيرة في مدينة توبنغين هناك درس التاريخ وفقه اللغة الألمانية والرياضيات من أهم مؤلفاته فنومينولوجيا الروح، المدخل إلى علم الجمال، توفي سنة 1831.**

القيمة الحقيقة لجميس لا تكمن في أرائه النفسية أو التجريبية أو البراغماتية، وإنما في تفسيره للروح الأخلاقية وفي قدرته على فهم الجزئيات والتعالي عليها وفي إظهاره لدور العقل.

نستنتج من ما سبق أن فلسفة جيمس تجمع بين الخبرة الشخصية والتجربة الإجتماعية الدينية والأخلاقية، إنها فلسفة ذاتية تعبر عن روح عصرها وبيئتها.

إذن هي فلسفة تجمع بين الخبرة الفردية الأصيلة وروح قيم ومثل وأخلاق الجماعة فهي فلسفة إجتماعية، ومن جهة أخرى فلسفة دينية في أعماقها ولا تخلوا من روح مثالية1.

1- بيري، رالف بارتون، **أراء وشخصية وليام جيمس**، مرجع سابق ، ص362.

خاتمة:

يتهم بعض المفكرين البراغماتية ويجردوها من الأخلاق والقيم الدينية، فالبراغماتية الكلاسيكية التي أسسها (بيرس . جيمس . ديوي) تحكمها معايير أخلاقية وقيم دينية حتى إن كانت هذه المعايير تدور في نطاق المنفعة، إلا أن هذا لا يدل على تجريدها أخلاقيا بإعتبارها المنفعة قيمة عليا لقياس الأفكار البشرية، فهي واحدة من المدارس التي تؤمن بهذا المبدأ شأنها شأن بعض المدارس التي تؤمن بالقوة والمثالية وغيرها، ومن ثم هذا مبدأ أساسي من المبادئ أو السمات التي تأسست عليها البراغماتية.

هذا لا يعني أنها لا تعطي للمعاير الأخلاقية والقيم الدينية أي محتوى فكري، والدليل على ذلك يعتبر جيمس المؤسس الثاني للبراغماتية، قد جعل إهتمامه البراغماتي الأول في المجالات الدينية والنفسية. كذلك ديوي فقد كان إهتمامة الأول والأخير هو (الأخلاق) قبل كل شيء حتى ذهب في ذلك إلى إعتبار الديموقراطية تصور أخلاقي.

البراغماتية بشكل عام تحكمها معايير أخلاقية وقيم دينية بشرط أن تكون هذه المعايير والقيم لا تنفصل عن وسائل تحقيقها، فالأخلاق والقيم الدينية حسب المفهوم البراغماتي تكون فارغة وعقيمة، إذا إنفصلت عن وسائل تحقيقها فكل فكرة لا بد أن يكون هناك مجال لتطبيقها على أرض الواقع.

البحث في التجربة الدينية عند وليم جيمس ليس أمر هين خاصة أنها إصطبغت بالمذهب البراغماتي، كما إتسمت بتنوع التجربة الدينية، فالفرد هو المحور الجوهري للدين يحققه بالإيمان والإعتقاد الشخصي والشعور النفسي، فقد حاول أن يطبق المنهج البراغماتي على المعتقدات الدينية.

من خلال دراستي هذه لخصت جملة من النتائج بعد إستقرائي لأهم أفكار وليم جيمس عن الفكر الديني البراغماتي في بحثي تمثلت جملة **الإستنتاجات** كالأتي:

***أولا:** أثبت الفكر البراغماتي حقيقته كفكر معاصر وبعمق وأصالة فلسفية تاريخية عبر التطور التاريخي لهذا الفكر بدءا من الفلسفة اليونانية، وإستخدام مصطلح براغما في النواحي العملية في الحياة ومن ثم الفلسفة السوفسطائية التي إعتبرت الإنسان مقياس كل شئ، مرورا بسقراط وأفلاطون وأرسطو ومن بعدهم المدارس الفلسفية الأخرى (الأبيقورية والرواقية) مرورا بعد ذلك بفلسفة العصور الوسطى والفلسفة الغربية الحديثة أمثال

(كوبرنيق وجاليلو، نيوتن، داروين) ثم جاءت المدرسة التجريبية على يد بيكون ثم (لوك وهيوم وباركلي) ثم (إيمانويل كانط وأتباع المدرسة النفعية بنثام وميل) ليثبت الفكر البراغماتي بعد ذلك نفسه وبقوة وجدارة على الساحة الفلسفية الفكرية العالمية المعاصرة.

بل تعدى كل أشكال الفلسفة والفكر اليوم ليرد على كل الذين شككوا في أصالته وبعمق تاريخي فلسفي طويل، إلا أن هؤلاء الرواد كانوا ممهدين فقط للفكر البراغماتي على حد تعبير جيمس وإستخدموه بعضه، ولم يقدر للبراغماتية أن تعمم نفسها إلا في زمننا المعاصر حيث أصبحت واعية برسالة عالمية تدعي أن مصيرها الفوز والنجاح.

***ثانيا:** يقرر المذهب البراغماتي أن العقل يحقق هدفه المنشود حين يقود صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية، وتعود بالنفع الإيجابي على الإنسان فهي فلسفة إنسانية وجدت لتجعل كل شيء في خدمة الإنسان وسعادته.

***ثالثا:** تعد الفلسفة البراغماتية فلسفة النتائج وهي وسط بين المدرستين فبوسعها أن تظل دينية كالمذاهب العقلية، ولكنها في الوقت نفسه مثل المذاهب التجريبية تستطيع أن تحتفظ بأخصب وأغنى صلة وثيقة بالحقائق والوقائع، وكما كانت البراغماتية محاولة لحل الصراعات بين المدارس الفلسفية، فهي كذلك محاولة للتوفيق بين الجانب الروحي لدى الإنسان أي(الدين) وحب الإنسان لطلب المعرفة، فإذا أثبتت الأفكار اللاهوتية أن لها قيمة في الحياة فهي نافعة، بهذا المعنى فهي فلسفة تجمع بين الأمرين الولاء العملي للحقائق وبين اليقين القديم في القيم الإنسانية والتلقائية المحصلة من النوع الديني أم الرومانتيكي.

***رابعا:** لم تكن دراسة جيمس في الدين دراسة دينية تقليدية أو دراسة رجل دين وإنما درس الدين وفق ما يتلائم مع مذهبه البراغماتي، وقد أعطى أهمية خاصة للمشكلة الدينية فكل تجربة دينية لها خصوصيتها وتميزها عن التجارب الأخرى بحيث يصبح كل فرد له نظرته الخاصة للدين.

يقرر جيمس أن الدين أساس تجربة شيء يحسه المرء ويعيشه، إنه إحساس بتوافق تلقائي أو مجبول بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان الواقعي والمثالي كما أنه إحساس بصلة الإنسان بموجود أعظم منه هو الذي يحدث هذا التوافق وينجلي كأنه مصدر لا ينصب من النشاط والقوة، هذا الإحساس المزدوج يصبح في النفس المتدينة لب الحياة الشاعرة فالدين لا يوجد إلا مع وجود النفوس المتدينة والحياة الدينية.

***خامسا:** يبدو أن فكر ديوي الديني يختلف عن مذهب جيمس الذي كان يريد أن يتحقق من نتائج مباشرة وغير مباشرة، يعطي ديوي للدين صفة الإنسانية ويرفض النظر إلى الدين بشيء من القداسة التي لا يجوز المساس بها، فالدين هو ما يساعد أفراد المجتمع على تسيير أمورهم الدينية فهو لم يرفض الدين بل أراد تخليصه من النظرة الجامدة وأن يكون أكثر مرونة، بينما نجد أن جيمس يختلف عن ديوي كونه يدرس الدين من الناحية السيكولوجية حيث أكد على الذات الفردية أي على الضمير الخلقي والإيمان الديني.

***سادسا:** تغلغل الفكرالبراغماتي في الثقافة الدينية أو العقيدة الدينية الأمريكية المعاصرة ليس من اليوم، وإنما من خلال ما أكدت علية هذه العقيدة وما شددت عليه البروتستانتية على أخلاق العمل ومسؤولية الفرد، عن نجاحه أو فشله الشخصي في الحياة وما أمن به الأمريكيون من أن كل فرد يلزم مكانه في الحياة، وأن يعمل في جد من أجل مصلحته الذاتية ومصلحة المجتمع أيضا وأن يكون أكثر واقعية.

ما أكدت علية البراغماتية في توجهاتها النفعية المادية أصبحت تمثل الفكر الإقتصادي الأمريكي، وأصبحت واحدة من ديناميات الليبرالية ومرحلة من مراحل تطبيق الفكر السياسي الأمريكي نتيجة لتوجهاتها الرأسمالية، و تعد النظرية الواقعية التي تحكم السياسة الأمريكية المعاصرة بعناصرها (القوة، المصلحة القومية، المعايرالأخلاقية الدينية)

ما هي إلا فلسفة براغماتية، فالنزعة العملية التي تحكم النظرية الواقعية والمصلحة القومية وتمجيد القوة تجد أصولها في الفلسفة البراغماتية الأمريكية.

***سابعا:** يعتبر جيمس الدين مجرد تجربة إنسانية كسائر التجارب الأخرى التي يجربها الإنسان في حياته، وله أن ينتقل من تجربة لأخرى إذا ما ثبت فشل الأولى وليس لهذه التجارب مستند يعطيها صفة الثبات. يرى أن التجربة الدينية منشئها شعور الإنسان بالضعف إزاء قوى الشر وشعوره بوجود قوى خيرة، فهو يتوجه إلى هذه القوى الخيرة يستمد منها العون في مقاومة تلك القوى الشريرة. فالتجربة الدينية هي تجربة روحية إلا أنها تخضع لميزان المنفعة، فمتى ما كانت التجربة الدينية تحقق نفعا فهي تجربة مجدية وصحيحة. والفائدة التي تعود على المرء من إحدى هذه التجارب الدينية، كما يرى جيمس إنما هي الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية والتفاؤل، والفارق بين المؤمن والملحد لا يكمن إلا في أن المؤمن متفائل يرجو الجزاء والملحد متشائم لا يرجو شيئا، فيكون المؤمن أكثر إنتاجية ونفعا في الحياة، بينما الملحد يمزقه القلق والإضطراب النفسي وقد يؤدي به ذلك إلى الإنتحار.

يمكن القول أن جيمس لم يكلف نفسه عناء البحث عن الأدلة الأنطولوجية، والخوض في المجادلات والمنازعات الميتافيزيقية، والبحث في ما إذا كان الإله موجودا، أم غير موجود فعمله إتجه صوب معرفة الجانب النفسي بالإلهي"المتجاوز للحواسl'invisible وهذا راجع إلى كون المفهوم السيكولوجي للإعتقاد عند جيمس قائم على التعدد، الشيء الذي ميزه وأبرز إختلافه عن رجال الدين، فأعتبر مؤسسا لـ "علم النفس الديني".

إهتمام جيمس بالنتائج يدل على كون الإعتقاد بوجود الإله يجلب نتائج مرضية تساعد الإنسان على تحسين وضعيته الواقعية من جهة، ومن جهة أخرى إرتقائه بحالته النفسية فشعور الإنسان بالراحة لا يعد نتاجا للإيمان في حد ذاته، بل يعد نتيجة لإرتباط الإعتقاد بالعمل والسلوك، وبتالي الجانب العملي في الواقع الذي نعيش فيه يبرز في التجربة الدينية التي تتعدد وتتنوع بتعدد الأفراد المتدينين داخل المجتمع. في الختام هذا البحث ما هو إلا نافدة فكرية تطل على الحقل الفلسفي البراغماتي لـ وليم جيمس.

1- قائمة المصادر والمراجع:

أ- المـصادر:

***باللغة العربية:**

1- جيمس وليم، **البراغماتية**، ترجمة محمد علي العريان، دار النهضة العربية القاهرة، دط، سنة1965.

2- جيمس وليم، **العقل والـدين**، ترجمة محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية مصر، دط، سنة1949.

3- جيمس وليم، **إرادة الإعتقاد**، ترجمة محمود حب الله، دارإحياء الكتب العربية مصر، دط، سنة1947.

4- جيمس وليم، **بعض مشكلات الفلسفة**، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المؤسسة العلمية للتأليف والنشر، دط، دت.

5- جيمس وليم، **أحاديث للمعلمين والمتعلمين في علم النفس**، ترجمة محمد علي العريان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، سنة 1961.

6- جيمس وليم، **معنى الحـقيقة**، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، سنة2008.

***باللغة الفرنسية:**

1- James William, **Extraits de sa correspondance**, **préface de M Henri Bergson**, traduit de l'anglai par F Delattre et, M le breton, Payot,1924.

2-James William, **La volante de croire**, Traduit par Loys Moulin. Ernest Flammarion, Editeur Paris, Préface de Paris traducteur, 1962.

***باللغة الإنجليزية:**

1 − James William,**pragmatism**, Anew Name for someold ways of thinking,NewYork Longmans,Green,Co,1907.

2- James William, **Essays in Pragmatism**, introduction by Alburey Castell,Hafner publishing Co, New York,1970.

3- James William, **Varieties of Religious Experience**, A Study in Human Nature, centenary Edition 1982.

ب− المـراجع:

***باللغة العربية:**

1− الطويل توفيق، **أسس الفلسفة**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط6، سنة1976.

2− النابلسي أحمد، محمد، **سيكولوجية السياسة الأمريكية**، مركز الدراسات النفسية بيروت، لبنان، ط1، سنة 2003.

3− الشنيطي، محمد فتحي، **المعرفة**، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، ط3، سنة 1962.

4− الشنيطي، محمود فتحي، **وليم جيمس**، دار الحمامي للطباعة، القاهرة، مصر، ط1 سنة1975.

5− الطويل توفيق، **الفلسفة الخلقية، نشأتها وتطورها**، دار النهضة العربية، القاهرة مصر، ط2، سنة1967.

6− الطويل توفيق، **جون ستيوارت ميل**، مكتبة الأداب بالجماهير، مصر، دط، سنة1948

7− السواح فراس، **دين الإنسان**، بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين للنشر، دمشق،ط3، سنة2000.

8− أحمد فؤاد الأهواني، **جون ديوي**، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دارالمعارف، مصر ط2، سنة1968.

9- إيسايا بيرلين، **عصر التنوير**، فلاسفة القرن الثامن عشر، ترجمة فؤاد شعبان مراجعة ناظم الطحان، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، دط سنة 1980.

10- إريك فروم، **الدين و التحليل النفسي**، ت فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، مصر ط1، سنة2003.

11- إريك فروم، د.ت، سوزوكي، **فرويد و بوذا، التصوف البوذي و التحليل النفسي** ترجمة ثائر ديب، المركز الثقافي دمشق، سوريا، ط2، سنة 2007.

12- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1 سنة، 2001.

13- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **نقد المذاهب المعاصرة**، دار الوفاء للطباعة والنشر مصر، ط1، سنة2000.

14- بيري رالف بارتون، **أفكار وشخصية وليام جيمس**، ترجمة محمد علي العريان دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، دط، سنة 1965.

15- بريهيه إميل، **تاريخ الفلسفة،الفلسفة الحديثة**، الجزء السابع، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، سنة1987.

16- بوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، ترجمة عزت قرني، سلسلة علم المعرفة الكويت، دط، سنة1992.

17- **جيماني فايتمو وأخرون**، دائرة المعارف الفلسفية، المكتبة العامة، باريس منشورات كتاب الجيب، سنة2002.

18- جون لوك، **رسالة في التسامح**، ترجمة متى أبو سنة، مراجعة مراد وهبة المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر دط، دت.

19- جون ستيوارت ميل، **النفعية**، ترجمة سعاد شاهرلي حرار، تحقيق هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2012.

20- جيرار ديلودال، **الفلسفة الأمريكية**، جورج كتورة، إلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، سنة2009.

21- جديدي محمد، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتسارد رورتي**، منشورات الإختلاف، الجزائرالعاصمة، ط1، سنة 2008.

22- جديد محمد، **ما بعد الفلسفة، مطارحات رورتية**، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، سنة2010.

23- ديورانت ويل، **قصة الفلسفة**، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، لبنان، بيروت ط 6، سنة1988.

24- ديوي جون، **نمو البراغماتية الأمريكية**، مقال من كتاب فلسفة القرن العشرين تأليف رونز واجبورت، ترجمة عثمان نورية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، دط 1978.

25- ديوي جون، **الفردية قديما وحديثا**، ت خيري حماد، م مروان الجابري منشورات مكتبة الحياة، دط، سنة1967.

26- هاني يحي نصري، **دعوة للدخول إلى تاريخ الفلسفة**، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2002.

27- وليم ديغوسون، **النفعيون**، ترجمة محمد إبراهيم، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، دط سنة1975.

28- وايت مورتن، **عصر التحليل**، ترجمة أديب يوسف شيش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، دط، سنة1975.

29- زقزوق محمود حمدي، **دراسات في الفلسفة الحديثة**، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط3، سنة1993.

30- زيدان محمود فهمي، **وليم جيمس**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، سنة2005.

31- زكريا إبراهيم، **مشكلة الحرية**، مكتبة مصر، القاهرة، ط3، سنة1971.

32- حلمي مصطفى، **الفكرالإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي**، دار الدعوة الإسكندرية مصر، دط، سنة 1998.

33- حسن محمد سليمان، **دراسات في الفلسفةالأوربية**، منشورات دار علاء الدين، ط1 سنة1998.

34- يحي هويدي، **باركلي، نوابغ الفكر الغربي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1 سنة1960.

35- كرم يوسف، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت.

36- كريم متى، **الفلسفة الحديثة، عرض نقدي**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط2، سنة2000.

37- مهران محمد، ومدين، محمد، **مقدمة في الفلسفة المعاصرة**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، سنة2004.

38- محمد جديدي، **فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2004.

39- مبروك أمل، **فلسفة الدين**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، سنة2009.

40- محمود زكي نجيب، **دفيد هيوم**، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت.

41- مهران رشوان محمد، **مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة**، دار الثقافة، القاهرة مصر، ط2، سنة1984.

42- موريس تشارلز، **رواد الفلسفة الأمريكية**، ترجمة إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، مصر، دط، سنة1996.

43- محمد عثمان الخشت، **مدخل إلى فلسفة الدين**، دار قباء، القاهرة، مصر، دط سنة2001.

44- مايكل كوربت، جوليا ميتشل كوربت، **الدين والسياسة في الولايات المتحدة**، ج1 ترجمة عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، سنة2001.

45- محمود زكي نجيب، **حياة الفكر في العالم الجديد**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ط3، سنة1987.

46- محمود زكي نجيب، **من زاوية فلسفية**، دار الشروق، ط1، ط2، ط3، سنة1969 ،1980،1982.

47- محمد عبد الحفيظ، **الفلسفة والنزعة الإنسانية الفكر البراغماتي نموذجا**، دار الوفاء لدنيا الإسكندرية، مصر، ط1، سنة2006.

48- محمد عبد الحفيظ، **دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة2005.

49- سماح رافع محمد، **المذاهب الفلسفية المعاصرة**، مكتبة مدبولي، دار المعارف القاهرة، دط، سنة 1973.

50- علي عبد الهادي المرهج، **الفلسفة البراغماتية**، أصولها ومبادئها، دراسة تحليلة تشارلس ساندرس بيرس، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط، سنة1971.

51- علي عبود المحمداوي، **مجموعة مؤلفين، فلسفة الدين**، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، دار الأمان، الرباط، المغرب، منشورات الأمان، الجزائر، ط1، سنة2012.

52- عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، **دراسات في فلسفةالتربية المعاصرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، سنة2002.

53- عبد الله الرشدان و نعيم جعنيني، **المدخل إلى التربية والتعليم**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، ط5، سنة2006.

54- عطيات أبو السعود، **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين**، منشأة المعارف جلال حزى وشركاه، الإسكندرية، مصر، ط2، سنة2002.

55- عبد الفتاح الديدي، **الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة**،الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، دط، سنة 1966.

56- قيس هادي أحمد، **دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية**، مكتبة المنصور العلمية بغداد، دط، سنة1999.

57- رودولف متس، **الفلسفة الإنجليزية في مائة عام**، ت فواد زكريا، م زكي نجيب محمود، ط1، سنة2009.

58- راسل برتراند، **حكمة الغرب، ج الثاني، الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، فؤاد زكرياء سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سنة1983.

59- راسل برتراند، **تاريخ الفلسفة الغربية**، ج3، ترجمة محمد فتحي الشنيطي المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، سنة1977.

60- رورتي ريتشارد، **نظرة براغماتية إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة**، مجلة العرب والفكر العالمي، ترجمة فريق مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العددان24.23 سنة2008.

61- رورتي، ريتشارد وأخرون، **البنيوية والتفكيك**، مداخل نقدية، ترجمة حسام نايل أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 سنة2007.

62- شنايدر، هربرت، **تاريخ الفلسفة الأمريكية**، ترجمة محمد فتحيى الشنيطي، القاهرة مصر، سنة1964.

***باللغة الفرنسية:**

1-**F**.C.S Schiller, **Etudes sur l'humanisme**, traduit par S. Jankélévitch, Paris, Alcane, 1909.

2-**G**érard Deledalle,**la philosophie américaine,** Lausanne,suisse éditions l'Age d'homme,1983.

3−**H**ottois Gilbert,**de la Renaissance a la postimodernité**: Une Histoire de la philosophie Moderne et Contemporaine,3éme, édition Bruxelles, de Boeck université,2002.

4 − **J**ean Greisch, **le buisson ardent et les lumières de la raison**, **L'invention de la philosophie de la religion**, tome 2,les éditions du cerf, paris,2002.

5−**R**ichard Rorty, **l'espoir au lieu du savoir**, **introduction au pragmatisme**,édition française établie Claudine Cowan et jacques poulain,paris,éditions Albin Michel,1995.

***باللغة الإنجليزية:**

1−**C**. Hard wich and Donald Crosby,**pragmatism,neo- pragmatism and Religion**,Conversations with Richard Rorty, New York,peter lang.

2 −**P**erry, Ralph Barton**, Présent Philosophical Tendences,Longmans,** Grren And Co, London New York,Tornto,1929.

3−**R**ussell, Bertrand, **introduction to mathematical phelosophy** George Allen,Unwin**,**LTD**,** New York, the Macmillan Co,1919.

4−**R**ussel**,** Bertrand**, A Histoty of western philosophy**,Atouchstone Book, New York,london,1972.

5 −**R**ichard Rorty, **philosophy and Social hope**, New York,Penguin books,1999.

2- الموسوعات والمعاجم:

***باللغة العربية:**

1- **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية ط2، دت.

2- إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، دط سنة1983.

3- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، ا **لمعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط4، سنة2004

4- بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 سنة1984.

5- جميل الحاج، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الإجتماعي**، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، سنة2000.

6- طرابشي جورج، **معجم الفلاسفة**، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، د ت

7- لالاند، أندري، **الموسوعة الفلسفية**، تعريب أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، المجلدالثالث،RZ منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط1 سنة1996.

8- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1 سنة2009.

9- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط دت.

10- م روزنتال، ب يودين، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 سنة1984.

11- محمد أحمد منصور، **موسوعة أعلام الفلسفة**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان، ط1، سنة2001.

12- محمود يعقوبي، **معجم الفلسفة**، الميزان للنشر والتوزيع، درارية، الجزائر، ط2 سنة1998.

13- محمد رواس قلعة جي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط2، سنة2006.

14- معين زيادة، **الموسوعة الفلسفية العربية**ج2، معهد الإنماء العربي، لبنان، سنة 1987.

15- عبد المنعم الحنفي، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ط3، سنة2003.

16- عبده الحلو، **معجم المصطلحات الفلسفية**، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، بيروت، دط، سنة1994.

17- فيصل عباس، **موسوعة الفلاسفة**، دار الفكرالعربي، بيروت، ط1، سنة1997.

18- صليبا جميل، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط سنة1982.

19- صليبا جميل، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط سنة1985.

20- تفسير الطبري، الجزء4.

21- خلف الجراد، **معجم الفلاسفة المختصر**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، سنة2007.

***باللغة الفرنسية:**

1-André Lalande, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**, 5 éme Edition, Paris F.U.F. Art, Liberté.

2- **nouveau la rousse encyclopédique dictionnaire** en 2 volumes, kondratiev,zythum, imprimé en Italie,volume2,anné2003.

***باللغة الإنجليزية:**

1-**Encyclopedia of Religion and ethis,edited** by James Hasting volume,X edinburgh T,T clark.N.Y.C seribner's Sons,1971(ART Religion).

الفــهرس

الإهداء

كلمة شكر

مقدمة..... أ، ب، ج، د، هـ، و، ز

الفصل الأول: من الماهية إلى الجينيالوجيا

توطئة.....9

المبحث الأول: شبكة المفاهيم.....10

تحديد مفهوم الدين، التدين، الإيمان، الإعتقاد.....18

تحديد مفهوم البراغماتية، الحقيقة.....19

المبحث الثاني: تاريخانية مفهوم الدين في تاريخ الفلسفة الغربية الأنجلوساكسونية....21

الدين عند التجريبين.....23

الدين عند المثاليين.....40

الفصل الثاني: المرجعيات الكبرى للدين في الفكر البراغماتي

توطئة.....41

المبحث الأول: المقاربة البراغماتية بين وليم جيمس وتشارل ساندرس بيرس وجون ديوي وريتشارد رورتي

المدرسة النفعية الإنجليزية.....42

البراغماتية العلمية بيرس.....48

البراغماتية الذاتية جيمس.....53

البراغماتية التربوية جون ديوي.....58

البراغماتية الجديدة ريتشارد رورتي.....64

العلاقة الفلسفية بين بيرس وجيمس وديوي ورورتي.....70

المبحث الثاني: النزعة الإنسانية وعلاقتها بالدين عند جيمس

توطئة.....74

المطلب الأول: الروح الإنسانية عند جيمس..... 75

الإنسان والدين..... 76

جيمس عالم نفساني.....77

المطلب الثاني: شيلر وعلاقته بنزعة جيمس الإنسانية.....81

من البراغماتية إلى المذهب الإنساني..... 83

الفصل الثالث: فلسفة الدين عند جيمس

توطئة.....88

المبحث الأول: الإعتقاد والدين عند جيمس.....89

حق الإعتقاد والتعايش بين المعتقدات.....89

تحقيق الإيمان.....98

التجربة الدينية والتصوف.....102

المبحث الثاني: الدين والأخلاق عند جيمس.....114

الإلزام الخلقي.....115

التفاؤل الخلقي.....119

مشكلة الحرية.....122

خاتمة.....127

قائمة المصادر والمراجع.....130

الفهرس.....143